
4700/51A

قررت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

# المطالعة العربية

## للمدارس الثانوية

## الجزء الثالث

للسنة الثالثة

ألفته وراجعته لجنة من وزارة المعارف والجامعة المصرية



ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

قررت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب بمدارسها الثانوية



# المطالعة العربية

## للمدارس الثانوية

## الجزء الثالث

للسنة الثالثة

ألفته وراجعته لجنة من وزارة المعارف والجامعة المصرية



ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى سائر أنبيائه المطهرين ، وعباده المصلحين المخلصين .

و بعد ؛ فإننا نرى نهضتنا الفكرية المباركة قد شملت جميع وسائل التعليم ، وحفزت الهمم إلى التجديد والتحسين فى شتى النواحى ، فلم يكن بدّ أن تنال كتب المطالعة العربية نصيبها من الإتقان حتى تساير الرقى الفكرىّ العام ، وتسد حاجة النشء فى هذا العصر الزاهر .

وقد وضعنا فى العام الماضى كتباً المطالعة العربية بالمدارس الابتدائية ، فلقيت — بحمد الله — قبولاً من المدرسين ، وكانت لها آثار محمودة فى إقبال التلاميذ على القراءة ، وتقدمهم فيها تقدماً يستدعى الاغتباط .

والآن نتمم ما بدأنا ؛ فنقدم كتباً أخرى للمطالعة بالمدارس الثانوية ، راعينا فيها التدرج والانسجام ، فلا يجد من ينتقل من مرحلة التعليم الابتدائى إلى مرحلة التعليم الثانوى ، أو من ينتقل من فرقة إلى أخرى من فرق المدارس الثانوية — فى الكتاب المقرر عليه صعوبة تفجؤه فتصده عن الاستمرار فى المطالعة ، ولا يشعر حين يقدم إليه كتاب جديد

أن صلته بكتابه القديم قد انقطعت ؛ بل يعرف أن بين القديم والجديد تقارباً ظاهراً ، وعلاقة محكمة ، وصلة متينة فيترقى من الأدنى إلى الأعلى دون أن يشعر بصعوبة المرتقى .

وقد قصدنا إلى أن يكون كل كتاب مشتملاً على قطع كثيرة تصور الحياة فى بيئتنا المصرية ، ثم فى البيئة العربيـــة ، ثم فى غيرهما من البيئات الأخرى .

وكذلك اخترنا طائفة صالحة من القصص التى تشوق التلاميذ ، وتحفزهم إلى القراءة ، وتهذب خيالهم ، وتربى عواطفهم ، وتقوم أخلاقهم ، وتمدهم بكثير من العبارات العربية السهلة السليمة التى تعينهم على التعبير عن أفكارهم فى أحاديثهم ، وفى إلقاء الخطب ، وتحرير المقالات .

وقد أكثرنا فى كل كتاب من القطع التى تجمع بين عذب الشعر وجيد النثر ، وتمثل الأدب فى عصوره المختلفة . وسيجد التلاميذ من بين هذه القطع ما يصلح لأن يحفظوه ، فينمى ثروتهم اللغوية ، ويرقى اذواقهم الأدبية .

وكذلك وضعنا قطعاً فى تاريخ المخترعات وبعض المسائل العلمية الخطيرة ، وتراجم العلماء والمخترعين والكاشفين التى لا بد للتلاميذ من الإلمام بها . وراعينا في هذه القطع تقريب المسائل العويصة إلى أذهان التلاميذ ، وتيسير الإبانة عنها ، وتجنبنا ما استطعنا أن نشعر التلاميذ فيها بصعوبة الأبحاث العلمية .

وقد اقتصرنا فى ضبط الكلمات بالشكل على الضرورىّ منه ، وبخاصة كتابا الفرقتين الثالثة والرابعة ؛ لنحمل التلاميذ على تفهم ما يقرءون ، ليستفيدوا بما درسوا من قواعد اللغة فى ضبط الكلمات بأنفسهم . فقد دلت التجارب على أن الإسراف فى الشكل أدى إلى اعتماد التلاميذ فى أثناء القراءة على أعينهم لا على عقولهم ، فأُقْفلت أفكارهم ، وكانت قراءتهم آلية خالية من الفهم والتدبر .

وقد أتينا بقطع سهلة مناسبة لمدارك التلاميذ — يجدها القارئ فى مواضع متفرقة من كل كتاب — خالية من الشكل ليختبر بها المدرس تلاميذه ، ويتبين مقدرتهم على ضبط الكلمات ، ويعدهم لقراءة ما ليس مشكولاً من الصحف والمجلات والرسائل والمكاتبات .

واقتصرنا فى شرح المفردات والعبارات على القليل المستغلق ، وتركنا ماعداه دون شرح ليعتمد التلاميذ على أنفسهم ، ويمرنوا على البحث فى المعجمات التى بأيديهم لمعرفة ما يصعب عليهم فهمه ، وليرجعوا إلى أساتذتهم فى شرح ما يعجزون عن معرفته بأنفسهم .

وإننا لنردد الشكر ، ونقدم واجب الثناء لوزارة المعارف فى هذا العهد السعيد الذى نهضت فيه باللغة العربية وآدابها ، وجددت شبابها ، وأعادت مجدها ورفعت مستواها ، حتى تظل أداة صالحة للفهم والتفاهم ،

وتساير النهضة الحديثة التى تستمد من شباب مليكنا الصالح شباباً ، ومن نشاطه نشاطاً ، ومن قوته قوة ، حفظه الله ورعاه ، وأدام عليه نعمة السداد والتوفيق ؟

جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ هـ
يوليه سنة ١٩٣٨ م

المؤلفون :

ابراهيم مصطفى . محمد عطيه الإبراشى . محمود السيد عبد اللطيف .
عبد المجيد الشافعى . الدكتور عبد الوهاب عزام . حامد عبد القادر .
محمد أبو بكر ابراهيم . محمد عاطف البرقوقى .

المراجعون :

الدكتور طه حسين بك . محمد أحمد جاد المولى بك
الأستاذ أحمد أمين . على الجارم بك

# ١ — آياتٌ قرآنيّة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلِ الْحَمْدُ لله ، وسَلٰمٌ على عبادِهِ الّذين اصْطَفَى ، ءاللّهُ خيْرٌ أَمَّا يُشْرِكون ٭ أمَّن خلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرض ، وأَنْزَلَ لكم من السَّماء ماءً فأَنْبَتْنا به حَدائِق ذاتَ بَهْجةٍ ما كانَ لكم أَنْ تُنْبِتوا شَجرها أءلٰه مع اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يعدِلون ٭ أمَّن جعَلَ الأَرضَ قَرَاراً ، وجعَلَ خِلَلَها أنْهاراً ، وجعَل لها رَوَاسِيَ ، وجعَل بين البَحْرَيْن حاجِزاً أءلٰه مع الله بَلْ أكْثَرُهم لا يَعْلمون ٭ أمَّن يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعاه ، ويَكْشِفُ السُّوءَ ، ويجْعَلكم خُلفاءَ الأَرض أءلٰه مع الله قَليلاً ما تَذَكَّرُون ٭ أمَّنْ يهديكم فى ظُلُمٰتِ الْبَرِّ والبَحْر ومن يُرْسِلِ الرِّيَحَ بُشْراً بين يَدَى رَحْمَتِهِ ، أءلٰه مع الله تَعٰلَى الله عمَّا يُشرِكون ٭ أمَّنْ يبْدَؤُا الْخلْق ثمَّ يُعيدُه ومن يَرْزُقُكُمْ من السَّماء والأَرض ، أءلٰه مع الله ، قلْ هَاتوا بُرْهٰنَكم إن كُنْتُم صٰدِقِين ٭ »

(١) من سورة النمل من آية ( ٥٩ إلى ٦٤ )

# ٢ ـ قِصَّة أصحاب الكَهْف*

خرج أهل ( أَفْسوسَ[١] ) فى يوم عيدِهم ، يَحْتفِلون بأوثانهم ، ويتقرّبون لأصنامِهم ، ولكنّ شابًّا من أشرافِهم ، وأكرم بُيوتهم لم تطمئِنّ نفسهُ إلى ما رأى ، ولم يسترِح عقلُه إلى الآلهة الّتى يعبُدون ؛ فشَكّ وارتابَ ، واضطرَب تفكيره وتحيَّر . . . ثمّ انسَلّ من بين جُموعِهم ، وخرج مُختفِياً من صفوفهم ، حتّى انتهى إلى شجرةٍ جلس إليها ، ساهِمًا مُطرِقاً ، مُرتاباً متحيِّراً . . .

وما لبث أن تَهادى إليه آخرُ ممَّن ذهب مذهَبه فى شَكِّه وحَيْرته ، واضطرابِهِ وارْتيابهِ ؛ وممَّن أشبَهه فى شَرَف عُنصرِه وكرمِ نِجارِه . . . ثم آخرُ وآخرُ حتّى انتَهى عددُهم إلى سبعةٍ ، وما أسرعَ ما تعارفَت أرواحهم ، وتعانقت آراؤُهم ، وأَلَّفت بينهم فِكرةٌ واحدةٌ ، وإن لم يكُن بينهم نسبٌ جامعٌ ، أو رَحِمٌ ماسّة . . .

وأعلَنوا لأنفسِهم شكّهم وارتيابَهم ، وإنكارَهم لآلهةِ أقوامِهم ؛ ثمّ جالوا فى رِحاب الكَوْن ببصائِرهم النّافذَة ، وفِطَرِهم السّليمة ؛ حتى ضاءت نفوسُهم بنور التَّوحيدِ ، وهُدُوا إلى الله مُنشِئِ الخَلْقِ ، وسِرِّ

* القرآن الكريم — سورة الكهف — آية ١٠ وما بعدها

(١) مدينة فى جزيرة باسمها فى البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى .

الوُجودِ . . . واستَرَاحوا إلى هذا الدّين ، واطمأنّوا إليه ، واتّفقوا على أن يَكْتُموه بين جوَانِحهم ، ويستُروه فى أعماقِ نفوسهم ، إذْ كان الملك وثنِيًّا مُمْعِنًا فى الوثنِيّة ، مُشرِكاً ظَهيرًا للمشركين .

وظل كلٌّ واحدٍ يخوضُ فيما يخوضُ فيه القومُ ، ويضطربُ فيما يَضطرب فيه الناس ، حتى إذا ما خَلاَ بنفسه ، واجتَمع مع قلبِهِ ، اتجَه إلى الله عابداً مُصليًّا ، ومنزِّهاً ومُقدِّساً ؛ حتى إذا كانت إحدى ليالى اجْتماعِهم وانتظامِ عِقدهم ، قال أحدهم فى صوتٍ خَفيض ، وحذَرٍ مُريبٍ : « لقد سمعتُ يارِفاقُ بالأمس خبَرًا ، إنْ صدَق راويه — ولا إخالُه إلاّ صادِقاً — فإن فيه إفسادَ دينِنا ، أو ذَهابَ حياتِنا ؛ سمعتُ : أنَّ الملك قد عَلِمَ بأمرنا ، وافتضَح عنده عقيدتُنا ودينُنَا ؛ فثار ثائِرُه . وهاج هائِجهُ ، وتوعّدنا شرًّا إن لم نَصْبأ عن هذا الدِّين الذى أُشْرِبَتْه نُفوسنا ، وانسجَم مع عُقولِنا وتفكيرِنا . وإنّه يوشِك أن يطلع علينا الغدُ ؛ فإذا جَميعُنا فى حَضْرتِهِ ، وبين وَعدِه ووعيدِه ، وسيفِهِ ونِطعه ؛ فتدبَّروا أمركم ، واحزِموا رأيَكم . »

قال الثّانى : « هذا خبرٌ كنتُ سَمعتُ به من قبلُ ، فحَسِبتهُ من إرجافِ المُرجِفين ، وتأويلِ الجاهلينَ ، ولكن يظهر أَنّه استفاض وذَاعَ ، حتّى دلّ على صِدقهِ ، أَو إِمكان وقوعه . . . وما أرى إلاّ أن

نَثْبُت عَلَى ديننا ، ونَصمُدَ لاضطهادٍ يرادُ بنا . ومحالٌ أَن نرجِع الى هذه التّماثيل التى يعبُدونها ، بعد أَن عرفنا فسادَها وبُطلانَها . ولسنا براجعين عن عبادةِ الله ، ومع مَطلَع شمس كلِّ يوم دليلٌ على وُجودِه ، وفى كل سَبْحَة من سَبَحات التَّفكير شاهدٌ على عظمته . »

وصدقَت الإِشاعات ، وصحّت الأَخبار ، وانتظم جَمْعُهم أمامَ الملك ، بعدَ أَن انتُزِعوا من منازِلهم ، وأُخِذوا من بين أَهْليهم . . .

قال لهم : « لقد حاولتم سَتْرَ أَمرٍ فلم تُفلِحوا ، وجاهَدتم فى كِتْمان دينٍ ولكنّكم لم تنجوا ، وقد انتهى إِلىّ خبَرُكم ، ووصَل إِلىّ أَنكم صبَأْتم عن دين الملكِ والرَّعية ، إلى دينٍ لا أَدْرى كَيْفَ هبط عليكم ، أَو وصل عِلمهُ إليكم ، وقد كان يَهونُ علىَّ أَن أَتركَكم تَهيمون فى دينكم ، وأَن أُلقِىَ حبلكم على غارِبكم ؛ لولا أَنى علمت أَنكم من أَشراف قومِكم ، ومن أَوساطِ عَشائِركم ، وتوشِك العامةُ — لو علِمتْ بأَمركم — أَن تَرِدَ شرِيعتَكُم ، وتدخُل دينكم ، وتتقبَّلَ طريقكم ؛ وفى ذلك ما فيه من إفسادِ المُلك ، وانتِقاض حبل الأمان . . . »

« ولستُ بمعجِّلٍ لكم العذابَ ، أَو موقِعٍ عليكم العقابَ ، حتى تفكّروا فيما أنتم مُقدِمون عليه ؛ فإِمّا رجوعٌ إلى مِلّتنا وإِذعانٌ لما فيه الناسُ ؛ وإما أن يرى الرّائى فإِذا أمامَه رءوسٌ مُلقاةٌ ، وأشلاءٌ ممزّقةٌ ، ودماءٌ منكم تَسيل . »

وربَط الله على قلوبهم ، وأيَّدهم فى إيمانِهم ؟ فقالوا : « أيُّها الملكُ ! إن هذا الدينَ لم ندخُل فيهِ مقلِّدين ، ولم نعتَنِقْهُ مُكرَهين ، ولم نَسِرْ فيهِ جاهلين ؛ دعَتنا إليهِ الفِطرةُ فلبَّينا ، وأضاء لنا العقلُ وفى ضوئِهِ سِرْنَا ، هو الله الأحدُ « لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلٰهاً » ؛ أما قومُنا هؤلاء فقد عَبدوا أصنامَهم جاهلين مُقلِّدين ، لم يَأتوا عليها بسُلطانٍ ، ولم يَدُلُّوا عليها ببُرهانٍ ؛ هذا ما انتهى إليهِ عِلمُنا ورأيُنا ، « فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ . »

قال الملك : « اِذهبوا اليومَ على أن تأتونى فى الغد ، لِأنظر فى أمركم وأفصِل فى قضيَّتكم . » وخلَصُوا الى أنفسِهم يَشْتورون فيما يفعلون ، ويُجيلون قِداحَ الرأيِ كيف يصنَعون ؟ . . .

قال واحدٌ منهم : « أمّا وقد عرف الملك أمرَنا فلا مُقامَ لنا بين وَعدِهِ ووعيده وإطماعهِ وتهديده ، ولنفِرَّ بديننا إلى ذلك الكهفِ من الجبل ؛ فإنّه قد يكون — على ظلامهِ وضِيقهِ — أفسحَ صدرًا ، وأطيبَ مكانًا من هذه الأرضِ الوسيعة ، الّتى لا نستطيع أن نعبُد الله فيها كما نريد ، وأن نجهَر بديننا كما نعتقِدُ . . . ولا قرارَ فى مكانٍ نُراد فيهِ على دينٍ لا نطمئنُّ إليه ، ولا كرامةَ فى وطنٍ نُقْهَرُ فيه على رَأيٍ لا نعتقِدُه . »

وأصبحوا جميعًا ، يحمِلون زادهم ، مُفارقين أوطانَهم ، مُهاجِرين

بدينهم ، ولَحِقهم كلبٌ فى الطّريق ، فسار فى إثْرهم ، وتعلّق بهم ؛ فلم يَرَوْا بأساً فى أن يُرافِقَهم ، يصحبُهم أو يحرُسهم . . .

وما زالوا فى سَيْرِهم حتى انتهَوْا إلى الكهف ، وهناك وجدوا ثِمارًا فأكلوا ، وماءً فشرِبوا ؛ ثم اضطجَعوا قليلاً ليُبَرِّدوا أقدامَهم ، ويُعيدوا ماذهب من عافِيَتهم فى أثناء سيرِهم . ولكن ما عَتَموا أن أَحسُّوا إغفاءةً خفيفةً ، داعَبت جُفونهم ، ثمّ أسلمت رءوسهم إلى الأرض فى نومٍ عميق .

*
* *

ومضى عامٌ وراء عامٍ ، وتعاقب ليلٌ إثرَ نهارٍ ؛ والفِتْيَةُ راقدون ؛ النّوم مضروبٌ على آذانهم ، والكرَى معقودٌ بأجفانِهم . لا تُزعِجُهم زَمجرةُ الرّياح ، ولا يوقِظُهم قَصْفُ الرُّعود ؛ تطلُع الشمس فتنفُذ إلى الكهف من كُوّته ؛ فتمنَحه الضوء والحرارة ، ولكنّ أشعتها لا تصل إليهم ، وتغرُب فتميل وتبتَعِد ؛ تحقيقاً لما أراد الله من حفظ أجسادِهم ، وبقاء أرواحِهم .

ولو اطّلعَ مُطَّلِعٌ عليهم لرآهم يتقلّبون مرةً ذاتَ اليمين ، وأخرى ذات الشِّمال ، وقد طالت أظفارُهم ، وامتدّت لِحاهُم وشوارِبهم يبعَثون الرُّعب فيمَن يراهم ، والهوْلَ فيمَن يطَّلِع عليهم . . .

ودخلَت سنة تسعٍ وثلثِمائةٍ منذُ نومهم ؛ فانتبَهوا بعدَها ، وهم لا يكادون يُمسِكون نفوسَهم من الجوعِ أو يَجْمعون أعضاءهم من التَّعب ، ظانّين أنّ الزمنَ لم يمضِ بهم ، وأن عجَلَة التاريخ واقِفةٌ عند كهفهم . . .

قال واحدٌ منهم يسأل : « يُخيَّل إلىَّ أن ساعاتٍ طويلةً رقَدناها ، فما تظنُّون يا رِفاقُ ؟ »

قال الثَّانى : « ربَّما نكون قد لَبِثنا يوماً فإن هذا الجوعَ الذى نُحسُّه ، والتَّعب الذى نشعُر به ، لَيُؤْذِن بما أظنُّ . . . »

وقال الثَّالث : « نحن قد رَقَدنا فى الصَّباح ، وهذه الشمسُ لم تَطْفُل ؛ فما أظنُّ إلا أننا قد لبِثنا بعضاً من يوم . »

وقال الرّابع : « دَعُونا من تساؤلِكم فالله أعلمُ بما لَبِثتم ، ولكنّنى أحِس الجوعَ شديداً وكأنِّى لم أُطْعَم منذُ ليالٍ ، فَليذهبْ واحدٌ منكم إلى المدينة يلتمِس لنا طعاماً ، وليكُن حَذِراً لبيباً ، فَطِناً أريباً ، حتّى لا يعرِفَه أحدٌ ، ولا يفطِنَ إليه إنسانٌ ؛ إنَّهم لو ظَهَروا علينا ، وعرَفوا مكانَنا يقتلُونَنا أو يَفْتِنونَنا فى دينِنا . »

فخرجَ إلى المدينةِ واحدٌ منهم يلتَمِس الطَّعامَ ، وهو خائِفٌ حذِرٌ ؛ ودخل « أفْسُوسَ » ، وما رَاعَه إلا تَغَيُّرٌ فى معالِمِها ؛ وانقِلابٌ فى مبانيها :

هذه خرائِبُ أضحَت قصوراً ، وتلك قصورٌ أمسَت خرائِبَ وأطلالاً ، وتلك وجوهٌ لم يَعرفها ، وصورٌ لم يألَفْها .

أمّا الدِّيار فإنَّهـــا كديارِهم وأرى رجالَ الحيِّ غيرَ رجالهِ

وتحيَّرت نظراتُه ، وكثرت لَفتاتُه ، وظهر الاضطِرابُ فى مِشْيتهِ ، والوجُومُ فى حَيْرتهِ ، وألحَّ عليه الاضطِراب ، وتتابع الوجُومُ ، حتى لفَت الناس إليه .

قال له أحدُهم : « أغريبٌ يا هذا عن هذا البلدِ ؟ وفيم تتأمَّل؟ وعلامَ تبحثُ ؟ » قال : « لستُ غريباً ، ولكنَّنى أبحثُ عن طعامٍ أشتَريه ، فلا أرى مكانَ بَيْعهِ . . . » وأخذ الرجل بيده حتَّى انتَهى به إلى صاحب طعامٍ ، وأخرج صاحبُ الكهف دراهِمَه ، ونقدَها التاجر ، وما راعَه إلا أن رأى نقوداً ضُرِبت من نحو أكثرَ من ثلثمائةِ عامٍ ؛ فحسِب أنَّه عثَر على كنزٍ ، وأنّ من وراء دراهِمهِ دراهمَ كثيرةً ، وأموالاً عظيمةً ؛ فجمع النَّاسَ من حوله ، ودلَفوا إليه من كل مكان .

فقال يا قومُ : « ليس الأمر كما زعمتم ، وليست هذه النقودُ كما توهَّمتم ، وإنَّما هى دراهمُ قد وقعت لى فى بعض مُعامَلتى مع النَّاس بالأمسِ ، وأنا أشتَرى بها طَعامى اليومَ ؛ فما يدعوكم إلى الدَّهشة ؟

وما يدفَعُكم للافتِراء علىَّ بما تظنُّون ؟ » ثم همَّ بالعودةِ ، خشيةَ أن يفتَضِح أمرُه ، أو تظهرَ حقيقةُ حالهِ . . . ولكنَّهم عادوا فرَفَقوا به ، وتلطَّفوا معه فى القولِ ، وحاوروه فى الحديثِ . وما أشَدَّ ذهولهم حينَما علِموا أنه أحدُ الفِتيةِ الأشرافِ ، الَّذين هرَبوا من تسعٍ وثلثمائة سنةٍ من مَلِكهم الجائرِ الكافرِ ، وأنهم همُ الَّذين — فيما سمِعوا — تَطَلَّبهم الملك فلم يظفَرْ بهم ، ونشدَهم فلم يهتَدِ إليهم ، وما كان أشدَّ خوف الرجل حينما علِم أنهم فطِنوا لأمرِه ، وعرفوا قِصتَه فخاف على نفسه وإخوته ، وهمَّ بالهروب .

قال له أَحدُهم : « لا تُرعْ يا هذا ! إن الملكَ الذى تخافُه قد مات من نحو ثلثِمائةِ عام ، وإن الملكَ الذى يجلِسُ الآنَ هو مؤمِنٌ بالله كما تُؤمِنون ، وأَما أنتَ فأين بقِيَّةُ صَحْبك ؟ »

فأدرك الرجل حقيقةَ حاله ، وعرف تلك الفَجْوةَ من التاريخ الَّتى تفصلُ بينه وبين النَّاس ؛ فهو الآنَ لا يَعْدُو أن يكونَ شبحاً يمشى ، أو ظلاًّ يتحرَّكُ ، ثم قال لمَن يحدِّثه : « دعُونى أذهبْ إلى صَحْبى فى الكهفِ أُحدِّثهم عن شأنى وشأنهم ، فربَّما يكون قد طالَ انتِظارُهم ، واشتدَّ قلقُهم . . . »

وسمع الملك بأمرِهم ؛ فخفَّ إلى لِقائِهم ، وسعَى إلى كهفهم ، فرأى فيهم قوماً أحياء ، تُشرِق بالحياة وجُوهُهم ، وتجرى الدِّماء فى عروقهم . . .

فصافحَهم وعانقَهم ، ودعاهم إلى قصرِه ، والإقامة فى داره . فقالوا : « وما نبغى بالحياةِ وقد ماتَ الحفيدُ والولدُ ، وعفا الدَّار والسَّكَنُ ، وانقطَع ما بيننا وبين الحياة من أَسبابٍ . . . » ثم تَوَجَّهوا إلى الله طالبِين أَن يختارَهم لجوارِه ، وأَن يشملَهم برحمته ، وما هو إلا ارتِدادُ الطَّرْفِ حتى وقَعوا أجساداً لا حياةَ فيها . . .

أَمَّا القومُ فقالوا : « لعل اللهَ أَعثَرنا عليهم لنَعلَمَ أن وعدَ الله حقٌّ ، والبعثَ صِدقٌ ، والساعَة آتيةٌ لا ريبَ فيها . » ثم تنازعوا أَمرَهم بينَهم : فقالوا : « ابنُوا عليهم بُنياناً ، ربُّهم أَعلمُ بهم . » قال الَّذين غَلَبوا على أَمرِهم : لنتَّخِذَنَّ عليهم مسجداً . »



## ٣ – قاسم أمين

وُلِدَ فى أسرة مصرية ، تنتسب إلى أصل كُرْدِيّ . وهى أسرة متوسطةُ اليَسارِ ، لم يُفسِدْها تَرَفُ الإِكثار ، ولم تَجْنِ عليها آثارُ الحاجة . وتربى منذ نشأته تربيةَ أمثاله ، ثم سافر إلى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ وليس فى ظروف صباه شَيْءٌ غيرُ عادى ، إلاَّ أنَّه كان جَمّ الحياء ، مما ألزمه العكوفَ على نفسه ، وعلى درسه .



وليس فى حياته بعد ذلك شَيْءٌ من المجازفات التى تجذب لأصحابها أنظارَ الجماهير ؛ بل ظلَّ — منذ أتمَّ دراستَه إلى أن عَاجَلَتْه مَنِيَّتُه سنة ١٩٠٨ ، وهو فى رَيْعان قوّته — قاضياً ، ثم مستشارًا بمحكمة الاستئناف . لكنه كان — مع حيائه الجمّ — عَيُوفا ، يحترم نفسه وكرامته ، كما يحترم غيرَهُ وحريَّتَه ، فلم يُجرِّبْ عليه أحد ضَعَةً ولا ضعفاً . ولعل أقدسَ ما كان يُجِلُّه من مظاهر الحرية ، حريَّةُ الرأى ،

بفرنسا إلى خاتمة حياته — قاضياً ممتازاً ؛ فهو لم يقض يوماً لينال حُظْوَةً عند أحد ، أو ليُصَفِّقَ له الجمهورُ ، ولم يكن من بين القضاة الذين قال عنهم : « أعرف قضاة حكموا بالظلم ؛ ليشتهروا بين الناس بالعدل . » ولم يتقيد فى قضائه بآراء الفقهاء ، أو أحكام المحاكم ، مما يعتبره أكثر القضاة حجةً لا مَحيدَ عنها ؛ بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النصُّ مكانَ الاقتناع منه .

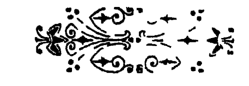
وهذا هو ما جعله ميَّالاً للرأفة فى قضائه ، نافراً أشَدَّ النفور من حكم الإعدام ، فقد كان يرى : « أن العفو هو الوسيلة الوحِدَة التى ربما تنفع لإصلاح الذنب . » وأن « معاقبةَ الشرّ بالشر إضافةُ شرٍّ إلى شر . » وأن « التسامح والعفوَ عن كل شىء وعن كل شخص هما أَحسن ما يُعالَجُ به السوء ، ويفيد فى إصلاح فاعله . » وأن « الخطيئَةَ هى الشىء المعتاد الذى لا محلَّ للاستغراب منه ، والحالُ الطبيعية اللازمةُ لغريزة الإنسان . » فإذا كانت الجماعة لم تُوَفَّقْ بعدُ لإدراك هذه الأفكارِ ، وكانت قوانينُها التى وُكِلَ إليه تطبيقها كقاض ما تزال تجرى على سُنَّةِ القِصاص والانتقام ، وما تزال دمويةً متوحشةً — فلا أقلَّ من أَنْ يُتحاشى الإعدام وهو أَشدُّ ما فيها وحشيةً ؛ وهو العقوبة الوحِدَةُ التى لا سبيل لعلاجها إذا ظهر خطأُ القاضى ، أو

ثابت الجماعة إلى رشدها ، ورأت تعديلَ أساس عقوبتها بجعل العقوبة للإصلاح لا للقصاص ، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح .

كانت روحُ قاسم روحَ أديب ، وكانت الروحَ العصبيةَ الحسّاسة الثائرةَ التي لا تعرف الطمأنينة ، ولا تستريح إلى السكون ، وكانت الروحَ المشوقةَ التي لا تعرف الانزواء في ركنٍ للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها ، وتستبدلَ بكنها ما في حياة الكون وحركته من نَشاط وجمال . بل كانت عيونه الواسعةُ تريد أن ترى جِدَّةَ الوجود الدائمةَ تتكرر مناظرها ، فتطبع على صَفَحاتِ نفسه وحياً وإلهاماً أكثرَ مما تؤدي إليها المباحثُ الجافة منطقاً وجدلاً .

وكانت هـذه المناظر تُذْكِي شعوره الحساسَ بجمال الحيـاة ، وتدعوه إلى الحِرْص على متاعه بها ، وعلى دعوته غيره لهذا المتاع . ذلك لا يُؤتاه إلاّ رجلٌ فَنٍّ جميل ، لا يقف عند التلذذ لنفسه بنِعَمِ الحياة ؛ بل يعـبر لغيره عن معاني هذه النِّعَمِ . وكما يعبر الموسيقيُّ بالنِّغَمِ ، والمصور بالنقش ، والمثّـال بالنحت ، والشاعر بالوزن ، كذلك الـكاتب الأديب يجد في وصف ما في الحياة من مختلف ألوان الجمال ما يعبر عن شعوره به ، وما يدعو غيره إليه .

وفى ظننا أَنَّ الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل ، ورق الحجاب لم تكن كُلَّ برنامَج قاسمٍ الاجتماعىِّ ، وإنما كانت حَلْقَةً منه هى أَعْسَرُ حَلَقاته وأعقدُها ؛ ذلك بأنه لم يَقْصُرْ عليها كل جهد حياته ، بل اشتغل منذ سنة ١٩٠٦ بالدعوة لإنشاء الجامعة مع صديقه سعدِ زغلول ، وشُغِل بهذه الجامعة ، وبتوطيد أركانها إلى أن وافته منِيَّتُه بعد ما أعدَّ كلَّ العدة لافتتاحها ، وقبيل هذا الافتتاح بأشهر معدودة . وتدل كلماته على أن برنامَجه كان أوْسَعَ من مجرد تأسيس الجامعة وتَرْكِها تسير على حسب ما توجهها الرياح ؛ وعلى أنه كان يريد أن يجعل من الجامعة خُطْوَةً لبرنامَج أوسَعَ نطاقاً يتناولُ ثورةً فى اللغة والأدب ، كالثورة التى أحدثها كتاباه فى تعليم المرأة ، وفى رفع الحجاب .



## ٤ — كَرَم كافور الإِخْشيد وأدبه

### نادرة لطيفـــة

كَانَ أَبو بكر المحلى يَتَوَلَّى نفقات أَبِى المِسْك كَافورٍ الإِخْشيدِ ، وكَانَ له فى كل عيد أَضْحى عادة هى : أن يُسَلِم إِلى أَبِى بكر المذكور بَغلا مُحَمَّلاً ذَهباً ، وجريدة تَتَضَمَّنُ أسماء قوم من حد القرافة إِلى الجبانة وما بينهما .

قال أبو بكر المذكور : « وكَان يمشى معى صاحبُ الشُّرْطة ونَقيبٌ يَعرِف المنازل ؛ وأَطوفُ من بعد العشاء الأخيرة إِلى آخر اللَّيل ، حتى أسلم ذلك إِلى من تضمنت اسمه الجريدة ؛ فأَطْرق منزل كل إِنسان ما بين رجل وامرأة وأقول : « الأستاذ أبو المسك كَافور الإِخْشيدى يُهَنِّئك بالعيد ، ويقول لك : اصْرِف هذا فى مَنْفَعَتِك . وأَرْفع إِليه ما جعل لهُ . »

« وفى آخر وقت زاد فى الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار ، وجعل له فى ذلك العيد مائة دينار ، فطُفْت فى تلك الليلة ، وأَنْفَقْتُ المال فى أَرْبابه ، ولم يَبْقَ إِلا صرة ابن جابار ، فجعلتها فى كُمِّى ، وسِرْت مَع النَّقيب ، حتى أَتَيْنا منزله بظاهِرِ القَرافَة ، فطَرَقْت الباب فنزل إلينا الشَّيخ ، وعليه أَثرُ السَّهر ، فَسَلَّمْت عليه ، فلم يَرُدّ علىّ ، وقال :

« ما حاجَتك ؟ » قلت : « الأستاذ أبو المسك كافور يَخُصُّ الشيخ بالسلام » فقال : « والى بلدنا ؟ » قلت : « نعم » . قال : « حَفِظَه الله ! الله يَعْلَم أنِّى أدْعو له فى الخَلَوات ، وأدبار الصَّلوات بما الله سامِعه ومُستجيبه . » قلت : « وقد أنْفَذَ معى نَفَقةً وهى هذه الصُّرَّة ، ويسأَلك قبولَها لتُصْرَف فى مئونة هذا العيد المبارك . » فقال : « نحن رعيَّته ، ونُحِبُّه فى الله تعالى ، وما نُفْسِد هذه المحبة بعلة . » فراجعته القول فتبين لى الضَّجر فى وجهه والقَلَق ، واستحيت من الله أن أقطعه عما هو عليه ؛ فتركته وانصرفت . »

قال : « فوجدت الأمير قد تَهَيَّأ للرُّكوب ، وهو يَنْتَظِرُنى ، فلما رآنى قال : « إيه يا أبا بكر . » قلت : « أرْجو الله أن يَسْتَجيبَ فيك كل دَعْوة صالحة دُعِيتْ لك فى هذه الليلة وفى هذا اليوم الشَّريف . » فقال : « الحمد لله الذى جَعَلنى لإيصال الرّاحة إلى عباده . ثم أخْبَرْته بامْتِناع ابن جابار فقال : « نعم هو جدير ، لم تَجْرِ بيننا وبينه مُعاملة قبل هذا اليوم . » ثم قال لى : « عُدْ إليه واركب دابة من دوابِّ النّوبة واطرق بابه ؛ فإذا نزل إليك فإنه سيقول لك : « ألم تكن عندنا ؟ » فلا تَرُدَّ عليه جواباً . ثم اسْتَفْتِحْ واقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم . طه . ما أنْزَلْنا عليك القُرآن

لتَشْـقى ، إلاَّ تَذْكرة لمن يَخْشى ، تَنزيلاً ممن خلق الأرض والسموٰات العُلى ، الرَّحمن على العَرْش اسْتوى ، له ما فى السموٰات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى . » يا بن جابار ! الأستاذ كَافور يقول لك : ومن كَافورٌ العبد الأسود ؟ ومن هو مولاه ؟ ومن الخلق ؟ ليس لأحد مع الله مُلك ولا شَرِكة . تلاشى الناس كلهم ههنا . أتَدرى من هو معطيك ؟ وعلى من رَدَدْت ؟ أنت ما سألت وإنما هو أَرْسل لك . يا بن جابار ؟ أنت ما تفْرِق بين السَّبب والمسَبّب . »

قال أبو بكر : « فرَكبت وسِرْت فطَرَقْت منزله فنزل إلىَّ ، فقال لى مثل لفظ كَافور ، فأَضْرَبْتُ عن الجواب وقرأْت طه . ثم قُلت ما قال لى كَافور . فبكى ، وقال لى : « أيْن ما حَمَلْت ؟ » فأَخْرجْت الصُّرة ، فأَخَذها ، وقال : « عَلّمنا الأستاذ كَيف التَّصوُّف . » قلت له : « أحسن الله جزاءك . » ثم عدت إليه فأَخْبرته بذلك ، فسُرَّ وسجَدَ شُـكرًا لله تعالى وقال : الحمد لله على ذلك . »

## ٥ — ملجأ الحرّية

للمرحوم حافظ إبراهيم بك



أيها الطفلُ لك البُشْرَى فَقَدْ    قدَّر الله لنا أن نُنْشَرا

قَدَّر الله حيــاةً حُرَّةً    وأبى سُبْحانَه أن تُقْبَرا

لا تخف جوعاً ولا عُرْياً ولا    تبْكِ عيناك إذا خَطْبٌ عَرا

لك عِنْد البرِّ فى مَلْجَئِهِ    حيثُ تأوِى خاطِرٌ لَن يُكْسَرا

حيثُ تَلْقَى فيه حَدْباً وترى    بين أَتْرابِك عيشاً أَنْضَرا

* * *

لا تُسِئْ ظنَّاً بِمُثْرِينا فقد    تاب عن آثامِه واستغفرا

كان بالأَمسِ ، وأقْصى هَمِّه إن أَتَى عارِفَةً أن يَظْهَرا
فغَدا اليــومَ يُوَاسِي شَعْبَه وهو لا يرغَبُ فى أن يُشْكَرا
نَبِّهتْ عاطِفَــةَ البِرِّ به مِحْنَةٌ عَمَّت ومقــدارٌ جَرى
جَمعتْنا فى صَــعِيدٍ واحِدٍ وأرادتنا على أن نُقْهَــرا
فتعاهَدْنا على دَفْعِ الأذى برُكُوبِ الْحَزْمِ حتّى نَظْفَرا
وتوَاصَيْنا بِصَــبْرٍ بَيْنَنا فغَدَوْنا قُوَّةً لا تُزْدَرى

*
* *

أنْشَرَتْ فى مِصر شعباً صالحاً كان قَبلَ اليوم مُنْفَكَّ العُرا
كم مُحِبّ هائمٍ فى حُبِّها ذادَ عن أجفانه سَرْحَ الكَرى
وشبابٍ وكُهولٍ أقسموا أن يَشيدوا مَجْدها فوق الذُّرا
يا رِجالَ الجِدِّ هذا وَقْتُه آنَ أنْ يعمَلَ كلٌ ما يَرى
ملْجأً أو مَصْرِفاً أو مَصْنَعاً أو نِقاباتٍ لِزُرّاعِ القُرى
أنا لا أَعْذِرُ منكم من وَنَى وهو ذو مَقْــدِرَة أو قَصّرا
فابدءوا بالملجــأِ الحُرِّ الذى جئْتُ للأَيْدِى له مُسْتَمْطِرا
واكْفُلوا الأيْتام فيــه واعلموا أنَّ كلَّ الصَّيد فى جَوْفِ الفَرا

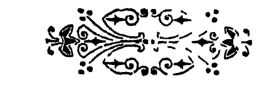
*
* *

أيها المُثْرى ألا تَكْفُلُ مَنْ بات مَحْروماً يتيماً مُعْسِرا ؟

أنت ما يُدْرِيك لو أنْبَتّه ربّما أطلَعْتَ بَدْرًا نيّرًا
رُبما أطْلَعْت ( سَعْداً ) آخرًا يُحْكِمُ القوْلَ ، ويرْقى المنْبرا
ربما أَطْلَعْتَ منه ( عبده ) مَنْ حَمى الدين وزان ( الأزْهرا )
ربما أَطْلَعْتَ منه شاعرًا مثل ( شوقى ) نابِهًا بين الْورَى
ربما أَطْلَعْتَ منه فارِساً يَدْخُل الغِيلَ على أُسْدِ الشَّرى

* * *

كم طَوى البُؤسُ نفوساً لَوْ رَعَتْ مَنْبِتاً خِصْباً لكانَتْ جَوْهرا
كم قَضَى العُدْمُ على مَوْهِبَة فتوارت تحت أطْبَاقِ الثَّرى
كلُّ مَنْ أَحْيا يتيماً ضائِعاً حَسْبُهُ من ربّه أنْ يُؤْجَرا
إِنَّما تُحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ مَنْ لِأُخراه بدُنْياهُ اشْتَرى



## ٦ ــ الأغانى وأثرُها فى الأخلاق

لكل أمة أناشيد يَتَداوَلها أبناؤها فى مجتمعاتهم وحَفَلاتهم ، ويُوقِّعها الموسيقيون على الأوتار ، فيَهُزُّون القلوب الجامدة ، ويُحَرِّكون النفوس الخامِدة ، فترى الوجوه مُسْتَبْشرة ، والعيون قَريرَة ، والصدور منشرحة .

ولا رَيْب أن للأغانى فى تلحينها وللأوتار فى تطريبها أثرًا فى تكوين الأخلاق ، وتربِيَة النفوس ؛ فهى التى تُحيلُ الجبان شجاعاً ، واللَّحِزَ الشَّحيح كريماً ، وتُنَفِّس عن المحزون كَرْبه وتُسَهِّلُ على المصاب خَطْبَه . وهى غذاء الروح ، وحياة القلب . ولقد تراك — وقد أخذت تلك الأصوات من سمعك ونفسك ، وسرت فى نفسك مسرى الماء فى العود — قد تحركت طرباً ، واهتَزَزْت سروراً ، فلا تسكن حتى يسكن الغناء .

ولقد فَطِنت الأمم الراقية إلى ما للغناء من أثر فى النفس ، ووَقْعٍ فى القلب ، فأحلَّته من عنايتها أشرف محل ، واتَّخذته وسيلة لتَهذيب النفوس ، وإحياء القلوب ، والدعوة إلى الفضيلة ، وتَقْديس الأوطان . وتخيَّرت كل أمة نشيداً يُذكِّرها بسالِف مجدِها ، وحاضر عظمتها ، تجعله فاتحة حفلاتها وخاتمتها ، وتترَنَّم به فى أعيادها ومواسمها ، وفى منازلها وأنْدِيَتها . ولها مع ذلك أغانٍ صالحة عفيفة تُرَدِّدها ألسنة العامة ، ولا تَاباها الخاصَّة . قد صيغت فى أبْدَع نظم ، وأرقِّ أسلوب ، تصف

العواطف الشريفة ، والشِّيَم الحميدة ، وبهيج الأزهار ، وغَرَدَ الأطيار ، ومجارى الماء ، وصفاء السماء ، ورقة الهواء فجمعت إلى جزَالَة أسلوبها ، وسَلَس تركيبها — أدقّ المعانى ، وأسمى الأفكار .

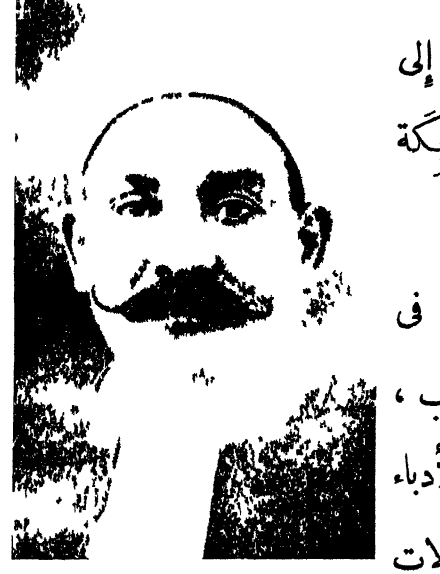
أما نحن فى مصر — مهد المدنية ، وأُم الحضارة ، ومَشْرِق العِرفان — فقد اتخذنا أغانينا من ألفاظ سقيمة ، ومعانٍ تافِهة ، وأفكار لا تجول بخاطرِ حُرّ ، ولا تليق بقلبٍ شريف ؛ قد شُحِنَتْ بالهزل والمُجون إلا قليلاً ، فأَوْدَت بالفضيلَة ، وأكثرت أرقّاء الرّذيلة ؛ فترى الشُّبان والشابات يردِّدونها ، فتسرى سمومها فى عُروقهم ، وتَدِبُّ عقاربها إلى نفوسهم ، فتجرح منا موطن الفضيلة ، ومستَقَرّ الشرف والطهر ، وتذبل زهرتها ، وتذهب نضرتها .

نعم عظم الخَطْب ، فإذا لم نُقلع عن هذه الأغانى السّيئة ، ونُصْلح أخلاقنا ، ونتخذ من أغانينا مُهذِّباً صالحاً ، ومُرْشداً ناصحاً — أضَعْنا البقية الباقية من موروث مَجْدِنا ، وسالِف عِزنا ؛ فإن الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم ، والأمة إذا لم ترفع مَجْدها على عُمُدِ الفضيلة انْهار بناؤها ، وضاعَ شرفها .

ولَعَلّ فى عناية فريق من أُدباء هذه الأمّة بوضع أناشيد أدبية ، وأغان عفيفة مهذبة — بشيراً بصلاحٍ مُقبل ، وخيرٍ مأمول ، وما ذلك على ذوى العزيمة الصادقة بعزيز .

## ٧ — مصطفى لطفى المنفلوطى

كان مَوْلِدُ المنفلوطى فى بيت كريم بالدين ، جليلٍ بالفِقْه ، تَوارَثَ أهلُه الشَّريعة ، ونقابة الصُّوفيّة مائتى سنة ، ولكنه كان خلفة لنبعَتَيْن مختلفتين .



فأبوه عربى صريحُ النَّسبِ إلى عِتْرَة الحسين ، وأمه تُرْكِيَّة شابِكَة القرابة إلى أُسرة « الجوربه جِى . »

ونَهجَ المنفلوطى سبيلَ آبائه فى الثَّقافَةِ ؛ فحَفِظَ القرآن فى المكتب ، وَتلَقَّى العِلْمَ فى الأزهر ؛ إلا أن للأدباء من أبناء الفُقهاء نَبْوَةً فى بعض الحالات عن إرادة الوِراثة والنَّشْأة ، فهم يَصْدِفون — فى مُنْتَصف الطريق — عن دُروس الفِقْه والأصول والعقائد .

فكان السيد مصطفى المنفلوطى على الكُرْه من وَرَع قلبه ، ورِعاية أبيه ، لا يُلقى باله كثيرًا لِغَيْر علوم اللِّسان ، وفُنون الأدب ؛ فهو يَحْفَظُ الأشْعار ، ويَتَصَيَّدُ الشَّوارِد ، ويَصوغ القَرِيض ، ويُنْشِئ

الرَسائل ، وتسير له شهرة بين الأزهريين بذكاء القَريحة ، وَرَوْعة الأسلوب ، فيُقرِّبه الأستاذ الإمام ، ويَرْسُم له الطَّريقة المُثْلى إلى النهاية من الأدب والحياة ، ثم يَسْتَفيد المنفلوطى من قُرْبه إلى الإمام صِلتَه بسعد باشا ، ومن زُلْفاه لَدى هذين العظيمين تفَوُّقَه لدى ( المؤيد ) . فالإمام المجتهد محمد عبده ، والسياسى الخطيب سعد باشا ، والصّحفى الكاتب على يوسف — كانوا أَقْوى العناصر فى تَكْوِين المنفلوطى الأديب — بعد استِعداد فطرته ، وإرْشاد والده . وأولئك الثَّلاثَة كانوا — على ما بينهم من التَّفاوُت فى نواحى النُّبوغ — أفْهم رجال العصر الحديث لحقيقَة الأدب ، وأشَدَّهم حَدَباً على بُؤْس أهله .

كَان المنفلوطى يعْتَمِد فى نَيْـل شهادة الأزهر على جاه الإمام . والإمام المفتى — مُفسِّرِ وَحْىِ الله ، وَشارِح فَنِّ عبد القاهر ، ومُعيد الأدب إلى الأزهر — كَانَ يَقِيسُ كفايَة الطالب بمِقْياس سيبويه لا بمقياس أبى حنيفة . فلما قَبَضَه الله إلى رحمته جَزِعَ المنفلوطى فيه على سَنَده وأمَله ، وارْتَدَّ مقْطوعَ الرّجاء إلى بلده ، ثم أنْعَش الله عاثِرَ أمَله بعد فَتْرة من الزمن ، فهَبَّ يَبْتَغِى فى المؤيد الوسيلة إلى النَّباهَة والنُّجح ، وأوَى من الوزير سعد باشا — حامى النُّبوغ — إلى رُكن منيع ، فخاق له منصب التحرير ، فضمِن له به رَغَدَ العيش ، ووفرة الإنتاج ، حتى اختار الله له ما عنده .

كَان المنفلوطى أديباً مَوْهوباً ، حَظُّ الطَّبع فى أدبه أكثر من حَظِّ الصَّنعة ؛ لأن الصَّنْعة لا تَخْلُق أدباً مُبتكراً ، ولا أديباً مُمْتازاً ، ولا طريقة مُسْتَقِلَّة . والنَّثر الفنى كَان على عهده لوناً حائلاً من أدَب القاضى الفاضل ، أو أثَراً مائِلاً لفنّ ابن خلدون ؛ يتمثل الأول قويًّا فى طبقة المُويلحى وحِفْنى ناصف ، ويَظْهر الآخر ضعيفاً فى طبَقَة قاسم أمين ، ولطفى السيد . ولا يستطيع ناقِدٌ أن يقول : « إن أُسلوبه كَان مَضْروباً على أحد القالبين » ، إنما كَان أُسلوب المنفلوطى فى عصره كأسلوب ابن خلدون فى عصره ؛ بديعاً أَنْشَأَه الطَّبع القَوِىّ على غير مثال ، والفرق أن بلاغَة ( النَّظرات ) مرجِعها إلى الفِرِنْجة ، و بلاغة مقدمة ابن خلدون مرجِعها إلى العَبْقَرِيَّة .

اعلم أن المنفلوطى تأثر فى القديم بابن المقفَّع وابن العَميد ، وفى الحديث بجبران ونعيمة ، وَلكن هـذا التَّأَثُّر دخل فى فنِّه دخول الإيهام والإيحاء ، لا دخول التَّقليد والاحتِذاء .

فله من الأوَّلَيْن إشراق الدِّيباجَة ، وقُوَّة النَّسْج ، وله من الآخرَين جِدَّة الموضوع وطَرَافَةُ الفِكْرَة ، ولكنك لا تتذَكَّرُ وأنت تقْرؤه أحداً من أولئك جميعاً .

عالج المنفلوطى الأقصوصَة أول الناس ، وبَلغ فى إجادتها شأوًا لا يُنْتَظَر من نشأةٍ كنَشْأته ، فى جيلٍ كجيله . وأَذْكُرُ أننا كنّا نقرأ ( غرفة الإخوان ) و ( اليتيم ) وأمثالهما ، فنطرَب لِلْقِصَّة على سَذاجتها أكثر مما نَطْرب للأسلوب على رَوْعَتِه .

وسر الذُّيوع فى أدب المنفلوطى ظهوره على فَتْرة من الأدب اللُّباب ، ومفاجأته الناس بهذا القَصص الرّائع الذى يَصِفُ الألم ، ويمثِّل العيوب فى أسلوب طَلِيٍّ ، وسِيَاق مُطَّرِد ، ولَفْظ مُخْتار .



## ٧ — يوم العيـــد(١)

أفضلُ ما سمِعتُ فى باب المروءة والإحسان : أنّ امرأة بائسة وقفت ليلةَ عيد من الأعياد بحانوت تماثيل فى باريس ، يطرُقه الناس فى تلك الليلةِ لابتياع اللُّعب لأطفالهم الصِّغارِ ، فوقَع نظَرها على تمثالٍ صغيرٍ من المرْمر هو آيةُ الآيات فى حُسنه وجَماله ، فابتهجَت بمرآهُ ابتهاجاً عظيماً ، لا لِأَنّها غَريرةٌ بَلهاء يستفزُّها من تلك المناظرِ الصِّبيانيَّة ما يستفِزُّ الأطفال الصِّغارَ ؛ بل لأنّها كانت تنظُر إليه بعين ولدها الصَّغير ، الذى تركتْه فى منزلها ينتظِر عودتَها إليه بلُعبة العيد كما وعَدته .

فأخذتْ تُساوِمُ صاحب الحانوت فيه ساعةً ، والرَّجل يغالى به مغالاةً شديدة ، حتى علِمتْ أنَّ يدها لا تستطيع الوصولَ إلى ثمنه ، وأنَّها لا تستطيع العوْدَة بدونه ، فساقَتْها الضرورةُ — التى لا يَقْدِرُها قَدْرها إلا من حمل بين جَنْبَيه قلباً كقلب الأمّ ، وفؤاداً مُستَطاراً كفؤادِها — إلى أن تمُدَّ يدها خُفيةً إلى التِّمثال فتسرِقَه من حيث تَظُن أن الرجل لا يراها ، ولا يشعُر بمكانها . ثم رجعَت أدراجَها وقلبُها يخفُق فى آنٍ واحدٍ خَفقتَين مختلفتين ؛ خَفقةَ الجزع من عاقبة فَعلتِها ، وخفقة

---

(١) للسيد مصطفى لطفى المنفلوطى .

السرور بالهدية الجميلة التى ستُقدِّمها بعد لَحَظاتٍ قليلة إلى ولدها.
وكان صاحب الحانوت من اليقظَة وحِدّة النظر بحيث لا تفوتُه معرِفة ما يدور حولَ حانوتِه، فما برِحَت مكانها حتى تَبِعها يترسّم مواقع أقدامها، حتى عرف منزلها، ثم تركها وشأنَها، وذهب إلى مَخفَر الشُّرْطة، فجاء منه بجُنديين لِلقَبض عليها. وصعِدوا جميعاً إلى الغرفة التى تسكُنُها، ففاجأها وهى جالسة بين يدَى ولدها، تنظر إلى فرَحه وابتِهاجه بتمثاله نظراتِ الغبطة والسرور، فهجم الجنديّان على الأم فاعتَقَلاها، وهجم الرجل على الولد فانتزعَ التمثالَ من يده، فصرَخ الولد صرخةً عظيمة، لا على التِّمثال الذى انتُزِعَ منه، بل على أمّه المُرتَعِدة بين يديه، وكانت أوّل كلمة نطَق بها وهو جاثٍ بين يدَىِ الرجل: «رُحماكَ بأمى يا مولاى!» وظل يبكى بكاءً شديداً، فجمَد الرجل أمام هذا المنظر المؤثِّر، وأطْرَق إطْراقاً طويلاً، وإنه لكذلك إذ دقت أجراس الكنائس مُؤذِنَةً بإشراق العيد، فانتَفض انتِفاضةً شديدةً، وصعُب عليه أن يترك هذه الأسرةَ الصّغيرة المِسكينة حَزينة منكوبة فى اليوم الذى يفرح فيه النّاس جَميعاً، فالتفت إلى الجنديّين وقال لهما: «أظن أنى أخطأتُ فى اتّهام هذه المَرأة: فإنى لا أبيع هذا النّوعَ من التّماثيل» فانصرفا لشأنهما، والتفت هو إلى الولد،

فاستغفره ذنبه إليه وإلى أمه ، ثم مشى إلى الأم ، فاعتذر إليها عن خشونته وشدته ، فشكرت له فضله ومروءته ، وجبينها يرفض عرقاً ؛ حياء من فعلتها ، ولم يفارقهما حتى أسدى إليهما من النعم ما جعل عيدهما أسعد وأهنأ مما كانا يظنان .

لا تأتى ليلة العيد حتى يطلع فى سمائها نجمان مختلفان : نجم سعود ونجم نحوس ؛ أما الأول فللسعداء الذين أعدوا لأنفسهم صنوف الأردية والحلل ، ولأولادهم اللعب والتماثيل ، ولأضيافهم ألوان المطاعم والمشارب ، ثم ناموا ليلتهم نوماً هادئاً مطمئناً تتطاير فيه الأحلام الجميلة حول أسرتهم ؛ تطاير الحمائم البيضاء حول المروج الخضراء ، وأما الآخر فللأشقياء الذين يبيتون ليلتهم على مثل جمر الغضى ؛ يئنون فى فراشهم أنيناً يتصدع له القلب ، ويذوب له الصخر ؛ حزناً على أولادهم الواقفين بين أيديهم ، يسألونهم بألسنتهم وبأعينهم : ما أعدوا لهم فى هذا اليوم — من ثياب يفاخرون بها أندادهم ، ولعب جميلة يزينون بها مناضدهم ، فيعللونهم بوعود يعلمون أنهم لا يستطيعون الوفاء بها .

فهل لأولئك السعداء أن يمدوا إلى هؤلاء الأشقياء يد البر والمعروف ، ويفيضوا عليهم فى ذلك اليوم السعيد النزر القليل مما أعطاهم الله ، ليسجلوا لأنفسهم فى باب المروءة والإحسان ، ما سجل لصاحب حانوت التماثيل ؟

إن رجلاً يُؤمن بالله ورسله وآياتهِ وكتبه ، ويَحمل بين جنبيه قلباً يَخفُق بالرَّحمة والحنان — لا يستطيع أن يَملِك عينه من البكاء ، ولا قلبَه من الخفقان ، عند ما يرى فى يوم العيد — فى طريقه إلى معبَده ، أو مُنْصَرفِهِ من زياراته — طِفلةً مِسكينة باليةَ الثوب ، كاسِفَةَ البال دامعة العين ، تُحاوِل أن تتوارَى وراء الأسوار والجدران ؛ خَجَلًا من أترابها وصواحبها أن تقعَ أنظارُهنّ على بُؤسها وفقرها ، ورثاثة ثوبها ، وفَراغ يدها من مِثلِ ما تمتلِئ به أيديهِنّ ، فلا يجِد بُدًّا من أَن يدفَع عن نفسه ذلك الألم بالحنُوِّ عليها وعلى بؤسها ومَتْرَبتها ؛ لأنه يعلمُ أنّ جميع ما اجتمع له من صُنوف السّعادة وألوانها ، لا يوازى ذَرَّة واحِدة من السعادة التى يشعرُ بها فى أعماق قلبه ، عند ما يمسحُ بيده تلك الدّمعة المترَقرِقةَ فى عَيْنَيْها .

حسبُ البُؤَساء من مِحَن الدهر وأرزائه : أنّهم يقضُون جميعَ أيّام حياتهم فى سِجن مُظلم من بؤسِهم وشَقائهم . فلا أقلَّ من أن يتمتّعوا برؤية أشِعّة السعادة فى كل عام مرّة أو مرّتين .

## ٩ — سُرْعَةُ الضَّوء

### أَكْبرُ سُرْعة فى العالَمَ

كان القُدَماء يعتقِدون أَنّ سُرْعة الضَّوْء غير نِهائيَّة ؛ أى أنَّ الشّعاعة الضَّوْئية لا تَسْتَغرِق زمنًا ما فى قَطْع أيَّةِ مَسافة . وأوّل مَنْ كَشَف أن للضَّوْء سُرْعة مَحْدُودَة هو العالِمُ الفَلَكِىُّ الدّانِمَرْكِىُّ « رومر »[1] سنةَ ستٍّ وسَبْعين وستِّمائة وألف ميلادية ، وقدَّرها غيرُه من العُلَماء بطُرُقٍ مُخْتلِفة . وقد اتفقوا على أن سُرْعة الضَّوْء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال فى الثانية ، أوْ ثلثمائه ألف كيلومتر فى الثانية ، وهى أكبَر سُرعة مَعْروفة فى العالَمَ . ولِكَىْ يَتَصوَّر الإنسان عِظَمَ هذه السُّرْعة نُوَجِّهُ نَظَره إلى القِطار السَّريع الذى يَقْطَعُ فى السّاعة سِتِّين ميلا ، أى بسرعة ميلٍ واحدٍ فى الدَّقيقة ، أو جُزْء من سِتِّينَ من الميل فى الثّانية . والضَّوْء لا يَقْطَع كَسْرًا من الميل فى الثّانية ؛ بل إنه يَقْطَع ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثّانية ، وهى سُرْعَةٌ عظيمةٌ بلا شَك . وهناك حَقيقةٌ أُخْرى تُبيِّن عِظَمَ هذه السرعة ؛ وهى أن المسافة بين الشّمس والأرض ثلاثةٌ وتسعون مليون ميل تقريبًا ( ٩٢,٨٧٠,٠٠٠ ميل ) .

---

(١) Alaf Roemer

وأَشِعَّةُ الشَّمس تَصِلُ إلى الأرض بسرْعَة الضَّوْء العظيمة ؛ فتقْطع المسافة بَيْنهماَ فى ثمان دَقائق وتِسْع عشْرَة ثانِيَة ، فى حين أنّ هذه المسافة لو حاوَلَ أن يَقطَعَها القطار السريع الذى سُرْعته ستون ميلا فى الساعة لاستَغْرَق فى قَطْعِها خمسة وسبْعين ومائة عام — إذا استَمرَّ على سُرْعته هذه ليلَ نَهارَ بِدون توَقُّفٍ . فما أَعْظَم سرْعة الضّوْء وما أبْلَغ قُدْرة الله وأعْظَم حِكْمته ! .

ومن أغْرَبِ المصادفَاتِ أنّ مَوْجات اللّاسِلكى تَنتَشر بسرعة الضّوْء نفسها ، أى أنَّها تَقْطَع ١٨٦ ألف ميل فى الثانية ، أو ثلثمائة ألف كيلومتر فى الثَّانيـة ، أو بعبارة أخرى تقْطَع المسافة بَيْن أسْوان والإسْكَندرية ـ وهى خمْسة وسبعون وستّمائة ميل ـ فى جُزْء من ستة وسبعين ومائتى جزء من الثانية . وهذه السُّرعة العظيمة لِمَوْجات اللاَّسِلكى هى الّتى تجعل تلك الموجات الصادرة من أية مَحطَّة من محَطات الإذاعة فى العالم ، تدور حول الأرض من خَطّ الاستِواء سَبْع مرّات فى الثّانية الواحِدَة ؛ أى تدور حول العالم كلّه فى سُبْع ثانية . فالإذاعَة من إنجْلـتِرا أو من أَى بَلَد ناءٍ تَصِلنا فى أقلّ من هذه الفَتْرة الوَجيزَة التى لا تَـكادُ تساوى لَمْح البصر .

والإذَاعة فى إنجْلِترا مثلا تَصِلنا فى أقلّ من سُبْع ثانية ، فى حين

أنه إذا كان خَطيب مُفَوّه فى إنجلترا يخطب فى مَيْدان مُتَّسِع ، ويَسْتَمع له جُمْهورٌ كبيرٌ ، ورُئى لأهمية هذا الخطيب إذاعَة خُطبتَه فى المذيع — فإن المُستَمِعَ له بدُون جِهاز فى إنجلترا يَصِله صوت الخَطيب بَعْد ثانية واحِدَة — إذا كان على بُعدِ أربعين وثلمائة متر ، وفى نِصف ثانية إذا كان على بُعد سبْعين ومائة مِتْر منه . أما المستَمِع له فى مِصرَ بالجهاز فإنّه يسمَعه فى أقَلّ من سُبع ثانية بكثير ، أى أن من فى مِصرَ يَسْمعه قَبْلَ من فى إنجلترا ، وذلك لأنّ الأخير يُنقل إليه الصَّوْتُ بموْجات اللّاسِلكى بِسرْعتها العظيمة ، والأوّل — أى الذى يَستَمِع إليه فى إنجلترا بدون الجِهاز — يُنقَلُ إليه الصَّوْت بموجات الصَّوْت البطيئَة بالنِّسْبة لِمَوْجات اللّاسِلكى التى تفُوق سرعتُها سرْعةَ الصَّوْت بنحو مليون مرة . فالأولى ٣٠٠ مليون متر فى الثانية ، والثانية نحو ٣٠٠ متر فى الثانية ( مع تجاوز يسير لِسُهولَةِ الموازَنة فى التَّقدير ) .

## ١٠ — معاوية وليلى الأخيلية

قال بعض الرُّواة : « بَيْنَا معاويةُ يسير إذ رأى راكباً ، فقال لبعض شُرْطَته : « ائتنى به ، وإياكَ أن تُرَوِّعَهُ . » فأتاه فقال : « أجب أميرَ المؤمنين . » فقال : « إياه أردت . » فلمَّا دنا منه الراكب ، حَدَرَ لِثامَه فإِذَا ليلى الأَخْيَلِيَّة ، فأنشأت تقول :

معاوىَ لم أَكَدْ آتيك تهْوِى ... بِرَحْلِي نحو ساحتك الركابُ
تَجوبُ الأرضَ نحوكَ ما تأنَّى ... إذا ما الأُكْمُ قَنَّعها السرابُ
وكنتَ المرتجى،وبكَ استفادت ... لتُنْعِشَها إذا بَخِلَ السحابُ

قال معاوية : « ما حاجتُكِ ؟ » قالت : « ليس مثلى يطلب إلى مِثْلِكَ حاجةً . فتَخَيَّرْ أنت . » فأمر لها بخمسينَ من الإِبِل ثم قال : « أَخْبِرِينى عن مُضَرَ . » قالت : « فاخِرْ بمُضَرَ ، وحارِبْ بقَيْسٍ ، وكاثِرْ بتَميمٍ ، وناظِرْ بأَسَدٍ . »

فقال : « ويحك يا ليلى ؟ أَكَما يقول الناس كان تَوْبَةُ . »

قالت : « يا أميرَ المؤمنين ! ليس كلُّ الناس يقول حقًّا ، الناسُ شَجَرَةُ بَغْيٍ ، يَحْسُدُونَ النِّعَمَ حيث كانت ، وعلى مَنْ كانت . كان — يا أميرالمؤمنين — سَبْطَ البَنانِ ، حديدَ اللسانِ ، شَجَى الأَقرانِ ،

كريمَ المَخْبَرِ ، عفيفَ المِئْزَرِ ، جميلَ المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أَبْعُدْ عن الحق فيهِ .

بعيد المدى لا يبلغُ القَرْمُ شأوَه ... ألدّ مِلَدّ يغلِبُ الحقَّ باطلُه »

فقال معاوية : « ويحك يا ليلى ! يزعم الناس أنَّهُ كان عاهراً فاجرًا . » فقالت من ساعتها مُرْتَجِلةً :

معاذَ النُّهى! قدكان — واللهِ — تَوْبَةُ ... جواداً على العلّاتِ جمًّا نَوافِلُه

أَغرَّ خفاجيًّا ، يرى البُخْلَ سُبَّةً ... تُحالف كفَّاه الندى وأنامِلُهْ

عفيفاً بعيدَ الهمّ صُلْبا قناتُهُ ... جميلا مُحيَّاه ، قليلا غَوائِلُهْ

وكَان إذا ما الضيفُ أرْغَى بعيرَه ... لدَيْه أتاه نَيْلُهُ وفواضِلُهْ

وقد علِم الجَدْبُ الذى كَان ساريًا ... على الضيف والجيران أنَّك قاتِلُهْ

وأنَّكَ رَحْبُ الباعِ يا توْبَ بالقِرَى ... إذا ما لئيمُ القومِ ضاقتْ مَنازِلُهْ

يَبيت قَرِيرَ العينِ منْ كَان جارَه ... ويَضْحى بخيرٍ ضيْفُه ومُنازِلُهْ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ! لقد جُزْتِ بتوْبَةَ قَدْرَه . »

فقالت : « يا أميرَ المؤمنين ! واللهِ لو رَأَيْتَهُ وخَبَرْتَه ، لعلمتَ أنِّى مُقَصِّرَةٌ فى نعْتِهِ ، لا أبلغ كُنْهَ ما هو له أَهْل . » فقال معاوية : « فى أىِّ سِنٍّ كَان ؟ » قالت : « يا أميرَ المؤمنين !

أتتــه المنايا حين تمّ تمامُه ... وأقْصر عنه كل قِرْنٍ يُناضِلُهْ

وصار كَلَيْثِ الغابِ يَحْمِي عرينه    فترْضى به أَشْبالُهُ وحلائِلُهُ
عطوف حليم حين يُطلَبُ حِلْمُه    وسُمٌّ زُعافٌ لا تصاب مقاتِلُهْ »

فأمر لهـا بجائزة وقال : « أى ما قلتِ فيه أَشْعَرُ ؟ » قالت : « يا أميرَ المؤمنين ! ما قلت شيئاً إلاَّ والذى فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أَجَدْتُ حيث أقول :

جزى اللهُ خيرا والجزاء بكَفّهِ    فتًى من عقيل ساد غيْرَ مُكَلَّفِ
فتًى كانت الدنيا تهون بأسْرِها    عليه فلم يَنفَكّ جَمَّ التَّصَرُّفِ
ينال عَلِياتِ الأمورِ بهُوَنةٍ    إذا هى أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُسوَّف »



## ١١ — الربيـــع

دارَ الفَلَكُ دَوْرَتَه ، وعاد سِيرَته ، فسرت فى أعصاب الأرض هزَّة الحياة ، وتفجَّرت عُروقها بالمياه ، وسالت قمم الجبال جداولَ وأنهاراً ، واشتَعلت الأرض أزهارًا وأشجارًا .

تَبرَّجَتْ بعـــد حَياءٍ وخفر تُثْنِى على الله بآلاء المطـــر

صَرَّحَت الأرض بمكنونها ، وأبانت الحياةُ عن ضميرها ، فَنَبَتَتْ معانى الحياة والجمال ، فى ألفاظ من الأوراق والنُّوار .

باح الرَّبيع بأسرار البَساتين وعطّر النَّفسَ أنْفاس الرَّياحين

ونَفخَت أنفاس الرَّبيع الحرّة الحيـاة فى كل ذرَّة ، فأخْرجَت قُواها أعشاباً وأزهارًا ، فرَّقتْها ألوانٌ وألَّفتها معان .

لم يَبْقَ للأرض من سرٍّ تكاتمه إلا وقد أظهرته بعـــد إخفاء
أَبْدَتْ طرائفَ شتَّى من زَوَاهِرها حُمرا وصُفرا وكلٌّ نبتُ غَبْراء

أىُّ مَسْرح للفكر ! وأَى مَجال للخيال ! وأى مَدى للطَّرف !

دُنيـا معاشٌ لِلْوَرى حتى إذا جاء الربيعُ فإنما هى مَنْظَرُ

* * *

وفى أرْجُوَانِىّ من النَّور أَحمرٍ يُشابُ بإفْرِنْدٍ من الرّوض أَخْضَرِ

إذا ما النَّدى وافاه صبْحًا تمايَلَتْ أعالِيه من دُرٍّ نَثير وجَوْهر
إذا قابلَتْه الشمس رَدّ ضِياءها عليها صِقال الأُقْحوان المنــوّر

والطير مُغَرِّدات كأن أصواتهـا ذَوْبُ هذه الألوان ، وكأن ألوان الروض جَمَد هذه الألحان . يهْـتَزُّ الطائر الغِرِّيدُ على الغُصن الأُمْلود ، فيقرأ ما تحته من صَفحات الجمـال ، كأنما الطير إبر الحاكيات تَنطِق بما تضَمَّنَت الصفحات من نغمات . والعُصفور مَرِحٌ تَتَداوَله الأغصان ، وتَتهادَاه الأفْنـان ، تارة فى انْـتزاء بين الأرض والسَّماء ، وتارة تُغَيِّبُه الحديقة ، كأنَّه فى هذا الجمال فِكرة دقيقة . صغيرٌ تَمْلأُ الهواء نَغَماته ، وضَئيلٌ تشغل الجو خَفَقاته .

والفَراش قَلِقٌ بين النـوّار ، هائم بين الأزهار لا يَقِر له قَرار ؛ كأن كل فَراشة زَهرة طائِرة ، أو قُبلة بين الأزهار حائِرة ، أو نَغمة فى جمال الروض سائرة .

والشعراء يُنافِسون الطير فى الأيك طَرَباً وتَغرِيداً ، وفى المرْج تَسْبيحاً وتحميداً ، وتَنبَجِسُ فى جَوانحهم ينابيع البيـان ، وتَتَفَتَّحُ سَرائرهم عن أزهار الشِّعر ، ففى كل قلب ربيع ، ومن كل قصيدة رَوْض ، وفى كل معنى وَرْدة ، وعلى كل قافية نَغمة .

هكذا تَفيضُ الحياة على الجماد والنَّبات والحيوان ، ويَنتَظِمُ الجمالُ

الخليقةَ والإنْسان ، كأنما العالم كلُّه فكرةٌ واحدة أو قصيدة خالِدة .

ذلكم الرَّبيع الذى فَتَنَ الناس ، فافْتَتَنُوا فى وَصْفه ، والإِبانة عن مَحاسنهِ ، والإِشادة بذكره ، والاحْتِفال بمَقْدَمه ، واتخَذَتْه الأمم — على اختلاف المذاهِب — عيداً ، ومَجَّدتْه بشَتَّى الوسائل تَمْجيداً ، وأُولع به الشُّعراء فى كل قَبيل ، ولم يَخْل من المفتونين به جِيل .

والناس فى مصر فى ربيع دائم ، من أرضهم ، وسمائهم ، وزرعهم ، ونيلهم ، فهم لا يُحسّون مَقْدم الربيع إلا قليلا . ولو أنهم عرفوا كَلَبَ الشِّتاء وانجماد الهواء ، وقُشَعْريرَة الأرض وقَسْوة السّماء ، ورأَوْا كيف تموت الطبيعة فى زمن ، وتَلْتَفُّ من الثلج فى كَفَن ، وقد غاب فى الثَّلج الربيع وحسنه ، كما اكْتَنَّ فى البيض فراخُ الطواويس ، ثم شَهِدوا كيف يأتى الربيع فيُكَهْرِب كلَّ ذَرَّةٍ ، ويُفِيض كل عين ثرَّة ، ويخلق كل جَنَّة نَضِرة — لاحْتَفَوْا بالربيع احْتِفاء غيرهم ، وعَرفوا فيه النُّشور بعد الموت .

على أن للربيع فى مصر سِماتٍ يُسرّ لها الإنسان ، وشياتٍ أبصرها الشّعراء فى كل زمان .

جاء الربيع فَليْتَ فى كل قلبٍ من صَفائه قَطْرة ، وفى كل نَفْسٍ من جَماله زَهْرة ، وفى كل خُلق من عَبيره نَفْحة ؛ لِتَعْمُر النّفوس بمعانى الحياة ،

وتَسْتَنير بأَشِعَّة الجمال ! ويسْكُن الناس إلى السَّعادة حيناً ، ويَنْسوا أساليب العَداوَة والبَغْضاء زَمَناً وليت الناس جرَوْا مع الحياة طلقها ! ولم يُفْسِدوا على الطبيعة خلقها ؛ فأَنْبت الربيع فى كل قسوة رحمة ! وفى كل يَأس أملا ! وفى كل حُزْن سروراً ! وفى كل ظلام نُوراً .

ليتهم اجْتمعوا على ورْدِ الحياة مُتَصافين ! كما تَرِفُّ على جَداوِل الربيع الرَّياحين .

ومما قيل فى وصف طيور الربيع :

حَيَّتْك عنّا شَمالٌ طاف طائفُها بجنَّة فَجَرَتْ راحاً وريحانا
هَبَّتْ سُحَيْراً فناجى الغصن صاحبَهُ سرًّا بها وتداعَى الطيرُ إعلانا

*
* *

وُرْقٌ تُغَنِّى على خُضْرٍ مُهَدَّلَةٍ تسمو بها وتَمَسُّ الأرضَ أحيانا
تَخَالُ طائِرَها نَشْوانَ من طَرَبٍ والغصنَ من هَزِّهِ عِطْفَيْهِ نشوانا

## ١٢ — عُلوّ الهمـــة

جَديرٌ بالإنسان — وقد سخَّر الله له ما فى هذا العالم ، ومكَّن له فى الأرض ، وجعله سيدَ مخلوقاتِه ، وفَطَره على أفضل صورةٍ وأحسنِ تقويمٍ ، ومنحَه عقلاً مُرشدًا ، ونفسًا توّاقةً — أن يَفسَح لنفسه مجالَ الأمل ، ويُوسّعَ سبيلَ العمل ، وأن يعلوَ بهمَّته إلى حيثُ يُراجِح النّجومَ ، ويُطاولُ الغُيومَ ؛ فإن الهمَّة أبعدُ منها مُرتقًى ، وأرفعُ أُفُقًا .

أجَل ! حقيقٌ به أن يطلُبَ المجد ، وأن يجرى مع همته إلى أبعد مدًى ، وأسْمَى غايةٍ ، وألاّ تَثنِيَه عقبَةٌ تعترِضه ، أو مشقَّةٌ تلحقُه عن دَرْكِ أمنيَّته ونيلِ بُغْيتِه .

ومَن تـكن العلياءُ هِمَّة نفسِه   فـكلُّ الذى يَلقاه فيهـا مُحبَّبُ

إنّ العظيم لا تزيده المشقّاتُ إلا مُضِيًّا فى سبيله ، وإقدامًا فى طريقه ، يتخطّاها بعزيمةٍ صادقةٍ ، وهِمَّة فائقةٍ ، لا يركَنُ إلى الراحة ، ولا يأنَسُ بالدَّعة .

ذلك طريقُ المجد ، ومجالُ العظمة لمَن شاء أن يكون عظيماً .

قال عمرُ بن الخطّاب رضِيَ الله عنـه : « لا تَصْغُرن همتُك ؛ فإنى لم أرَ أقعدَ بالرّجل من سُقوط ِهمّته . » وقال الشّاعر :

حاول جَسيماتِ الأُمور ولا تَقُل إن المحامِدَ والعُــلا أرزاقُ
وارغَبْ بنفسك أن تكون مقصِّرًا عن غايةٍ فيها الطِّلابُ سِباقُ

ويقول المتنبي :

ولم أرَ فى عُيوبِ الناس شيئًا كنقصِ القادرين على التَّمامِ

فمن أَراد أَن ينالَ مراتِبَ الكمال ويبلُغَ ما بلغه أولئك العظماء ، ذوو النُّفوس العاليةِ من العلماء الأجِلَّاء ، والصُّناعِ الحاذِقين ، وذَوِى الثراء الوافر والأقدارِ السّامية — فليَدفع بنفسه إلى مَواطن الجِدِّ ، ومسالك العمل ، ولْيَصبر على ما يَمسُّه من عناءٍ ، أو يَناله من نَصَبٍ ، فما أُدرِك نعيمٌ إلا ببؤسٍ ، ولا نِيلَ عظيمٌ إلا بجَسيم ، والمكارِمُ مَوصولةٌ بالمكارِه .

فقُـل لمُرَجِّى مَعالى الأُمورِ بغيرِ اجتهادٍ رجوتَ المُحالا

قال يزيدُ بنُ المُهلَّبِ : » ما يسرُّنى أنى كُفيتُ أمرَ الدُّنيا ؛ لئلاّ أتعوَّدَ العجزَ . » وقال الأحنفُ بنُ قَيسٍ : « إيّاك والكسلَ والضَّجرَ ؛ فإنك إن كَسِلتَ لم تُؤَدِّ حقًّا ! وإن ضَجِرْتَ لم تَصْبِرْ على حَقٍّ

لا تضجرَنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَعجزَةٌ فالنُّجح يَهلِك بين العَجزِ والضَّجرِ »

وإذا نحنُ نظرنا إلى العُظماء الذين سَجَّل التَّاريخُ أسماءهم ، وأبْقَى ذِكرَهم مُخلدًا ، وجَدْنا أنهم أضنَوْا أجسامَهم ، وأفنَوْا أعمارَهم فى طلبِ

المجد ، واقتَحَموا الأخطارَ ، وجابوا الأقطار ، ورافَق حظُّهم جِدَّهم ، وأضاءت لهم هِمَمُهم مناهِجَهم ، فبلَغوا الغايةَ ، وأدرَكوا المُنَى . فمن اقتفَى أثَرهم أوشَك أن يَلحقَهم ، وكلُّ مَنْ سار على الدَّرب وصَلَ .

أَخلِق بذى الصَّبرِ أَن يحظَى بحاجَتِهِ ومُدمنِ القرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

وَأما من خاف المتاعبَ وَتهَيَّبَها ، وَزَيَّنَت له نفسُه الرِّضَا بما هو فيه ، فليس خليقاً بالمجدِ ، وَلا جَديراً بالشَّرف ، يعيش خاملَ الذِّكرِ ، ساقط المنزِلة .

إذا لم يَكُن لِلفَتى همةٌ تُبَوِّئُه فى العلا مَقعدَا
ونفسٌ يُعَوِّدُها المكرُماتِ والمرءُ يلزم ما عُوِّدا
ولم تَعْدُ همتُه نفسَه فليس ينال بها السؤدُدَا

# ١٣ — من وَفاء العرَب

العرب تضرب المثل فى الوفاء بالسَّمَوْءل بنِ عادِيا الأَزْدِىّ ، وكان من خبره أن امرأَ القَيْس بن حجر أَوْدَعه مائة دِرْع ، فأتاه الحارثُ بن ظالم — وقيل الحارث بن أبى شمر الغسّانى — ليأخذها منه ، فتحصن منه السموءل ، فأخذ ابناً له غُلاماً ، وناداه : « إما أن أَسْلَمْتَ إلىّ الأَدْرع ، وإما أن قَتلْتُ ابنك . » فأبى أن يُسَلِّمها ، فقتل ابنه بالسيف ، ففى ذلك يقول :

وَفَيْتُ بأَدْرُع الكِنْدِىِّ إنى ... إذا ما القوم قد غدَروا وَفيت
وأَوْصى عادِيًا يوماً بأنْ لا ... تُهَدِّم يا سموْءل ما بنيت

وفيه يقول الأعشى :

كن كالسَّمَوْءل إذْ طاف الهمام به ... فى جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيْل جرّار
الأَبْلَق الفَرد من تَيماء مَنْزِله ... حِصْنٌ حَصينٌ وجارٌ غير غدار
قد سامه خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له : ... قل ما بَدا لك إنى مانع جارى
فقال : ثُكلٌ وغَدْرٌ أنت بينهما ... فاخْتَرْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فَشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له : ... اُقْتُلْ أسيرَك إنِّى مانِعٌ جارى

ومن وفاء العرب ما فعله هانئُ بن مسعود الشَّيْبانى ، وكان من خبره أنَّ النعمان بن المنذر لما خاف كِسْرَى ، وعلم أنه لا منجى له منه

ولا مَلجأ ، رأى أَن يضع يده فى يده ، فأودع أهلهُ وماله عند هَانئ ، ثم أتى كسرى فقتله ، وأرسل إلى هانِئٍ يُطالِبُه ودِيعَة النُّعمان ، وقال له : « إِن النُّعمانَ كان عاملى ، فابْعَثْ إلَىَّ بوديعتِه ، وإِلا بعثْت إِليك بجنود تقتل المقاتِلة ، وتُسْبِي الذرِّية . » فبعث هانئ : « إن الذى بلغك باطل ، وإِن يكن الأمر كما قيل فإِنما أنا أحد رجلين ؛ إِما رجل اسْتُودعَ أمانة فهو خليق أن يَرُدَّها على من استودعه إِياها ، ولن يسلم الحر أمانته . أو رجل مَكْذوب عليه ، وليس يَنْبغى للملك أن يَأخُذَه بقول عَدُوّ . » فبعث كسرى إِليه الجنود ، وعقد لإِياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبعث معه الكتيبة الشهباء ، وبعث معه الأساورة ،

فلما التقوا قام هانئ بن مسعود ، وحرّض قومه على القتال ، وجرى بين الفريقين حروب كثيرة كان النصر فيها لهانئ .

وكان مِرْداسٌ فى سجن عبد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السَّجان : « أنا أُحب أن أُوليك حَسَنة . » قال : « فإِن أَذِنتُ لك فى الانْصِراف إلى دارك أَفتَدْلِجُ عَلَىّ ؟ » قال : « نعم . » وكان يفعل ذلك به . فلما كان ذات يوم قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد ، فأمر أن يُقتل من فى السِّجن من الخوارج ، وكان مِرْداس إذ ذاك خارجاً ، فقال له أهله : « اتّقِ الله فى نفسك فأنت مَقْتول إِن رَجَعْت . »

فقال : « ما كنت لألقى الله غادرًا ، وهذا جبّار ولا آمن أن يَقتُل السَّجّان . » فرجع وقال للسَّجّان : « قد بلغنى ما عزم عليه صاحبك من قتل أصحابنا ، فبادَرْت لئلّا يَلْحَقَك منه مكروه . » فقال له السَّجان : « خُذ أىَّ طريق شِئْت فانْجُ بنفسك . »

وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب إلى بعض جبابين الشام ، وإذا بامرأة جالسة عند قَبْرٍ تبكى ، فجاء سليمان ينظر إليها ، فقال لها يزيد ، وقد عجب سليمان من حُسْنها : « يا أمة الله ! هل لك فى أمير المؤمنين بَعْلًا ؟ » فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القَبر وقالت :

فإنْ تَسْألانى عن هَواىَ فإنَّه ... يحول بهذا القَبْر يا فَتيان
وإنِّى لأسْتَحْييه والتُّرب بيننا ... كما كنت أسْتَحْييه وهو يَرانى

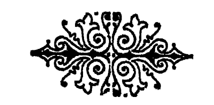
ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت القرافصة ، زوج عثمان ابن عفّان ( رضى الله عنه ) : أن معاوية خطبها فردته ، وقالت : « ما يُعْجِب الرجالَ منى ؟ » قالوا : « ثناياك . » فكسرت ثناياها ، وبعثت بها إلى معاوية .

وقيل : لما قوى أمر بنى العباس وظهر ، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيي كاتبه : « إنّا نجد فى الكتب أن هذا الأمر زائِل عنّا لا مَحالة ، وسَيَظْهر إليك هؤلاء القَوم — يعنى ولد العباس — فَصِرْ

إليهم ، فإنِّى لأرْجو أن تتمكن منهم فتنفَعنى فى خلفى ، وفى كثير من أمورى . » فقال : « وكيف لى بعلم الناس جميعاً أن هذا عند رأيك ؟ وكلهم يقول : إني غدرت بك ، وصِرْت إلى عدوّك . » وأنشد :

أسِرُّ وَفاءً ثم أظْهِرُ غَــــدرة ! فمن لى بِغَدرٍ يوسع الناسَ ظاهره ؟

فلما سمع مروان ذلك ، علم أنه لا يَفْعل ، ثم قال له عبد الحميد : « إنَّ الذى أَمَرْتنى به لأَنْفع الأمْرَيْن لك ، وأَقْبَحهما بى ، ولك علىّ الصَّبر إلي أن يَفْتَح الله عليك أو أُقتلَ معك . »



# ١٤ — إبرة المغناطيس

جلستُ إلى مكتبي البارحةَ ، فوقع بصرى على « بيت الإبرة » ، فانفتحت أمامى سبُل من الفكر ، لا تحدُّها غاية ، وإنِّى إذ أحاول أن أُقيِّد هذه الفكَر على القِرطاس ، لمحَاول أن أُسَلسِل بهذه الأحرف خَطَرات الفكر الخاطفةَ ، التى تَطوى الأجيال والأقطار فى لمَحات ، وتجمَع السّماء والأرض فى طَرْفة عينٍ .

قلتُ : « ما أعجَبَ هذه الإبرةَ ؛ إنّها هادية لا تَضِل ، عارفة لا تُخطئ ، تنتَحى الشَّمال مهما أدرتَها عنه ، ولا تَنْسى عهد المغناطيس مهما أبعدَتها منه . ومهما جَمعتَ عليها من الُحْجب والظُّلُمات ، وأضعَفتَ لها فى المسافات ، فهى مُولِّية وجهَها شَطرَه ، مُحِسّة جَذبَه مَوصولة به ، شاعرة بوَحْيه لا تَنساه ولا تُشرِكُ فى هواه . ليت شِعرى أأهدى من الإنسان هذه الإبرة الصغيرة ؟ أجل ! إنّها لتهدى الإنسان فى البرّ والبحر والسفر والحضر . »

أحسستُ حينئذ خفَقان قلبي يُذكّرنى أن فى صدر الإنسان إبرةً أخرى مُرشِدة هادية ، تتوجَّه شَطْر معدِنها أبدا ، ولا يصدّها عنه تطاوُل الأَمَد وبُعد المدَى .

أَلَمَ تَهدِ هذه الإِبرة الأمم فى ظلمات الجاهليّة وغَيابات القرون ، فعصَمتهم على العِلّات من الهلاك ، وأخرجَتْهم إلى النور على تكاثُف الظلمات ، ولا تزال هادية بصيرة بالغاية ، خبيرة بالسَّبيل إليها . كم عبّدت الإنسان شهواتُه ، وأضلّته عن الخير مطامعُه ، فما زالت هذه الإبرة تضطرب فى صدره حتى اهتدى سبيل النّجاة ، ووضع على هُداها منارَ الطريق . كم طغَتْ بالإنسان ضغائنُه وأحقاده ، فما زالت هذه الإبرة تخفُق فى جوانحه حتى عرف إلى الأُلفة والمودّة السبيل ، واستقام على النَّهج لا يميل . وكم غلا الإنسان فى ظلمه وعُدوانه ، فما زالت تتحرّك فى أضلاعه حتى أشعَرته نفسها ، ثم ردّته إلى خطّة للعدل محمودةٍ ، وسبيل من الإنصاف رشيدةٍ . وكم غدر الإنسان ثم اهتدى بها إلى الوفاء ، فندِم على ما قدَّم ، واغتبَط بما اهتدى . وكم أجرَم الإنسان فوخزَته فأفاق ، فكأنَّما صُوّر خلقاً آخر ينفِر من الإجرام ، ويركَن إلى السّكينة والسَّلام . وكم سفُلت بالإنسان سجاياه ، فعمِلت فى صدره حتى سَمت به إلى العلياء ، وطارت به من الحضيض إلى عَنان السماء . وكم وقفت بالإنسان همّته ، فدفعَتْه هذه الإبرة العجيبة ، فمضى قُدُماً إلى العمل ، وهَمزتْه فدأَب لا يعرف الكلَل . وكم أظلم على الإنسان طريقُه ، وعمِيت عليه أرجاؤه ،

وأطبَقت عليه سحائبُ سوداء ، وأحاطت به ظلمات لاشِيَةَ فيها من الضّياء ، فنظر إليها فإذا هى إلى الغاية دليل ، وإذا هى فى الظلمات قد استقامت على السبيل . وكم حارت بالإنسان آراء مُضِلّة وأفكار غائِلَة ، وأقوال ساحِرة ، فلمّا هلَك أو كاد ، ودارت به الحَيْرة والإلحاد ، أحس اضطرابها فى نفسه فسكَن ، فتهافَتتِ الآراء ، وتهاتَرت الأقوال ، وثاب إليه هُداه ، فوجد أمامه الله .

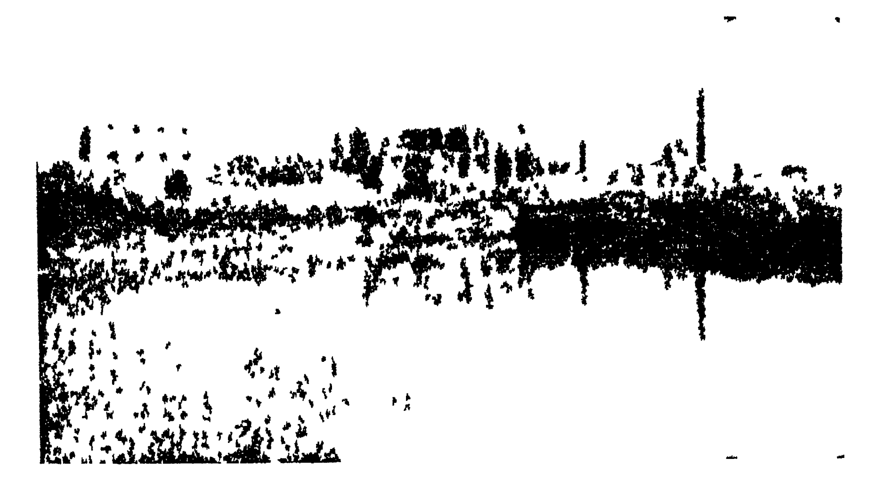
إيه أيتُهـا الإبرة الهادية ! ضل الإنسان فى صباه وهَرَمه ، وجهله وعلمه ، وسعادته وشقائه ، ووحدته واجتماعه ، وحَلّه وتَرحاله ، لولا هداية من الله فيكِ ، وبصيصٌ من نوره فى نواحيكِ ، وصِلة به لا تنقطعُ ، وشعور به لا يَضِل ، وجَذْوة من حبّه لا تَخْمُد .

وأما الذين أضلَّتهم الأهواء ، فعميت عليهم الأنباء ، وتخطّفتهم فى الحياة المـآربُ ، فتَذبذَبوا بين شتّى المذاهب ، وشرّق بهم مطمَع ، وغرّب آخر ، وتلوّنت لهم غيلانٌ من الآمال والأعمال ، والذين فقَدوا أنفسهم وهم لا يشعُرون ، وضل سَعْيهم وهم يحسِبون أنهم مُهتدون ، والذين يلبَسون كلّ يوم دِيناً ، ويُبدِّلون كلّ حين رأياً ، ويلبَسون لـكل دَوْلةٍ وجهاً ، ولـكلّ سُلطان زِيّا ، ويتّخذون لـكل ساعة لساناً ، ولـكل فُرصة وِجداناً ، فأولئك أغفَلوا النّظر إليكِ ، فحُرِموا الاهتداء بكِ ، بل أولئك فى إبرتهم خَللٌ قد عرَض ، وأولئك فى قلوبهم مرضٌ .

## ١٥ — مع الفراعنة فى طيبة الأحياء*

بين جبال ليبياء وعلى نحو فرسخين من شاطئ النيل الأيسر طيبةُ الأموات ، وفيها مَعابد الدار الآخرة . فيها لُحود الرّعية ، وأجداث الأمراء ، ومقابرُ الملوكِ .

وعلى الشاطئ الأيمن تقوم الأقصرُ ؛ حيث كانت تقوم طيبةُ الأحياء ، وفيها برية الأقصُر ، وفيها الأطلال الدّوارسُ التى تحدّث إلى الأجيال المتعاقبة لمستَقْبلٍ بعيدٍ عن أجيالٍ نائيةٍ فى ماض سحيق — فيها معابدُ الكَرْنَك الكبرى



بعض مناظر الكرنك ومنها البحيرة المقدسة

(*) الدكتور محمد حسين هيكل باشا من كتابه « فى أوقات الفراغ »

معابدُ الـكَرنكِ : هيا كلُّ النّيل التى ظلّت آلافَ السنينَ تتعاتَقُ هى ومياهَ النّيل ؛ معابدُ خونْسو ، وأوزريسَ ، وآمون ، وسيتوسَ ، وطريق آباء الهوْلِ ، والبُحيرةُ المقدَّسة — أطلالُ طيبةَ الأزليَّةِ الباقيةِ . عظمةُ الماضى ومَجْدُ التاريخ .

المدنِيَّة البائدة الخالدةُ . الإنسانيّة فى كمالها الأسمَى . آثارُ أجدادِنا العِظامِ . آثارُ المصريينَ الذين حكَموا وسادوا . حكَموا بالعقل والعِلْم ، وسادوا بالمحبَّة والحِلْم . تلك هى الآثارُ الدارِسة القديمة المبعْثرة فوق ثَرى الوادى على مَقْربة من الأقصُر إلى الجانب الأيمن من النّيل . تلك هى الأحجارُ الناطِقه فى صَمْتها بمعانى العظَمة ، المحدِّثةُ ببلائها عن أُلوف السنينَ التى مرّت بها من يومَ شادَها أجدادُنا هيا كِلَ لعبادَتهم ، ومستقَرًّا لِعلم آلهتِهم ، وذِكْرًا لأشخاصِهم التى سبقَت التاريخ من غير أن يدور فى وَهمِها أن سيبْقى ذكْرُها زينةَ التّاريخ ما بَقِيَ التاريخ .

معذِرةً ! . . . لقد كنتُ أُريد أن أصِف معابدَ الـكَرْنك ، وأن أذكُر طرَفًا من تاريخها ، وأن أتحدَثَ عن بنائها ، وعن ضَخامتها . وعن رِفعتها وَكنت أُريد أن أَقرِنها إلى ما رأيتُ من آثار الروَمان فى روَما ، وَفى مُدن فرنسا ؛ فى نيمَ ، وَإرل ، وإفنيون ، وروَيا

فلم تكد أسماء معابد الكرْنك تمرّ أمامى حتى امتلأ بعظَمَتها وبقداسَتها خيالى ، وَحتى تضاءل ما رأيتُ من آثار اليونان وَالروَمان . وَهل ترى فى الوجود أثرًا لا يصغُر ويتضاءلُ وَيفْنى إذا ذُكِرت عظمةُ معابد الكرْنك — وبينها معبدُ آمونَ .

قُرُونٌ جاءت على آثار روما ! وعلى آثار أثينا . وللقِدم هيْبتُه ! ولجِراح الماضى فى تلك الآثار قداستُها ، وللفنِّ عظمتُه ، وللإبداع الفنىِّ فى تلك الآثار احترامُه . وأنت — ابنَ اليوم — لن تستطيعَ مهما فاخرتَ بعلم عصرِك وفنِّه ودِقَّته ، إلا أن تَقِف أمامَ تلك الآثار التى جاءت عليها القرونُ معجباً خاضِعاً . . . فإذا وقفتَ بين أطلالِ الكَرنك لم يكفِك الإعجابُ وَلا الخضوعُ وَلا التقديسُ ، لأنك ترى آثارًا تفوق آثارَ مدينتك الحاضِرة عِظَماً وَقوَّةً وَإبداعاً وَدِقَّـة . لست أَغْلو ، ولكنى لا أستطيعُ أن آتىَ على الوَصف الذى يبعث إلى نفسِك الإجلالَ وَالبَهر اللذين ملأَا نفسى حينما كنتُ بين هذه الآثارِ ، وَاللذين تركا فى نفسى أثرًا سيبقَى إلى أن تزوَلَ من بين الأحْياء نفسى . وَإن لم يُتِح لى القدَرُأن أَعودَ إلى طيبةَ المقدّسةِ مرّةً أخرى .

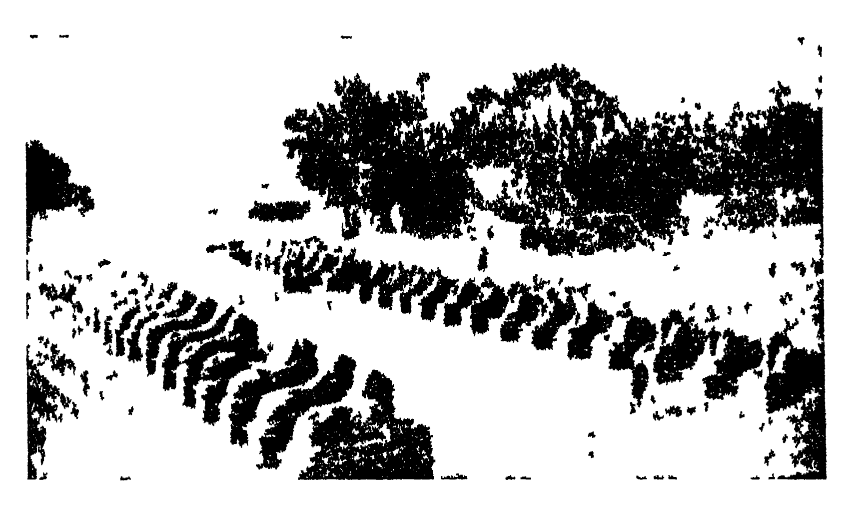
كلا ! لستُ أستطيعُ أن أصِف لك هـذا المشهَد ؛ لأنه ليس

مكوّناً من أحجارٍ، ولا من صوَرٍ وتماثيلَ ، ولكنهُ مكوّنٌ من ماضٍ عريقٍ فى القِدَم والعظمةِ ، عريقٍ فى الجلال والهَيْبة ، عريقٍ فى الإبداع والدّقةِ ، عريق فى كل ما تريدُ الإنسانيّة اليومَ أن تَصِلَ إليه من قوّةٍ وعِزّة وجاهٍ وسعادةٍ ، وفيما تُنْفِق فى سبيله الجهودَ الكِبار . ثمّ هى تراه أمامَها أملاً قد لايتحقّق على القُرونِ .

معابِد الكَرْنَك ؛ هياكِل آمونَ ، وسيتوسَ ، وتتموزسَ ، وفِتاحَ . وفى مُقدّمَتها طريقُ آباء الهَوْلِ ، وعلى أبوابها درجات الطّولِ والعرض ؛ لتَعرِف أَين أنتَ من كُرةِ الأرضِ . وبينها معابدُ آلهةِ الخير والشّر تُطالِعُها الشمسُ ظهيرَةَ كلّ يومٍ ، لتُطْلِعها على آثام النّاس وحسناتِهم . ومن خِلالها تماثيلُ رمسيسَ وتُحتمُسَ وآلِ فرعونَ . وفى غايتها البحيرةُ المقدّسةُ .

ألستَ ترى هذا الجمعَ من كَهَنة آمونَ قادِمين على شاطِئ النّيل إله الخير والخِصْب ، وهم ينظُرون إلى مياهِه الهادِئة فى مَوْجِها نظرةَ اعتِرافٍ بالجميل وتقديسٍ وإجلالٍ ؟ ألا تراهُم يريدونَ أن يسلكُوا سبيلَهم إلى معبد إله الشمس آمونَ ؛ ليُرتّلوا لمبعَث النور والدّفء آياتِ الثّناء والحمدِ ؟

ها هم أولاء انعَطَفوا فى طريق آباء الهولِ بين تماثيلِ السّباعِ رُكِّبت عليها رءوسُ كِباشِ الغنم ، وازدان صَدْرُها بتِمثالِ آمونَ ، فجمَعت بين القوّة والعظمةِ ، والحنانِ والرأفةِ ، والقَداسةِ والهيبةِ .



طريق آباء الهول

وتتالت كثيرةً متتابعةً تزيدُ الجْمعَ بكَثرتها خُشوعًا ، و بنِظام تتابُعها رَهْبةً ومهابة . وقام أمام الجْمعِ مدخلُ المعبَد الضّخمِ الرفيع لا تُدْرِكُ شُرفَتَه نظرةُ الخاشع السّائر فى هذا المشهدِ الرّهيب .

هاهم أولاء تخطّوا المدخلَ فأحاطَت بهم نُصبُ الآلهة وتماثيل الملوك ، ومن حولها العُمُد الرّفيعة الشّاهِقة ، فلمّا نادى رئيسُ الكَهنة باسم آمونَ خرّوا جميعاً سُجَّداً .

كان هذا الجمعُ يتخطَّى هذه المشاهِدَ بملابسه الكهنوتيَّةِ ، وقلبُه مُمتلِئٌ قداسةً وإجلالاً وإِكباراً . أما أنت فتمرُّ فى طريق آباء الهَوْل وترى مَدخَل معبدِ آمونَ ، وتتخطَّى إلى داخله فترى هاماتِ الكِباشِ طائرةً عن أجساد السِّباع ، وترى تماثيل آمونَ القائمةَ على صدورها أَبْلاها مَرُّ القرون ؛ وترى معبدَ آمونَ تحطَّمت نُصُبه ، وتَداعَت تماثيلُه ، وتَطايَرتِ رءوس عُمُده ؛ ثم لا يكون قلبُك الَّذى امتلأ بالقَداسة والإِجلال والإِكبار أقلَّ خُشوعاً من قلوب هذا الجَمْعِ بملابِسه الكَهنوتيَّة .

وتتخطَّى بين هذه الآثارِ مِسَلّاتٍ رفيعةً ، وعُمُداً لا تَمَلُّ العينُ التَّحديقَ بها ، ونُصباً فوقَها تماثيلُ بالِغةٌ فى الإِحكام — وجُدراناً ترى الطَّيْرَ والوَحش قد زَيَّنت سطحَها . وذلك كلُّه — وما هو حولَه من مثله وممّا هو أعظمُ منه وأبدعُ — قائمٌ فوق مُتَّسعٍ من الفلاة لا يجىء عليه الناظِر فى مدَى نَظرته ، ولا يتخطَّى واحداً إلى ما بعدَه من غير أسفٍ على تخَطِّيه .

كيف كانت تُنْحَت تلك التماثيل العظيمة ، وكيف كانت تُرفع فوق تلك النُّصبِ ؟ وكيف كانت تُقام تلك العُمد ؟ وكيف كانت تَصل إلى قِممِها شُرفاتُها البَديعةُ النقشِ ؟ وكيف كانت تحمل فوق تلك الشُّرفات

الأحجارُ الضَّخمة التي تصل العمدَ بعضها ببعضٍ ؟ أي فنّ ، وأي عِلْمٍ وَأي مَقْدِرَةٍ كانت تقوم بذلك كلِّه ؟ وَأين من هذا الفَنِّ وَالعلمِ وَالمقْدِرَةِ فَنُّنا وَعلمنا وَمقْدِرَتُنا ؟ وَهل لنا أن نُباهِيَ أهلَ تلك العُصور البائِدةِ . . . ؟

معابدَ خوفو وفتاحَ وآمونَ ! آياتِ المجدِ والعظمةِ ! آثارَ الكَرْنكِ الخالِدةُ ! كلاَّ . لن يُحيط بك وصفُ الواصفِ إلا إذا وَقفَ عليكِ من حياتِه سنينَ طِوالاً .

أما أنا فيَكفيني ما شَهِدْتُ ؛ هو يَكفيني فخراً بالماضي ، ولوعَةً للحاضِر ، وأملاً للمُستَقْبل .

# ١٦ — البدو والحضر

إن أهل الحضَر ألقوا جُنوبَهم على مِهاد الراحة والدَّعَة ، وانغمَسوا فى النّعيم والتّرف ، ووكَلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم ، والحاكم الذى يسوسُهم ، والحامية التى تولّت حِراستهم ، واستناموا إلى الأسوار التى تحوطُهم ، والحِرْز الذى يحولُ دونهم ؛ فلا تَهيجهم هَيْعَة ، ولا ينفِر لهم صَيْد . فهم غارّون آمنون ؛ قد ألقَوا السّلاح ، ورُبِّيَت على ذلك منهم أجيال ، وتنزّلوا منزِلة النساء والوِلدان ، الذين هم عِيال على أبى مثواهم ، حتى صار ذلك خلُقاً لهم يتنزّل منزلة الطبيعة .

وأَهل البدو — لتفرُّدهم عن المجتمع ، وتوحُّشهم فى الضواحى ، وبُعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب — قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكِلونها إلى سِواهم ، ولا يثِقون فيها بغيرهم . فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتلفّتون عن كل جانب فى الطُّرق ، ويتجافَون عن الهُجوع — إلا غِرارًا فى المجالس ، وعلى الرِّحال ، وفوق الأقتاب ، ويتفرّدون فى القَفر والبيداء . مُدِلِّين ببأسهم ،

واثقين بأنفسهم . قد صار لهم البأس خُلقاً ، والشجاعة سجِيةً ، يرجِعون إليها متى دعاهم داعٍ ، أو استنفرَهم صَارخٌ .

وأهل الحضر — مهما خالطوهم فى البادية ، أو صاحبوهم فى السَّفر — عِيال عليهم ؛ لا يملِكون معهم شيئاً من أمر أنفسهم وذلك مُشاهَدٌ بالعِيان ، حتى فى معرفة النواحى والجهات ، ومَوارد المياه ، ومشاريع السُّبل . وسبب ذلك ما شرحناه : وأصله أن الإنسان ابن عاداته ومألوفِه لا ابن طبيعتِه ومِزاجه ، والله يخلُق ما يشاء .

## ١٧ — الحرب والعلوم

نشأت الحروب مع الحياة ، حتى قيل إنها ضرورة من ضروراتها ، أو إنها شر من مستلزماتها ، فها هي ذي الوحوش الضارية فى الغابات ، والسمك والحيوانات المائية فى البحار ، القوى منها يفترس الضعيف ، والماكر منها يخدع الغفل ، ويتحين الفرصة لاغتياله وتدبير الحيلة



طيارة ومدرعة حربية وغواصة

لاقتناصه . وكأن هذه الغريزة الحيوانية لم تُستأصل تماماً من نفس الإنسان الذى يفضل جميع الحيوانات بعقله وتفكيره ، مع ما ميزه الله به من النطق والبيان والإفصاح ، فلم تغن هذه الميزات عن شرور الحرب ، وويلات القتال المهلكة شيئاً .

عرفت الحروب منذ التاريخ القديم ، وهى من ذلك الحين تتكرر وتعود ، رغم صيحات العقلاء وأنصار السلم ، ومؤتمرات السلام ومعاهداته . ولكل من السلم والحرب أنصار وفى شعر العرب نجد أقوالاً لكل فريق . فمن أقوال الفريق الأول .

الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببزتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضِرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للثم والتقبيـــل

وقال أبو تمام فى تأييد حق القوة :

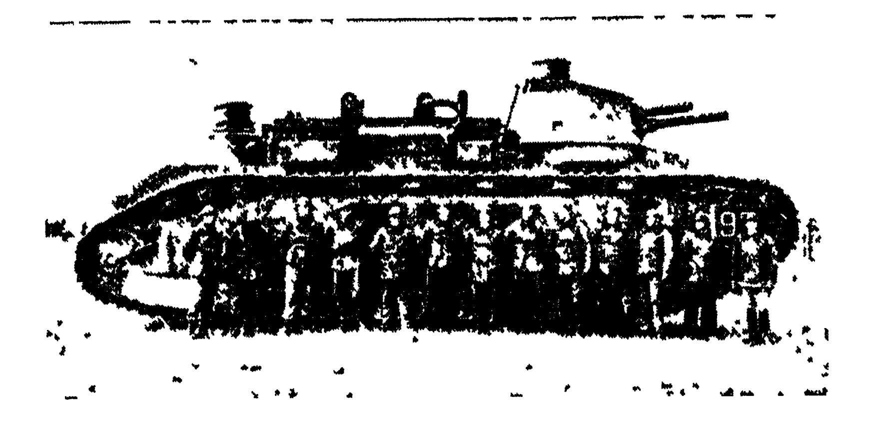
وليس يجلى الكرب رأى مسدد إن لم تؤانسه بسيف مهنـــد

ودوافع الحرب كثيرة متنوعة ، منها حب التملك والرغبة فى توسيع نطاق الدولة ، وإنماء ثروتها — بالاستيلاء على البلاد الضعيفة التى تكثر فيها ينابيع الثروة ويعجز أهلها عن استغلالها . وقد تنشَب الحرب للذوْذ عن الذمار ، أو لإنقاذ مملكة صديقة ، أَو للأخذ بثأر قديم . وهذه الدوافع باقية ما بقيت الحياة التى لا يسود فيها إلا الأصلح .

وقد تطورت أساليب القتال وآلات الحرب مع تطور العلوم وتقدمها ، فلم تعُد أصلح الأمم للبقاء أكبرها جمداً وأعزها نفراً وأمنعها حمى وأبعدها منالاً ، فكم من للدمنيع بجبا ، العالية وحصونه الطبيعية

المنيعة ، قهره العلم بطائراته التى تحلق فوق الجبال ، وقاذفاته التى تدكّ أمنع الحصون ، وغازاته السامة التى تميت أكبر عدد من الجنود .

ولم تعد الشجاعة والفروسية والإقدام هى العوامل الأولى للانتصار ، بل أصبحت أساليب العلم هى التى تنصر الجبان على الشجاع ،



دبابه حربية

والضعيف على القوى ، وتسوِّد القليل على الكثير . فكم من دولة قليل تعدادُها ملكت أوسع البلاد مساحة ، وأكثرها تعداداً ، وذلك بالعلم وأساليبه ، وبالمخترعات العلمية وأفانينها ؛ فبالعلم والعلماء اخترعت القذائف والمفرقَعات وبالعلم اخترعت الغواصات والطائرات ، وبالعلم اخترعت أحدث المدافع والبنادق ، التى تطلق عشرات الطلقات بل المئات منها فى الدقيقة ، وتصل إلى مدى بعيد .

وبالعلم اخترعت المواخر والمدمرات . وبالعلم سارت هذه جميعاً بدون قواد ، بل تُسير باللاسلكى ، حتى إذا وصلت إلى مراكز العدو أطلقت القاذفات من تلقاء نفسها بطريقة آلية .

وبالعلم اخترع اللاسلكى الذى أصبح أكبر عون لرجال الحرب فى حروبهم ؛ فبه يتصل الجيش بالقيادة العامة ، بل إنهم يعرفون به مراكز العدو وأسراره .

وهكذا أصبح العلم أداة القتال ، كما هو أداة للرفاهة الإنسانية ، وتخفيف ويلات المرضى ، وإبادة الجراثيم . فتسلحوا يا شباب مصر بالعلم ينفعكم فى الحرب والسلم .

# ١٨ — الخيـــل

الخيل نوعان : عَتيقٌ ويُسَمى فرساً ، وهَجِين وهو المسمّى بِرْذَوْنا . والعتِيقُ أصلَب عَظْماً ، وأَسرَع جرياً . والهَجين أقوى حَمْلاً ، وأَغلَظُ عَظماً .

وفى طَبْع الفرَس الزَّهْو والْخُيلاء ، والعُجْب بنفْسه ، والمحبة لصاحبه ، وأنه لا يَشرب الماء إلا كَدِراً ، حتى إنه يَرِدُ الماء الصافى فيضْرِب بيده فيه حتى يُكَدِّرَه ويُعَكِّره . ورُبما يَرِد الماء فَيرى خَياله فيه فيتَحاماه ، لِفزَعه من الْخيـال الذى يراه . وأُنْثى الخيل تحمل سنة كامِلة .

والعَلامات الجامِعة لنجابَة الفرَس ، الدّالة على جَوْدَته ، ما ذكره أيوب ابن القِرِّيَةِ ، وقد سأله الحجّاجُ عن صِفة الجوادِ من الخيل فقال : « القَصيرُ الثّلاث ، الطويل الثلاث ، الرحب الثلاث ، الصّافي الثلاث . » فقال : « صِفهُنّ . » فقال :

« أما الثلاث الطِّوالُ : فالأُذن ، والعُنُق ، والذِّراع . وأما الثلاث القِصار : فالظَّهر ، والسّاق ، والعَسيب . وأما الثلاث الرَّحْبَة : فالْجبْهَة ، والمِنْخَر ، والْجوْف . وأما الثلاث الصّافية : فالأديم ،

والعَيْنان، والحافِر » وقد جمع بعض الشعراء ذلك فى بيت واحد فقال:

وقد أَغْتَدى قبل ضَوْء الصَّباح وَوِرْدِ القَطا فى الغُطَاطِ الجُثاث

بِصافى الثلاث، عَريض الثلاث قَصير الثلاث، طويل الثلاث

وقيل: أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان ثلاثين فرساً من خيل مصر، فعُرِضت عليه — وعنده عُتْبَةُ بن سفيان بن يَزيد الحارثىّ، فقال له معاوية: « كيف ترى هذه يا أبا سفيان؟ فإن عَمْرًا قد أطْنَب فى وَصْفها. » فقال: « أراها يا أمير المؤمنين كما وَصف. وإنها لسامِيَةُ العيون، لاحقَة البُطون، مُصغِية الآذان، قبَّاء الأسنان، ضخام الرّكبان، مُشرِقات الحجبات، رِحاب المناخِر، صِلاب الحوافِر، وضْعُها تحْليل، ورفعها تقليل، فهى إن طُلِبت سبقَتْ، وإن طَلَبَتْ لحِقَت. » فقال معاوية: « اِصْرِفْها إلى دارك؛ فإنّ بنا عنها غِنًى، وبفتيانِك إليها حاجة. »

وقال البحترى وكان وصّافاً للخيل:

وأغرّ فى الزّمَنِ البهيم مُحَجَّلٍ قد رُحْتُ فيه على أغرّ مُحَجَّلِ

كالهيكلِ المبنىَ إلا أنه فى الحُسنِ جاء كصورة فى هيكل

ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرداء يذبّ عن عُرْفٍ وعُرْفٌ كالقناع المُسْبَلِ

تتوهّم الجوزاء فى أرساغه والبدرَ غرة وجهه المتهلّل

* * *

وتخاله كُسِىَ الخدودَ نواعما مهما تُواصِلْها بلحظٍ تَخْجَل

وتراه يَسْطَعُ فى الغبار لَهِيبُه لونا وشَدًّا كالحريق المشْعَل

هزِج الصَّهيل كأن فى نغماته نبرات مَعْبَدَ فى الثَّقيل الأول

ملَكَ العُيون فإن بدا أَعطيتَهُ نَظَرَ المُحِب إلى الحبيب المُقْبل

وقال أبو الطيب المتنبي فى وصف الخيل :

ويومٍ كليْل العاشقين كَمِنْتُه أُراقب فيه الشَّمسَ أيَّان تَغْرُبُ

وعَيْنِي إلى أُذْنَىْ أَغَرَّ كأنَّه من الليل باقٍ بين عيْنَيهِ كوْكب

له فَضْلَةٌ من جسْمِه فى إهابِهِ تَجىء على صدرٍ رحيبٍ وتَذْهَب

شَقَقْتُ به الظلماءَ أُدْنِى عِنانَهُ فيَطغَى ، وأُرْخيهِ مِرارًا فيَلْعَبُ

* * *

وأَصْرَعُ أىَّ الوَحْش قَفَّيْتُه به وأَنزل عنه مثله حين أَرْكَب

وما الخيل إلا كالصديق قليلةٌ وإن كَثُرَت فى عين من لا يُجَرِّب

إذا لم تشاهد غيْرَ حُسْنِ شِياتِها وألوانِهَا ، فالحسن عنك مُغَيَّب

وقال على محمد بن محمد الإِيادى فى وصف فرس أبى عبد الله جعفرِ ابنِ أبى القاسم القائِم أحدِ الخلفاء الفاطميين :

وكأنّما انفَجَرَ الصباح بوجهه حُسْناً أو احْتَبَسَ الظلام بمَتْنِه
مُتَسَيْطِرٌ بالرّاكبين كأنّه بازٍ تروح به الْجنوبُ لِوَكْنِه
يَستَوْقِف اللّحظَاتِ فى خَطَراتِهِ بكمال خِلْقَتِهِ ، ودِقَّةِ حُسْنه
حُلْوُ الصّهيل ، يُخَالُ فى لَهَوَاته حادٍ يصوغ بدائعاً من لَحْنِه

* * *

مُتَجَبِّرٌ يُنبِي بِعِتْقِ نِجَارِهِ إِشْرافُ كَاهِلِهِ ، ودِقّةُ أُذْنِهِ
ذو نَخْوَةٍ شَمَخَتْ به عن نِدِّه وشهامةٍ طَمَحَتْ به عن قِرْنِهِ
وكأنّهُ فلكٌ إِذا حرّكْتَه جارٍ على سهل البلاد وحَزْنِهِ
قدْ راح يحمل جعفرَ بْنَ محمدٍ حَمْلَ النسيمِ لوابلٍ من مُزْنِهِ



## ١٩ — بِناءِ بَغدادَ[1]

كان المنصور قد بنى فى أوائِل دولتهم مدينةً بِنُواحى الكوفة ، وسمّاها الهاشِمِيَّة ، ووقعت وَقْعَةُ الرّاونْدِيَّة فيها ، فكَرِه سُكْناها لذلك ، ولمجاوَرَة أهل الكوفة ، فإنه لا يَأْمَنهم على نفسه — وكانوا قد أفْسدوا جُنده . فخرج بنفسه يَرْتادُ له موضِعاً يَسْكُنه ، ويبنى فيه مدينة له ولعيَاله ولأهله ولُجنْده .

فانحدرَ إلى جسر جرايا ، وأَصْعد إلى الموصل ، ثم أَرْسل جماعة من الحُكماء ذوى اللُّب والعقل ، وأَمَرهُم بارْتِياد موضع . فاختاروا له مدينته التى تُسَمَّى مدينة المنصور . وهى بالجانِب الغَرْبِىِّ ، قريبة من مَشْهَد موسى والجواد « عليهما السلام » . فحضَر إلى هناك ، واخْتَبَرَ المكان ليلاً ونهاراً فاستطابه ، وبنى به المدينة .

ونَبَّهَهُ بعض عُقـلاء النصارى إلى فضيلة مكانَتها ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! تكون على الصَّراة ، بين دِجْلة والفُرات ؛ فإذا حارَبك أَحدٌ كانت دَجْلة والفُرات خنادِقَ لمدينَتِك ، ثم إن المِيرَةَ تَأْتيكَ فى دجلة من دِيارِ بَكْرٍ تارة ، ومن البحر والهِند والصِّين والبَصْرَة تارة أخرى ، وفى الفرات من الرَّقة والشام »

---

(١) من كتاب الفخرى

« وتجيئك المِيرَةُ أيضاً من خُراسانَ وبلادِ العَجَم فى شَطٍّ تامرا . »

« وأنت — يا أمير المؤمنين — بين أنهار ، لا يَصِلُ عدوّكَ إليك إلا على جِسْر أو قَنْطَرَة ؛ فإذا قطَعْت الجِسر ، أو أَخْرَبْت القَنطرة ، لم يَصِل إليك عدوّك ، وأنت متوسط للبَصْرة والكوفة ، ووَاسِط والموصل والسّواد . وأنت قريبٌ من البر والبحر والجبل . »

فازْدادَ المنصور جِدًّا وحِرْصاً على بنائها ، وكاتَب الأطْراف بإنفاذ الصُّنّاع والفَعَلَة ، وأمر باخْتيار قوم من ذَوِى العَدالة والعقل ، والعِلم والأمانة ، والمعرفة بالهندسة ؛ ليتَوَلَّوْا قسمةَ المدينة وعملها ، وشَرَع فيها فى سنة خمس وأربعين ومائة .

وكان أبو حنيفة رضى الله عنه « صاحب المذهب » يَعُدُّ اللَّبن والآجُرَّ ، وهو الذى اخْترع عده بالقصب اختيارًا . وجعل المنصور عَرْض السُّور من أساسه خمسين ذِراعًا ، ومن أَعْلاه عِشرين ذِراعا ، ووضع بيده أوّل لَبِنَةٍ ، وقال : « بسم الله ، والحمد لله ، الأرض لله يُورِثُها مَنْ يَشاء من عباده ، والعاقبةُ للمتقين . » ثم قال : « ابْنوا . »

فابْتَدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وتممها فى سنة ستٍّ وأرْبعين ومائة .

وجعلها مُدَوَّرَة ، وجعل قصره فى وَسَطها ؛ لئلا يكون أحدٌ أقربَ إليه من الآخر . وبلغ الخرج عليها أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثين دِرْهما . ولما فرغت حاسَب القُوّادَ بما كان حول عليهم لعمارتها ، فألْزَمهم بالبواقى ، حتى اسْتَوفى من بعضهم ما اقْتضاه الحساب خمسة عشر درهما .

## ٢٠ — أدَب التربيـــة

### لهرون الرّشيدِ

قال هرون الرشيد فى وصية له إلى مؤدِّب ولدهِ :

« يا أحمرَ ! إنّ أَمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجةَ نفسه ، وثمرَة قلبهِ ، فصيّرَ يدَك عليه مبسوطةً ، وطاعتَه لك واجبةً ، فكُن له بحيث وضعَك أمير المؤمنين . أَقرِئه القرآن ، وعرِّفه الأخبارَ ، وروِّه الأشعار ، وعَلّمه السُّنن ، وبصِّره بمواقع الكلام ، وامنَعه من الضَّحِك إلاّ فى أوقاته ، وخُذه بتعظيم بنى هاشمٍ إذا دخلوا عليه ، ورَفعِ مجالس القُوّاد إذا حضروا مَجلِسه . ولا تمُرّنّ بك ساعةٌ إلا وأنت مُغتنِم فيها فائدة تُفيده إيّاها من غير أن تُحزِنه ، فتُميتَ ذِهنه ، أو تُمعِن فى مسامَحته ، فيستَحلى الفَراغ ويألفَه . وقوِّمه ما استطَعتَ بالقُرب والملايَنة ، فإنْ أباهما فعَليْك بالشِّدة والغِلظَة . »



# ٢١ — من أمثال العرب

## إِنَّ غَدًا لناظِرِه قَرِيب

أولُ من قال ذلك المثل قُرادُ بنُ أجْدَع : وذلك أن النُّعمان ابن المنذر خرج يتصيَّدُ على فرسه اليَحْموم ، فأجراه على إثْر عَيْرٍ ، فذهب به الفرس فى الأرض ، ولم يقدر عليه ، وانفرد عن أصحابه ، وأخذَتْه السماء ، فطلب ملجأً يلجأ إليه ، فدُفِع إلى بناء ، فإذا فيه رجل من طيِّء يقال له : « حنظلة » ، ومعه امرأته ، فقال لهما : « هل من مأوى ؟ » قال حَنْظَلة : « نعم » فخرج إليه فأنزله . ولم يكن للطائى غير شاة ، وهو لا يَعْرِف النُّعمان ، فقال لامرأته : « أرى رجلا ذا هيئة ، وما أخلقه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟ » قالت : « عندى شىء من طحين كنت ادّخرْته ، فاذبح الشاة ؛ لأتَّخِذ من لحمها مَرَقَةً مَضِيرةً » وأطعمه من لحمها ، وسقاه من لبنها ، واحتال له شراباً فسقاه ، وجعل يُحدِّثه بقيّة ليلته . فلما أصبح النُّعمان لبِس ثيابه ، وركب فرسه ، ثم قال : « يا أخا طَيِّء ! اطلب ثوابك أنا الملك النعمان » قال : « أفْعَل إن شاء الله . » ثم لِحَق الخيل فمضى نحو الحيرة ، ومكث الطائى بعد ذلك زماناً حتى أصابته نكْبة وجَهد ، وساءت

حاله ، فقالت له امرأته : « لو أتيْتَ الملك ، لأحْسنَ إليك . »

فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة فوافق يوم بُؤس النُّعمان ؛ فإذا هو واقف في خيله في السِّلاح . فلما نظر إليه النعمان عَرَفه ، وساءه مكانه ، فوقف الطَّائىُّ بين يدى النُّعمان ، فقال له : « أأنت الطائى ؟ » قال : « نعم » قال : « أفلا جِئْت فى غير هذا اليوم . » قال : « أَبَيْتَ اللَّعْن ! وما كان عِلمى بهذا اليوم ؟ » قال : « والله لوسَنَحَ لى فى هذا اليوم قابُوس ابنى لم أَجِدْ بُدًّا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا ، وسَلْ ما بدا لك فإنك مقتول . » قال : « أَبَيْتَ اللَّعْن ، وما أصنع بالدنيا بعد نَفْسى ؟ » قال النعمان : « إنّه لا سبيل إليها . » قال : « فإن كان لا بد ، فأجِّلنى حتى أُلِمّ بأهلى ، فأوصى إليهم ، وأُهَيِّئُ حالهم ، ثم أنْصَرِف إليك . » قال النعمان : « فأقم لى كفيلا بموافاتك . » فالتفت الطائى إلى شريك ابن عمرو بن قيس من شيبان ، ويُكْنى أبا الحوفزان ، وكان واقفاً بجانب النعمان ، فقال له :

يا شَريكا يابْن عَمْرٍو ⠀⠀ هل من الموت مَحاله
يا أُخا كلِّ مُضاف ⠀⠀ يا أَخا مَنْ لا أَخا لَه
يا أخا النُّعمان فُكَّ الـ ⠀⠀ يوم ضَيْفًا قد أَتى له
طالما عالَجَ كَرْبَ الـ ⠀⠀ مَوْتِ لا يُنْعِمُ بَاله

فأبى شريك أن يتكفَّل به ، فوثب إليه رجل من كلب يقال له : قُرادُ بنُ أجْدع ، فقال للنعمان : « أبَيْتَ اللَّعنْ ! هو علىّ . » قال النعمان : « أفعلت ؟ » قال : « نعم » فضمَّنه إياه ، ثم أمر للطائى بخَمْسمائة ناقة ، فمضى الطائىّ إلى أهله ، وجعل الأجَل حولا ؛ من يومه ذلك ، إلى مثل ذلك اليوم من قابل . فلما حال عليه الحول ، وبقى من الأجل يوم ، قال النعمان لقُراد : « ما أَراكَ إلا هالكا غداً . » فقال قُرادُ :

فإنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليومِ ولَّى فإن غدًا لناظِرِه قَريبُ

فلما أصْبح النعمان ، رَكِبَ فى خيله ورَجْلِهِ ، متسلِّحًا كما كان يفعل ، حتَّى أتى « الغَرِيَّيْنِ » فوقف بينهما ، وخرج معه قُراد ، وأمر بقتله . فقال له وزراؤه « ليس لك أن تَقْتله حتى يَستوفىَ يومه . » فتركه وكان النعمان يَشْتهي أن يقْتل قُراداً ليفْلِتَ الطائى من القتل . فلما كادت الشمس تغرب ، وقراد قائم مجرد فى إزار على النِّطْعِ ، والسَّيَّاف إلى جنبه ، أقبلت امرأته وهى تقول :

أيا عَيْن بَكِّى لى قُرادبنَ أجْدَعا رَهِينًا لقتلٍ ، لارهينًا مودعا
أَتَتْهُ المنايا بَغْتَــةً دون قَوْمِهِ فأمْسى أسِيرًا حاضر البيت أضْرعا

فبينما هم كذلك ، إذ عرض لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان أن يُقتل قُراد ، فقيل له : « أليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص ، فتعلَم

من هو . » فكفّ حتّى انتهى إليهم الرجل ، فإذا هو الطائى ، فلما نظر إليه النّعمان شَقّ عليه مجيئه ، فقال له : « ما حَملك على الرجوع بعد إفْلاتك من القتل ؟ » قال « الوفاء . » قال : « وما دعاك إلى الوفاء . » قال : « دينى » ، قال : « نعم الدين دين يدعو إلى هـذا الخلق الجميل . » وعفا عن قراد والطائى ، وقالَ : « والله ما أدْرى أيُّهما أوْفى وأكرم ؛ أهذا الذى نَجا من القتل فعاد ، أم هذا الذى ضمِنه . والله لا أكون ألأمَ الثلاثة . » فأنشأ الطائى :

ما كُنْتُ أُخْلفُ ظنَّهُ بعد الذى ... أسْدى إلىّ من الفَعال الخالى
ولقد دَعتْنى للخِلاف ضَلالتى ... فأَبَيْتُ غيْرَ تمجُّدى وفعالى
إنّى امْرُؤٌ منّى الوفاء سَجيّةٌ ... وجزاء كل مُكارم بذال

وقال يمدح قرادا :

ألاَ إنّما يَسْمو إلى المجْدِ والعُلا ... مَخارِيقُ أمْثال القُراد بن أجدعا
مَخاريق أمثـــال القُراد وأهله ... فإنّهم الأخْيار من رَهْطِ تُبّعا

وترك النعمان القتل منـذ ذلك اليوم ، وأبطل تلك السنة ، وأمر بهدم الغَرِيين .

## ٢٢ — وصف الأسد

قد أكثر الأدباء من وصف الأسد ؛ فمن ذلك قول بعض الأعراب :

له عَيْنان حَمْراوَان مثل وَهَج الشَّرَر ، كأنما نُقِرَتا بالمناقير فى عُرض حَجَر . لونه وَرْد ، وزئيره رعْد ، وجبْهتهُ عظيمة شتيمة . نابهُ شديد ، وشَرُّه عَتيد . إذا استَقْبَلْتَه قُلتَ أَقْرع ، وإذا استَدْبَرْتَهُ قلت أَفْرَع . لا يَهابُ إِذا اللَّيل عَسَس ، ولا يَجْبُن إِذا الصُّبح تَنفَّس . ثم أنشد .

عبوسٌ شموسٌ مُصْلَخِدٌّ مكابِرٌ ... جرىء على الأقْران للقِرْم قاهر

براثِنهُ شُثْنٌ وعَيْناه فى الدُّجا ... كجَمْرِ الغضا فى وَجْهه الشَّر طائر

يُدِلُّ بأَنيـــاب حِدادٍ كأنها ... إذا قَلَّص الأشْداق عنها خَناجِرُ

وقول عبد الجبار بن حمديس :

وليثٍ مُقيمٍ فى غياضٍ منيعةٍ ... أميرٍ على الوَحْشِ المقيمة فى القَفْرِ

يؤسِّدُ شِبْلَيهِ لحوم فوارسٍ ... ويَقْطعُ كاللِّص السَّبيلَ على السَّفْر

هِزَبْرٌ له فى فيه نار وشفرةٌ ... كما يَستوى لحم القَتيل على الجَمْر

سِرَاجاه عيناه إِذا أَظْلم الدُّجا ... فإِن بات يَسْرى باتت الوحش لا تَسْرى

له جَبْهَةٌ مثل المِجَنِّ ومَعْطِنٌ ... كأن على أرْجائه صِبْغَة الحِبْر

يُصَلْصِل رعد من عظيم زئيره ... ويَلْمَع بَرْقٌ من حماليقه الْحُمْرِ

له ذَنَبٌ مُسْتَنْبَطٌ منه سَوْطهُ ... ترى الأرض منه وهى مَضْروبة الظَّهْر

ويَضْرب جنبيه به فكأنما ... له فيهما طبل يَحُضُّ على الكرِّ

يَصُول بكَفٍّ عرضُ شِبْرين عَرْضها ... خناجِرُها أَمْضى من القُضُب البُتْر

يُجَرِّدُ منها كلَّ ظُفْرٍ كأنه ... هِلال بدا للعين فى أوّل الشَّهْر

# ٢٣ — جود المهلب بن أبي صُفرة

قال رجل من أهل يَثرِبَ يُعْرف بالأَسْلَميّ :

« رَكِبنى دَيْنٌ أثقل كَاهِلى ، وطالبَنى به مُستحِقّوه ، واشتدّت حاجَتى إلى ما لا بُدّ منه ، وضاقت علىّ الأرضُ ، ولم أهتَدِ إلى ما أصنَعُ ، فشاوَرتُ مَن أثِق به من ذَوى المودّة والرّأيِ ، فأشار علىّ بقَصْد المهلَّب بنِ أبى صُفرةَ بالعِراق . فقُلتُ له : « تمنَعُنى المشقَّةُ ، وبُعدُ الشُّقَّةِ ، وتيهُ المهلَّب . » ثم إنى عدَلتُ عن ذلك المشير إلى استشارَة غيره ، فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصّديق الأوّل ، فرأيتُ أنّ قَبول المشورة خيرٌ من مُخالفتها ، فركبتُ ناقتى ، وصحِبتُ رُفقةً فى الطّريق ، وقصَدتُ العِراق . »

« فلمّـا وصلتُ ، دخلتُ على المهلب فسلمت عليه ، وقلت له : « أصلح الله الأمير ! إنى قطعتُ إليك الدّهناء ، وضربتُ أكبادَ الإبل من يثرِبَ ، فإنه أشار علىّ بعضُ ذَوى الحِجا والرّأى بقصدك ؛ لقَضاء حاجتى . » فقال : « هل أتيتَنا بوَسيلة ، أو بقَرابة وعشيرة ؟ » فقلت : « لا ، ولـكنى رأيتُك أهلاً لقَضاء حاجتى ؛ فإن قمتَ بها فأَهْلٌ لذلك أنت ، وإن يَحُل دونَها حائل لم أذمّ يومك ، ولم أيئس من غَدِك . »

فقال المهلّب لحاجبه : « اذهب به وادفَع إليه ما فى خزانة مالنا الساّعةَ . » فأخذَنى معه ، فوجدتُ فى خِزانته ثمانين ألفَ دِرهمٍ ، فدفَعها إلىّ ، فلمّا رأيتُ ذلك لم أملِك نفسى فرحاً وسرورًا ، ثم عاد الحاجب بى إليه مُسرِعاً ، فقال : « هل ماوصلَك يقوم بقَضاء حاجتك ؟ » فقلت : نعم أيّها الأمير ، وزِيادة . » فقال : الْحمد لله على نُجْح سَعْيك ، واجْتِنائك جَنَىَ مَشورَتك ، وتحقُّق ظنّ مَن أشار عليك بقَصْدنا . »

قال الأسلمىُّ : « فلمّا سمِعتُ كلامَه ، وقد أحرزتُ صِلَته ، أنشدتهُ وأنا واقف بين يديه :

| | |
|---|---|
| يامَن على الجود صاغَ الله راحتَه | فليس يُحسِن غيرَ البَذْل والجودِ |
| عمّت عطاياكـ أهلَ الأرض قاطِبةً | فأنتَ والجودُ مَنْحوتان من عودِ |
| مَن استشارَ فبابُ النُّجْح منفَتِحٌ | لدَيْه فيما ابتَغاه غيرُ مَردودِ |

ثم عُدت إلى المدينة فقضَيتُ دَيْنى ، ووسَّعتُ على أهلى ، وجازَيْتُ المشير علىّ ، وعاهَدتُ الله تعالى ألاّ أتركَ الاستشارةَ فى جميع أمورى ماعِشتُ . »

## ٢٤ — نِضال العلماء حول ماهية الحرارة

**النار والحرارة :**

النار من ضرورات الحياة ، فهى التى تبدِّد قارِسَ البرد ، وتبعَث الدِّفء والحرارة فى أجسامنا ، وتساعِدنا على طَهْى الطَّعام ، وإعداد أقْواتنا ، وتُضىء لنا الطُّرقات ، وتبدّد الظّلُمات ، وتساعدنا كثيرًا فى الصناعات ، فبالتّسخين يُمكِن تشكيل المعادن الأَشكال التى نُريدها فى الصّناعات المختلفة ، وبها نسخِّن الماء إلى درَجة الغلَيان ، ونستعمِل البُخار الناتج فى تَسْيير القطُر التى تنقُل البضائع والناس إلى أَبعَد المسافاتِ ، وفى غير ذلك من الصّناعات المختلِفة ، كصناعة الصّابون والسكَّر والتَّعدين وما إليها .

هذه هى النّار ، وهذه آثارُها ، فلا غَرْوَ إذا كان قد قَدَّسها بعضُ القدماء ، وقد اعتبرَها فلاسِفة اليونان — ومنهم أَرِسْطو العالمُ الطبيعىّ اليونانىّ الكبير — عُنصراً من العناصر الأَربعة التى منها تتكون الأشياء وهى : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب . وظلّت هذه العَقيدة ثابتةً إلى أوائل القرن التاسعَ عَشر ، فقد كان العُلماء يعتقِدون أنّ الحرارة عنصرٌ من العناصر ، فينسِبون إليها صِفَة المادية ، وقد كانوا يُسمّون هذا العنصُر الحرارِىّ

الـكالوريك » أو السَّيال الحرارىّ ، وينسبون برودة أىّ جسم إلى قِلّة السّيال الحرارىّ فيـه ، وارتفاع درجة حرارته إلى زيادة السّيال الحرارىّ فيه . وقد بلغ من رُسوخ هذه العَقيدة عندهم أنَّ الأكاديميّة الفرنسيةَ أعلنت سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة وألف عن جائزة كبيرةٍ تمنحُها مَن يُحسن البحث عن ماهية الحرارَة . وقدّم العلماء والمتسابقون أبحاثَهم بعـد جُهد كبير ، وفُحِصت الرّسالات ، ومُنحت الجائزة وكان الفائز بها ممّن يعتقِدون بنظريّة السّيال الحرارىّ .

وزير حربية وعالم :

ظلّت نظريةُ السيال الحرارىّ معمولاً بها عِدَّةَ قرونٍ ، وبقِيَت عقيدةً راسخة طَوال هــذه الحِقَب الطّويلة ، لا يَجسُر عالِم من العلماء على هَدْمها ، ولا يجِدِ من التَّجارب ، أو الوسائل العِلْمية الحديثة ما يُعين على نَبْذها ، أو إقناعِ العُلماء بفَسادها ، حتى هيَّأَ الله لها عالِما تمكَّن من أن يُقوِّض أركانها ، ويعمَل على هَدْمها ، وهذا العالِم هو « بنيامين تومسون » الذى منحه ملِك بافاريا بألمانيا لقب « كونت » فأصبح يُسمّى بعد ذلك « كونت رمفورد » .

وُلد « رمفورد » فى قريةٍ صغيرةٍ بالولايات المتحدة بأمريكا ، وكَان ذلك سنة ثلاثٍ وخمسين وسبعمائةٍ بعد الألفِ ، وقـد شُغف

بالأبْحاث العلميَّة منذ صِباه . وفى حَرب استِقلال أمريكا ، اتّهمه بنو وطنه بمُمالأةِ الإنجليز ، وعدُّوه خارجًا عليهم ، فقبَضوا عليه ، ولـكنه تمكَّن من الفِرار بمُساعَدة الإنجليز — ولم تتَجاوز سِنّه عندئذ الثانيةَ والعشرين من عُمره — تارِكًا زوجتَه وبنتَه . وفى إنجلترا تقلّب فى وظائفَ إداريةٍ وحربيةٍ مختلفة ، وشُغل أثناء ذلك بالأبحاث العلمية إلى أن عُيِّن سنة ثمانٍ وسبعين وسبعمائة بعد الألفِ عُضوًا فى « الجمعية الملـكيّة بلَندَنَ » .

وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعِمائة بعد الألفِ ، رحَل إلى بافاريا ، ودخل فى خِدمة ملكِها الذى أُعجِب بكفايته ونشاطه وذكائه ، فمنحه لقب « كونت » سنة تسعين وسبعمائة وألفٍ كما أسلفنا ؛ تقديرًا لجهُوده الموفقَة فى خدمة العِلم ، ونَشره فى بافاريا ؛ فقد أسَّس مصانع مختلفةً فى مدينة « ميونيخ » حاضرةِ بافاريا ، وفتح مدارسَ صناعيةً ، وأكَادِيميّة حَربيةً ، وما زال يجِدّ باحثًا ومنقبًّا ، ومؤسّسًا للمُنشَآت العلميّة،حتى اختاره الملك وزيرًا للحربية سنةَ ثمان وتسعين وسبعمائة وألفٍ.

وقبل أن نذكُر نظرية « رمفورد » فى ماهية الحرارة يحسُن أن نُتمّ سيرةَ هذا العالِم الجليل ؛ لأنه قُدوةٌ حسنة ، ومثالٌ يُحتذَى .

غادَر كونت « رمفورد » بافاريا سنة تسع وتسعين وسبعمائة بعد

الألف — بعد أن مات الملك الذى كان يُوليه عَطفَه وتقديره ، ورجع إلى إنجلترا حيث استمر فى جِهادِه العلمىّ ، وأسّس المعهد الملكِىّ لنشر العلوم التطبيقيّة سنة ثمانمائة وألف . وبقِىَ فى إنجلترا إلى سنة ثلاث وثمانمائة وألف ، فغادَرها فى هذه السنة قاصِدًا فرَنسا . وهناك تزوّج بأرمَلة العالم الفَرنسى المشهور « لافوزييه » ولكنه طلّق منها ومات سنة أربعَ عشرةَ وثمانمائة وألف فى بلدة أوتيل[1] بالقُرب من باريس .

**ظاهرة تجويف أنابيب المدافع :**

وقد كَان من أهمِّ أبحاث « رمفورد » العِلميّة ، بحثُه الخاصّ بماهية الحرارة ، وقد نشرَه سنة ثمانٍ وتسعين وسبعمائة وألف ، وقدّمه إلى المعهد الملكىّ بلَندن ، وذلك عند ما كَان وزيراً لحربية بافاريا ، وقد دفعه إلى هذا الرأى حادثةٌ أو ظاهرةٌ لحظها عند ما كَان يُشرف فى مدينة « ميونيخ » على تجويف أنابيبِ المدافع ، فقد شاهد أن البُرادة التى كَانت تتطاير من جوف الأُنبوبة أثناء تجويفها ، مرتفِعةُ الحرارة جدًّا ، ولعل بعض هذه البُرادة قد سقَط على يده فلَذعه ، فلم يشأ

---

(١) Autel

أن يتركَ هذه الظاهرة تمرُّ دون أن يبحث فيها بحثاً علمياً مبنيًّا على التجربة والمشاهدة والاستنتاجِ .

أعدّ « كونت رمفورد » لذلك مِقداراً كبيراً من الماء بلغ ثمانيةَ عشرَ رطلاً وثلاثةَ أرباع الرّطل ، وتمكّن من تسخينها بالحرارة النّاتجة من تجويف أُنبوبة المِدفع ، وصارت درجة الحرارة ترتفع حتى بلَغت درجة الغلَيان فى مدّة ساعتَين، وكل هذا بدون نارٍ أو لهيب ، بل إنّ مُجرّد الاستمرار فى حركة التجويف يجعل الحرارة تستمِرّ ، وهذا ما حَدَا « برمفورد » إلى أن يقرِّر نظريّة جديدة فى ماهية الحرارة ، يهدِم بها النّظرية القديمة المبنيّة على فِكرة السّيال الحرارىّ ، ويقول إِن الحرارةَ ليست سيَّالاً ، ولا هى مادِّية فى صِفاتها ، بل إِنها مَظْهر من مظاهِر الحركة ، وهذا لعَمْرى اتجاه جديدٌ ، ونظريّة جريئة فى عَهده ، ولا غروَ إذا كَان قد انبَرى له كثير من العلماء ينتقِصون من نظريته ، ويُخطِّئونها ويحاوِلون هدمَها .

### تأييدات لنظرية رمفورد :

استمر النِّقاش والجدَل حول ماهية الحرارة زمناً طويلاً ، ولم يقتنَع جَمهرة العلماء بالنظرية الجديدة ، ولكِن كَان هناك علماء جريئونَ أيّدوا النظريّة الجديدة ، وأولهم « السير همفرى دافى » العالم الإِنجليزىّ

المشهور ( ١٧٧٨ — ١٨٢٩ ) الذى أجرى تجربةً سنة تسع وتسعين وسبعمائة وألف ؛ لتأييد نظرية « رمفورد » ، فأعدَّ قِطعتَين من الجليد ، ووضَعهما تحت ناقوس مُفرَّغ من الهواء ، وتمكن من صهرهما بوساطَة حكِّهما بعضهما ببعض بطريقةٍ آليّة . وفرّغ هواء النّاقوس حتى لا يكونَ الجليد متّصلاً بهواء أو أىِّ جسم آخرَ ، وحتى لا يقالَ إن الجليد انصهرَ بعد أن استمدَّ الحرارة من الأجسام المحيطة به . وكان هذا المعول الثانى لهدم نظرية السّيال الحرارى ؛ إذ أنه لا يمكن أن ينصهِر الجليد فى هذه الحالَة من حرارة الجليد نفسِه ، وليس هناك تعليلٌ آخرُ مقبولٌ غيرُ ما أثبتَته نظرّية « رمفورد » . ومع ذلك فقد كان « دافى » لا يزال فى شبابه عند إجراء هذه التّجربة ، إذ لم يكن يتجاوَز عندئذٍ الحاديةَ والعشرين ، ولذلك لم يجرُؤ على إعلان تجرِبته ورأيه إلى عام ١٨١٢ حتى يَسلَم من التّسفيه والانتِقاص من قُدرته فى بَدْء نَشاطه العلمىّ .

مایر وجول :

وجاء بعد « دافى » عالِم آخر لتَأييد النظرّية الآليّة للحرارة ، وهو « ماير »[١] الطبيبُ الألمانىّ ( ١٨١٤ — ١٨٧٨ ) الذى انصرَف

(١) Robert Mayer

عن مِهنة الطب ، وأُغرِم بالأبحاث العلميَّة ، ويقالُ إنه اتجه إلى هذه الأبحاث بعد أن عرَضت عليه حالةٌ غريبةٌ لمريض ، أثارت فيه حُبَّ التقصِّى والدِّراسة والبحث ، وبدأ أبحاثه العلميّة سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بعد الألف ، وتابع بعدها نشرَ آرائه العلميّة ، ومنها تأييدُه للنظريّة الآليَّة للحرارة . وقد قاسَى من جرّاء ذلك الشّىء الكثير من التَّسفيه والانتِقاص من مَقدِرته العلميَّة ، حتى إنه فى اجتماعٍ خاصّ فى « هيدلبرج » — كان يعرض فيه تجاربَه وأبحاثه فى هذا الموضوع — اعترضه أحد العُلماء بقوله : « إذا كانت نظريّة « ماير » صحيحة أمكن تسخين الماء بهزه وتحريكه . » ومن شدة تأثُّر « ماير » بالانتِقادات المتَتابِعة لم يُحِرْ جواباً أوّلَ الأمر ، وخرج من الاجتماع دونَ ردٍّ على هذا الاعتِراض ، ولكنه بعد عدةِ أسابيعَ رجع إلى المعترض وبيّن له إمكان تسخين الماء بتَحريكه .

وقد مات « ماير » سنةَ ثمان وسبعين وثمانمائة وألف ، ولم يظفَر بمديحٍ أو إطراءٍ على نظريّته ، ولكن تبِعه عالِم إنجليزىٌّ مشهور وهو « جول » ( ١٨١٨ — ١٨٨٩ ) ، وقد كان صاحب مصنعٍ كبير للجِعَة « البيرة » وهوىَ الأبحاث العلميّة ، وصار يصل أبحاثه وتجاربَه المتعدّدة فى موضوع ماهية الحرارة ، حتى قيلَ إنه بَدأ

أبحاثه سنة خمسَ عشرةَ وثمانمائة وألفٍ ، واستمرّ فيها حتى سنةِ خمس وثمانين وثمانمائة بعد الألف ، أى نحو أربعين عاماً ، قضَى بعدها القضاءَ الأخير على نظرية السّيال الحرارىّ ، وأجرَى تجرِبةً مشهورةً سخَّن فيها الماء بتحريكه ، وأوجدَ عَلاقتَه الهامّة بين الطّاقة الحراريّة والطّاقة الآليّة .

واستتَبَّ الأمرُ لهذه النظرِيّة الحديثة آخرَ الأمرِ ، وهى النظرية المقبولةُ إلى عصرنا الحالىّ الحديثِ .



## ٢٥ — ابن سَناء الملك

هِبة الله القاضى السعيد المعروف بابن سناء الملك ، شاعر مصرى مُجيد من شعراء القرن السادس الهجرى . اتصل بالقاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى فكانت له منزلة سامية عنده ، وكان فى خدمته بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . ثم عاد إلى القاهرة وجرى بينه وبين الفاضل تَرسُّل ، ومدحَهُ بعِدَّة قصائدَ ، وصنّف كتاب روح الحيوان ، لخَّص فيه كتاب الحيوان للجاحظ، وله ديوان مُوَشّحات سماه (دار الطراز) وديوان شعر وديوان رسائل . تُوُفِّىَ بالقاهرة سنة ثمان وستمائة للهجرة النبوية .

ومن شعره الذى سارت به الرُّكبان قصيدته الحماسيَّة التى منها :

سِواىَ يَخافُ الدَّهرَ أو يَرْهَبُ الرَّدَى ... وَغَيرِىَ يَهْوَى أن يعيش مُخَلَّدَا

ولكنَّنى لا أَرْهَبُ الدَّهر إن سَطا ... ولا أَحْذَرُ الموت الزُّؤَامَ إذا عَدا

ولو مَدَّ نحوى حادِث الدهر طَرْفه ... لَحَدَّثت نفسى أن أَمُدَّ له يَدا

تَوَقُّدُ عزمى يترك الماء جَمْرةً ... وحلية حلمى تَتْرُكُ السَّيف مِبْرَدَا

وأَظمأُ إن أَبْدى لى الماء مِنَّةً ... ولو كان لى نهر المَجَرَّةِ مَوْرِدا

ولو كان إدْراكُ الهُدى بِتَذَلُّلٍ ... رأيت الهُدى ألا أُميل إلى الهدى

وقِدْماً بغيرى أصبح الدهر أشيباً وبى بل بفَضْلى أصبح الدهر أَمْردا
وإِنك عَبْدى يا زَمانُ وإننى على الرغم منى أن أُرى لك سيِّدا

*
* *

وما أنا راضٍ أننى واطئُ الثَّرى ولى هِمَّـةٌ لا تَرتَضِى الأُفْقَ مَقْعدا
ولو عَلِمت زُهر النُّجوم مكانتى لَخَرَّتْ جميعاً نحو وجهى سُجَّدا
ولى قلم فى انْمُلِى إن هَزَزْتُه فما ضرنى ألا أهز المُهَنَّدا
إِذا جال فوق الطِّرس وقع صريره فإِن صليلَ المَشْرَفِيِّ له صدى



# ٢٦ – كلمات فى الآداب لابن المقفع

## ابن المقفَّع

هو عبدُ الله بنُ المقفَّع ، أكتبُ كتَّاب العربية فى الأدب والحِكمة ومَذهَبه فى الكِتابة أعدلُ المذاهب وأقْومُها ؛ لطَلاوته وسَلاسته ، وبُعدِه عن الأَسْجاع والتَّكاليف . ولا يوجد له نظيرٌ فى طريقته إلا الجاحِظُ وعبدُ الحميد وسهلُ بنُ هرونَ وقليلٌ من أمثالهم . ومن حِكمه :

### ١ – آفة الفقر

إذا افتقَر الرجل اتَّهمَه من كان له مُؤتَمِناً ، وأساء به الظَّنَّ مَن كان يظنّ به حسَناً ، فإذا أذنَبَ غيرُه ظَنّوه ، وكان للتُّهَمَة وسوء الظَّن مَوضِعاً . وليس من خَلَّة هى لِلْغنيِّ مَدحٌ إلا وهى للفقير عَيْبٌ ؛ فإن كان شجاعاً سُمِّىَ أهوَج ، وإن كان جَواداً سُمِّىَ مُفسِداً ، وإن كان حليما سُمِّىَ ضعيفاً ، وإن كان وَقوراً سُمِّى بليداً ، وإن كان لَسِناً سمِّى مِهذاراً ، وإن كان صَموتاً سمِّى عَيِيًّا .

## ب — المـــودّة

المودّة بين الأخيار سريعٌ اتّصالُها ، بطىءٌ انقِطاعُها ، ومَثَل ذلك كمَثَلِ كوبِ الذّهب ، الذى هو بَطىء الانكسار ، هَيِّن الإصلاح .

والمودّة بين الأشرار سريعٌ انقطاعُها ، بطىءٌ اتّصالُها ؛ كالكوزِ من الفخّار يكسرُه أدْنَى عَبَثٍ ، ثم لا وَصْلَ له أبداً . والكريم يَمنَح مودّته عن لُقْيةٍ واحِدة أو معرِفَة يوم ، واللّئيم لايصِلُ أحداً إلا عن رَغْبةٍ أو رَهْبة .

## ح — الحِقـــد

مَثَل الحِقد فى القلب إذا لم يَجِد مُحرِّكا مثَلُ الجمرِ المكنون إذا لم يَجِد حطَباً ؛ فليس ينفكُّ الحِقد مُطّلِعاً إلى العِلَل كما تبتَغى النّار الحطبَ ؛ فإذا وجَد عِلّة استقرّ ، فلا يُطفِئه حُسنُ كلامٍ ، ولا لِينٌ ولا رِفْق ، ولا خُضوع ولا تضرع ، ولا مُصانَعة ولا شىء دونَ تلَف الأنفُس ، وذَهاب الأرواح .

## ٤ — الحـــزم

الرجل ثلاثَة : حازِم ، وأحزَم منه ، وعاجِز . فالحازِم من إذا نَزَل به الأمرُ لم يَدهَش له ، وَلَم يَذهَب قلبُه شَعاعاً ، ولم تَعْىَ به حيلتُه ومَكيدَته ، الّتى يرجو بها المَخرج منه . وأحزَم من هذا المِقدامُ ذو العُدة ، الّذى يعرِف الابتلاء قبل وُقوعه ، فيُعْظِمُه إعظاماً ، ويَحتال له حيلة ؛ حتى كأنَّه قد لزِمه ، فيَحسِم الداء قبل أن يُبتلَى به ، ويدفعَ الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو تردُّد وتمنٍّ وتوانٍ حتى يهلك .

## ٥ — المودة الكاذِبة

إن أهل الدّنيا يتَعاطون فيما بينهم أمرين ، ويتَواصلون عليهما . وهما : ذاتُ النّفس وذاتُ اليد . فالمتبادِلون ذاتَ النفس هم الأصفِياء . وأما المتبادِلون ذات اليَد فهُم المتَعاوِنون ، الّذين يَلتمِس بعضُهم الانتِفاع ببعض ومن كان يصنَع المعروف ببعض منافع الّدنيا فإنّما مثَلُه — فيما يبذُل ويُعطى — كمَثَل الصّياد وإلقائِه الحبَّ للطّير ؛ لا يُريد بذلك نَفْع الطّير ، وإنما يُريد نَفعَ نفسه .

## و — أدب الحديث

لاتخلِطَنّ بالجدّ هَزْلاً ، ولا بالهزْلِ جِدًّا ، فإنَّك إن خلَطتَ بالجدّ هزلا هجّنتَه ، وإن خلَطتَ بالهزل جدًّا كَدّرتَه ، غيرَ أنّى قد علِمتُ موطِناً واحداً — إن قدَرتَ أن تستَقبِل فيه الجِدَّ بالهزل أصبتَ الرأىَ ، وظهَرت على الأقران — وذلك : أن يتوَرّدَك مُتوَرِّد بالسَّفَه والغضب ، فتُجيبَه إجابة الهازل المداعِبِ بِرَحْبٍ من الذَّرع ، وطلاقةٍ من الوجه ، وثباتٍ من المَنِطق .

## ٢٧ – أوراق ماليّــة

### فى القرن السابع الهجرىّ

كيخاتو بنُ أبا قاخان بن هلاكو خامس ملوك المغول المسمّين إيلخانية كان كما يقول مؤلف « حبيب السيَر » : « أسخى بنى هلاكو » .

كان يَفيض جوداً فى موائده ، ولا يقف به حد فى الإسراف واللّهو . وقد اختارلوزارته « صدرَ الدّين الزّنجانى » المعروف بصدرجهان . ولم يكن الوزير مُخالِفاً مولاه فى التّبذير ، نخلَت الخزائن ، واشتَدّت الحاجة إلى المال ، وضاق بالملك الأمرُ . فبدا للوزير أن يأخذ عن أهل الصين سُنة كانت معروفة عندهم فى ذلك العصر ، هى : التعامل بأوراقٍ تُغنى غناء الحجَريْن الكريميْن ، أو المعدِنيْن النفيسيْن : الذّهبِ والفضةِ . وليس الفرق بين الورَق والورِق ذا خطَرٍ .

أمر الوزير بطبع أَوراقٍ للتّعامل سميت « جاو » ، وأنشأ فى كلّ ناحية داراً لطَبع الأوراق ، سميت « جاوخانه » ، وشرَع قانوناً يُحتّم على الناس الإقلال من تَداوُل الذهب والفضة جُهد الطّاقة .

وكانت الأوراق كما وصفها « رشيد الدين الشيرازىّ » — فى تاريخه المعروف بتاريخ (وصّاف) — والمؤرِّخون المعاصرون على هذا الشكل :

ورقة مستطيلة عليها كلمات صينيّة ، وفوقها باللّغة العربية كلمة الإسلام : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » اتّباعاً للمألوف فى

المَسكوكَات الإسلامية ، وتحت هذا اسمُ الكاتب ، ودائرةٌ كُتِب فيها قيمة الورقة . وكانت القيمة تختلف من نصف دِرهم إلى عشرة دنانيرَ . ومما كُتب على هذه الأوراق هذه الكلماتُ الهائلة « أصدرَ مِلِكُ العالَم هذه الجاو المباركة سنة ٦٩٣ هـ ، فمَن غيَّرها أو محاها يُقتَل هو وزوجه وأولاده ويصادَر ماله . »

وأُرسِلت إلى المدن منشوراتٌ تُبيِّن فوائدَ التّعامل بهذه الأوراق ، وتبشِّر النّاسَ أن الفقرَ والبُؤس سيزولان لامحالة إن دام التّعاملُ بها . ومما جاء فى هذه المنشورات بيت فارسىٌّ ترجمتُه :

« إذا راجت فى العالم الجاو دام رَونَق الملك أبداً . »

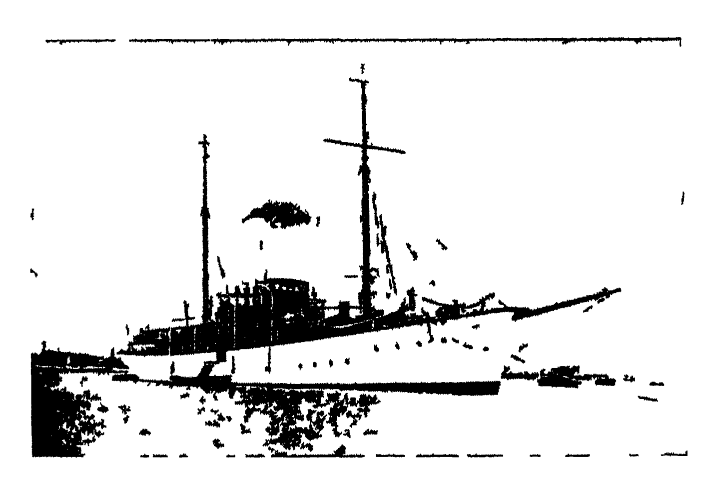
ومما جاء فى قانون هذه الأوراق : أن الورقة التى تُمزّق أو تَبلَى تُردُّ إلى « الجاوخانه » . ويُعطى صاحبها ورقة أخرى تنقُص عنها عُشرَ القيمة .

ثار الناس على هذه الأوراق ؛ فيُروَى أنه جُعِلَ موعد تداولها فى مدينة « تَبريز » شهرَ ذى القِعدة سنة ٦٩٣ هـ . فلما جاء الموعد أُقفلت الحوانيت ثلاثةَ أيّام ، ووقفت الأعمال ، وأَبَى النّاس أن يَقبَلوا الجاو المباركة وكان أعظمَ رجال الدّولة نصيباً من سُخط الناس وبغضهم « عِزُّ الدين المظفّرُ » ، الذى وُكِل إليه إخراجُ الأوراق والقِيامُ عليها .

انتشرت الثّورةُ فى مُدُن كثيرة ، حتّى ذهب كبراء المغول إلى السّلطان « كيخاتو » ، فكلَّموه فى أمر هذه الأوراق البَغيضة حتى رَضِيَ بإلغائها .

## ٢٨ — اللاسلكى وهِداية السفن

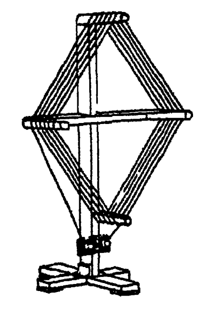
قد أصبح للاسلكى شأن يذكر فى ميادين جديدة ، وآثاره فيها ظاهرة جلية ، وفوائده لا تحد ولا تحصى ؛ فقد ربط ما بين البحر والأرض ، وما بين الجو والأرض ؛ فجعل السفن والمواخر وسط البحار والمحيطات وثيقة الاتصال بالأرض وما عليها من محاطّ .



النيـــــل

وهذه محاطّ لاسلكية خاصة أقيمت عند الشواطئ والمطارات ، ترسل موجات اللاسلكى إلى هذه السفن والمواخر والطيارات ، فتبدل من وحشتها أنساً ، ومن انقطاعها اتصالاً ، ومن خطرها أمناً ، ومن

فزعها اطمئنانا ؛ فلكل باخرة جهازان لاسلكيان : مرسل ومستقبل . وللمستقبل هوائى من النوع الإطارى[١] وهذا الهوائى من شأنه أنه يستقبل موجات اللاسلكى على أحسن حال ، وينتج أشد صوت عند ما يكون مستواه متجهاً نحو محطة الإذاعة التى يستقبل منها ، وإذا أدير الهوائى عن هذا الوضع فإن الصوت الذى يسمعه عامل



اللاسلكى فى السفينة أو الطائرة يضعف حتى يكاد يتلاشى ، إذا كان مستوى الهوائى عمودياً على موجات اللاسلكى المستقبلة ، وبذلك يمكن السفينة أن تعرف موضعها بالنسبة لمحط لاسلكى خاص معروف موضعه ، بل وتحدد موضعها الجغرافى بالضبط ، إذا عرفت اتجاهاتها بالنسبة لمحطين أو أكثر من هذه المحاط

ويمكن أن نعتبر الهوائى الإطارى وملحقاته بالنسبة للسفينة أو الطيارة بوصلة اللاسلكى[٢] ، ولكل سفينة أو طائرة مثل هذه البوصلة ، وتسمى أيضاً مُعَينة الاتجاه اللاسلكى[٣] ، وهذه البوصلة لا تعين الاتجاه فحسب ، بل تحدد الموضع الجغرافى تماما . وتحدد

(١) Frame Aerial　　(٢) Radio Compass

(٣) Radio Direction Finder

الموضع بالنسبة للمواخر الأخرى أيضاً ، فتتلاقى مصادمتها فى الضباب الكثيف .

وإذا وقعت الباخرة فى محنة يمكنها أن ترسل الاستغاثة اللاسلكية وتتلقاها المواخر الأخرى التى يمكن أن تحدد موضع السفينة المستغيثة بالبوصلة اللاسلكية وتسرع إلى نجدتها هذا وإذا كان الفنار المقام على الشواطئ هو الهادى للسفن فى الجو الصحو ، فإن بوصلة اللاسلكى تُعَدُّ الفنار الذى يهتدى به فى جميع الظروف الجوية المختلفة ؛ إذ أن موجات اللاسلكى تخترق الجو المعتم والمُغيم ، فى حين أن موجات الضوء تعجز عن ذلك لمسافات بعيدة .



## ٢٩ — دهاء معاوية

كان لعبد الله بن الزُّبَيْر أرض ، وكان له فيها عبيد يعمَلون فيها ، وإلى جانبها أرض لمُعاويةَ ، وَفيها أيضاً عبيد له يعمَلون فيها . فدخل عبيد معاويةَ فى أرض عبد الله بنِ الزُّبيرِ ، فكتب عبد الله كتاباً إلى مُعاويةَ يقول له فيه :

« أمّا بعدُ فيا مُعاويةُ ! إن عبيدك قد دخلوا فى أرضى فانْهَهُم عن ذلك ، وإلاَّ كان لى ولك شأن والسّلام . »

فلمّا وقف مُعاوية على كتابه وقرأه ، دفعه إلى ابنه يَزيدَ ، فلمّا قرأه قال له معاوية : « يا بُنىَّ ! ماترى ؟ » قال : « أرى أن تبْعَث إليه جَيْشاً يكون أوّله عنده ، وآخره عندك ، يأتونكَ برأسه . » فقال : « بل غيرُ ذلك خيرٌ منه يا بُنىَّ . » ثم أخذ ورقةً و كتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه : —

« أمّا بعد — فقد وقفتُ على كتاب ولد حَوارىِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءنى ماساءه ، والدُّنيا بأسْرها هيِّنة عندى فى جَنْب رِضاه ، نزَلتُ عن أرضى لك ، فأضِفْها إلى أرضِك بما فيها من العبيد والأموال ، والسلام . »

فلما وقف عبد الله بنُ الزُّبير على كتاب مُعاويةَ كتب إليه :

« قد وقفتُ على كتاب أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أُعدَمه الرأيَ الذى أحلَّه من قريشٍ هذا المحلَّ ، والسلام . »

فلما وقف معاويةُ على كتاب عبد الله وقرأه ، رمَى بهِ إلى ابنه يَزيدَ ، فلما قرأه تهلَّل وجهه وأَسفَر ، فقال له أبوه : « يا بُنىَّ ! مَن عَفا سادَ ، ومن حَلُم عظُم ، ومَن تجاوزَ استمال إليه القلوبَ ، فإذا ابتُليتَ بشيء من هذه الأَدْوَاء فداوِه بمثل هذا الدّواء . »

# ٣٠ — القطب

انظر إلى السماء ليلاً ووجّه بصرك نحو الشّمال ، تجِدْ نجوماً أربعةً لامعة تكوّن شكلاً مستطيلاً. وعلى مقرَبة من أحدها ثلاثة نجوم ، تؤلف خطًّا مُنحنِياً قليلاً ، آخر هذه النجوم الثلاثة — وهو أظهرها — يسمى : « القطب » . وهو نَجم ثابت يبدو للراصد أن النّجوم كلّها — أو القبّة السماوية — تدور حوله .

هذه النّجوم السبعة — ومعها نجوم صغيرة لا تُحصى — تُسَمى « الدُّبّ الأصغر » تخيّل القدماء هذا المستطيل الذى تكوِّنه النجوم الأربعة جسمَ دُبٍّ ، وهذه النجوم الثلاثة ذيلاً له

وعلى مقرَبة من الدّب الأصغر سبعة نجوم أخرى أكثر لمَعاناً ، تُؤَلِّف دبًّا آخر يسمى : « الدبّ الأكبر » . هذان الدبّان وطوائف أخرى من النجوم قريبةٌ منهما لا تَختفى ، بل تُرى ظاهرة فوق الأفُق أبداً . فإذا بعُدنا إلى الجْنوب رأينا صُوَراً أخرى من الكواكب لها أسماء أخرى — مثل : الأسد والنَّسر — تشرُق وتغرُب ، أى تظهر فوق الأفق ثم تَغيب وراءه .

وهناك طوائفُ أخرى من النّجوم لا تظهر لنا إلا إذا انتقَلْنا إلى

نصف الأرض الجنوبيّ ، كما أن بعض النجوم التى تظهر فوق أُفقنا لا تُرَى هناك . والعرب يُسمّون الدبّ الأصغر: « بناتِ نعشٍ الصغرَى » ، والأكبرَ : « بناتِ نعشٍ الكبرَى » . تخيَّلوا النّجومَ الأربعة نعشاً ، والثلاثة التى وراءها بناتٍ تسير خلفَه . ويسمون القطب : « الوَتِد » ، والنّجم الذى يليه : « الجَدْى » ، والنّجمين اللّامعين فى بنات نَعشٍ الصغْرى : « الفرْقَديْن » . وفى بنات نعشٍ الكبرَى نَجمٌ خفىٌّ يسمى : « السُّهَا » والناس يمتحنون به أبصارَهم لخفائه .

وقد جاء ذِكرهذه النّجوم فى الشعر كثيراً قال مُهَلهِل بن ربيعةَ :

كأن الجَدىّ فى مَثْناة رِبقٍ أسيرٌ أو بمنزلةِ الأسير

وقال المتنبي :

كأن بناتِ نعشٍ فى دُجاها خرائدُ سافراتٌ فى حِداد

وقال بعض الشعراء :

وكل أخ مفارِقُه أخوه لعَمْرُ أبيك إلا الفرْقدانِ

وقال المَعرّىّ :

فاسألِ الفرْقَديْن عمن أحسّا من قبيلٍ وآنَسا من بلاد

كم أقاما على زوالِ نهار وأنارا لمُدلِج فى سَوادِ

وقال :

إِذا وصف الطائِيَّ بالبخل مادر　　وعيَّر قُسًّا بالفهاهة باقِلُ

وقال السُّها للشمس أنتِ ضئيلةٌ　　وقال الدُّجا للصبح لونُك حائِلُ

وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً　　وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل

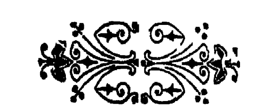
فياموتُ زر إِن الحياة ذميمة　　ويانفس جِدى إِن دهرك هازل

وفى المثل : (أُريها السُّها ، وتُرِينى القمر) .

وقد سمَّى النابغةُ الجَعْدِىُّ بناتِ نعش بنى نعشٍ فقال :

وصهباء لايَخفَى القذى وهى دونه　　تُصَفِّقُ فى راووقها ثمَّ تُقْطَبُ

تَمزَّزتُها والديك يدعو صباحَه　　إِذا ما بَنو نعش دنَوْا فتَصوَّبوا



## ٣١ — من كلام قُدامة بن جعفر فى كتابه نقد النثر

من أوصاف الخطابة : أن تُفْتَتَح الخطبة بالتَّحميد والتَّمجيد ، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال ؛ فإن ذلك مما يَزين الُخطب عند مستمعيها ، وتعظم به الفائدة فيها ؛ ولذلك كانوا يُسَمَّون كل خطبة لايذكر الله فى أولها : «البَتْراء» ، وكل خُطبة لاتوشح بالقرآن والأَمْثال : « الشَّوْهاء » . ولا يتمثل الخطيب فى الُخطَب الطِّوال التى يُقام بها فى المحافل بشىء من الشِّعر ، فإن أُحَبَّ أن يستعمل ذلك فى الُخطَب القِصار ، والمواعظ والرسائل فليفعل ، إلا أن تكون الرسالة إلى خليفة ؛ فإن مَحلَّه يرتفِعُ عن التَّمْثيل بالشعر فى كتابه إليه ، ولا بأس بذلك فى غيرها من الرسائل .

وأن يكون الخطيب أو المترَسِّل عارِفًا بمَواقع القَوْل وأوقاته ، واحْتِمال المخاطَبين له ؛ فلا يستعمل الإيجاز فى موضع الإطالة ، فيقصُرَ عن ُبلوغ الإرادة ، ولا يَسْتَعْمِل الإطالة فى مَوْضع الإيجاز ، فيتجاوَز مِقدار الحاجة إلى الإضْجار والملَالَة ، ولا يَسْتعمِل ألفاظ الخاصة فى مخاطبة العامة ، ولا كلام الملوك مع السُّوقة ؛ بل يُعطى كلَّ قوم من القول بِمقدارِهم ، ويَزِنُهم بوَزْنِهم ، فقد قيل : « لِكلِّ مَقام مَقالٌ »

وإذا رَأى من القوم إقبالاً عليه ، وإنْصاتاً لقوله ، فأَحَبُّوا أن يزيدهم — زادهم على مِقدار احتِمالهم ونَشاطِهم . وإذا تَبَين منهم إعْراضاً عنه ، وتثاقلاً عن استِماع قوله — خففَّ عنهم . فقد قيل : « من لم يَنشَط لكلامك فارْفع عنه مئونة الاستِماع منك . »

وليس يكون الخطيب موصوفاً بالبلاغة إلا بوَضع هذه الأشياء مواضعها ، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قادِراً ، وبالإطالة إذا احتاج إليها ماهراً . وقد وصف بعضهم البلاغة بما قلناه فقال وقد سُئل عنها : « هى الاكتِفاء فى مَقامات الإيجاز بالإشارة ، والاقتِدار فى مواطن الإطالة على الغزارة . » وقال الشاعر فى هذا المعنى :

يرمون بالخُطَب الطّوال وتارة  وحْى المَلاحِظِ خيفةَ الرُّقباء

وقال جعفر بن يحيي : « إذا كان الإكثارُ أبْلَغ كَان الإيجازُ تقْصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثارُ هَذَراً . » فبيَّن ما يحمد من الإيجاز ، وما يحتاج إليه من الإكثار .

فأما المواضع التى يَنبغى أن يُستَعمل كل واحد منها فيه : فإن الإيجاز ينبغى أن يُستعمل فى مخاطبة الخاصّة وذَوِى الأفْهام الثَّاقِبَة ، الذين يَجتَزِئون بيسير القوْل عن كثيره ، وبجمله عن تفسيره . وفى المواعظ والسُّنَن والوَصايا التى يُراد حفظها ونقلها ؛ ولذلك لا ترى

فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة شيئاً يطول ، وإنما يأتى على غاية الاقتصار والاختصار وفى الجوامع التى تعرض على الرؤساء ، فيقفون على معانيها ولا يشغلون بالإكثار فيها .

وأما الإطالة : ففى مخاطبة العوامّ ، ومن ليس من ذَوِى الأفْهام ، ومن لا يَكْتَفى من القول بيسيره ، ولا يَنْفَتق ذِهْنُه إلا بتكريره وإيضاح تَفْسيره ؛ ولهذا استعمل الله عزّ وجلّ فى مواضع من كتابه تكرير القصص ، وتصريف القول ؛ ليفهم من بَعُدَ فَهْمُه ، ويَعلم من قَصُرَ علمه . واستعمل فى مواضع أُخْرى الإيجاز والاختصار لذوى العقول والأبصار .

فمما رُوِىَ من الخطب القصيرة ، والرّسائل الموجزة ، والألفاظ المخْتَصَرة ما نحن ذاكروه أو بعضَه ، ليَدُلَّ على سائره ؛ فمن ذلك : خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى أن قال — بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ! كأن الموتَ فى الدنيا على غيرِنا قد كُتِبَ ، وكأنَّ الحقّ فيها على غيرنا وَجَبَ ، وكأنَّ الذين نُشَيِّعُ من الأموات سَفْرٌ ، عما قليل إلينْا راجعون ، نُبَوِّئهم أَجْداثَهم ، ونَأْكل تراثهم ، كأنّا مُخَلَّدونَ بعدهم . قد نَسينا كلَّ وَاعِظَةٍ ، وأَمِنّا كلَّ جائِحَة . طُوبَى لمن شَغَلَه عَيْبُه عن عُيوب الناس ، وأَنْفق من مالٍ اكْتَسبَه من غير مَعْصِيَةٍ ، ورحم أَهْل الذُّل ، وخالَطَ أهل الفِقْه والحِكْمَة . طوبى

لمن زكت نَفْسه ، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه ، وطابت سَرِيرَتُه ، وعَزَلَ عن النَّاس شَرَّه وأَنْفَق الفَضْل من ماله ، وأَمْسك الفَضْل من قَوْله ، ووسِعَتْه السُّنَّة ، ولم يَعْدُها إلى البِدْعَة . »

وخطبة أخرى له عليه السلام :

حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيُّها النَّاس ! إنَّ لكم مَعالِمَ فانْتَهوا إلى معالِمكُم ، وإنَّ لكم نِهايةً فقِفوا عند نِهايتِكُم . إنَّ المؤْمِنَ بين مَخافَتَيْن : بين أجَلٍ قد مَضَى لايَدْرى ما الله صانِعٌ فيه ، وبين أَجَلٍ قد بَقِيَ لا يَدْرى ما الله قاضٍ فيه . فليأْخُذ امرؤٌ من نَفْسه لنَفْسه ، ومن دُنياه لآخِرَته ، ومن الشَّبِيبَة قبْل الكِبَر ، ومن الحياة قبل الموت . والذى نفسُ محمد بيده ، ما بَعْدَ الموت من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بعد الدنيا من دار إلاّ الجنّة أو النَّار »

ومن الرسائل القصيرة الآتية على المعانى الكثيرة ، رِسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة لما كتب إليه : « من مُسَيْلِمَة رسول الله إلى محمد رسول الله . أمَّا بعد ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قسم الأرض بيننا ، ولكنَّ قُرَيْشًا قومُ غَدْرٍ . » فكتب إليه : « من محمد رسولَ الله إلى مُسَيْلِمَة الكذّاب أمَّا بعد — فإنَّ الأرض لِله يُورثها من يَشاء من عِباده ، والعاقبةُ لِلْمتقين . »

ورسالة يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد — وقد بلغه عنه بعض التلكؤ فى بيعته — فكتب إليه :

« من عبد الله أمير المؤمنين يَزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد . أما بعد فإنّى أَراكَ تُقَدِّمُ رِجلاً وتؤخِّرُ أُخْرى ، فإذا أَتاكَ كتابى هذا فاعْتَمِدعلى أيهما شِئْت ، والسلام . »

ومن موجز التوقيعات :

وقع أبو صالح بن يزداد إلى رجل أَذْنب : « قد تجاوَزْتُ عنك ، فإنْ عُدْتَ أعدْتُ إليك ما صَرَفْتُه عنك . » وإلى آخر خافه : « ليس عليكَ بأس ما لم يكُن منكَ بأس . » وإلى آخر أدل بكفايته : « أَدْلَلْتَ فأَملَلْت فاسْتَصْغِرْ مافعَلْت ، تَنَلْ ما أمَّلت . »

ووقع المأمون إلى عامل شُكى له : « قد كثُرَ شاكوك ، وقلّ شاكِروك ؛ فإمّا عَدَلْت ، وإمّا اعْتَزَلْت . » ووقع فى أمر الجند : « لا يُعطَوا على الشَّغَب ، ولا يحوجوا إلى الطّلب . » ووقع طاهر ابن الحسين : « والله لئن هَمَمْتُ لأفعلَنّ ، ولئن فَعَلتُ لأُبْرمَنّ ، ولئن أبرمْتُ لأُحْكمن . »

ووقع يحيى بن خالد فى نكبة إلى رجل سأله عن حاله . « أحْسَنُ النّاس حالاً فى النِّعمة من ارْتَبَط مقيمها بالشُّكر ، واسْترْجَع ماضيها بالصَّبْرِ »

# ٣٢ – المستشرقون وآثارهم في الأدب العربى

المستشرقون طائفة من علماء الغرب ، درسوا اللغة العربية دراسةً أهَّلَتْهم للعمل على إحيائها بالعلم والتعليم والتأليف . واهتمامُ الغربيين باللغة العربية يرجع إلى الأجيال الوسطى قبل تمدُّنِهم الحديث ؛ فقد بدءوا يهتمون بها ، ويُقْبِلون على تعلمها من القرن العاشر الميلادى ؛ لِيَطَّلعوا على ما فيها من علوم طبيعيَّة وطبية وفلكية وفلسفية . ونقلوا أهم الكتب فى هذه العلوم إلى اللاتينية ، وهى لسان العلم عندهم يومئذ .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى ، أصبحت طُلَيْطلَةُ وغيرها من مدن الأندلس آهلةً بالنازحين إليها من الإفْرنْجَة ؛ للاستفادة والترجمة — كما كانت بغدادُ فى عهد الرشيد والمأمون . واهْتَمَّ ملوكُ أَوْرُبَّا حينئذ بآداب العرب للاستفادة منها . والانتفاع بها .

فريدرك الثانى وحوله الأطباء والعلماء من العرب

وأول من سعى فى هذا السبيل « فِرِدْريكُ الثانى » المتوَفَّى سنة ١٢٥٠ م « وأَلفونس » صاحبُ قَشْتالَة ؛ فقد جمع إليه ، المترجمين كما فعل المأمون ،

وأمرهم بترجمة كُتُبِ العربِ إلى الإسبانية ، ثم إلى اللاتينية . ثم شاع ذلك فى سائر أَوْرُبَّا بعد هذا ، فقَضى ملوكُها معظم القرون الوسطى فى النقل والترجمة ، حتى بلغ عدد ما نُقِلَ من العربية إلى اللاتينية أكْثَرَ من ٣٠٠ كتاب

وفى القرن الخامس عَشرَ ، بدأتْ رومة بإرسال المبَشِّرين إلى الشرق ، فاضطُرُّوا إلى تعَلُّم العربية ؛ ليستطيعوا القيام بمُهِمَّتِهم ، فبدأ بهذا الاستشراق . والفضلُ فيه لرومة ، التى أيدتْ فَضْلَها بإنشاء المطابع العربية، وجَمْعِ كتُبِ الشرق ، وحِفْظِها فى مكتبة « الفاتيكان » وغيرها .

ثم اقتدتْ فرنسا بإيطاليا ؛ فأوْجدَت المطابع العربيـة ، وحذا حَذْوَها دوَلُ أَوْرُبَّا وبعد ما كان الاستشراق خاصًّا برجال الدين ، وكانت غايَتُه التبشير — صار عامًّا ، يُقْصَدُ منه درس اللغات الشرقية وآدابها .

وفى أوائل القرن السابع عَشرَ ، أخذتْ آثار المستشرقين فى الظهور ؛ فظهر أول كتاب فى قواعد اللغة « لأربانيوس » فى ليدن سنة ١٦١٣ م .

وجاء القرن الثامن عَشرَ ، وقد أصبح الإفْرَنْجَة أكْثَرَ رغبةً فى استطلاع أحوال الشرق على اختلاف أُمَمِه ولغاته — ولا سيما العربية ، فاشتغل كثير منهم بطبع الكتب العربية فى التاريخ والأدب وغيرهما ونَشْرِها . ولم يَنْقضِ ذلك القرْنُ حتى أنشأ الفرنسيون مدرسة للغات الشرقية الحيَّة .

وأصبحت فرنسا فى أوائل القرن التاسع عَشرَ كعْبةَ طُلابِ العلوم الشرقية . يَؤُمُّونها من ألمانيا وإيطاليا وإسوج . وأكثر الشرقيين الذين نبغوا فى النصف الأول من هذا القرن من تلاميذ هذه المدرسة . وكان « لبونابرت » يد فى تنشيط الآداب العربية فى فرنسا ، ولا سيما بعد أن جاء إلى مصر ، وشاهد آثارها .



سلفستر دساسى



الاستاد دورى

وكَثُرَ بعد ذلك المستشرقون من جميع الأمم الغربيـة ، وأفادوا اللغة العربية وآدابَها فوائدَ تَتجلّى فيما يأتى : —

(١) طبعُ كثيرٍ من كتبها طبعاً مُتْقناً ، والعنايةُ بضبطها ، وتَبْوِيب الكتب المجملة وتفصيلها ، ونشر هذه الكتب بعد وضع فهارِسَ مختلفةٍ لموضوعاتها ، وشرح ما تَمَسُّ الحاجةُ إلى شرحه منها .

(٢) بيان مزايا اللغة العربية للإفرنجة ؛ بما نقلوه إلى لغاتهم من دواوين فطاحل الشعراء ؛ أمثالِ : امرئ القيس ، والنابغة ، وطَرَفَة ، والخنساء ، والفرزدق ، والمتنبي ، وأبى العلاء — ومن كتب لغوية وأدبية ؛ أمثال : تاج العروس ، وأطواق الذهب ، ومقامات الحريرى ،


الاستاد براون الانكليرى

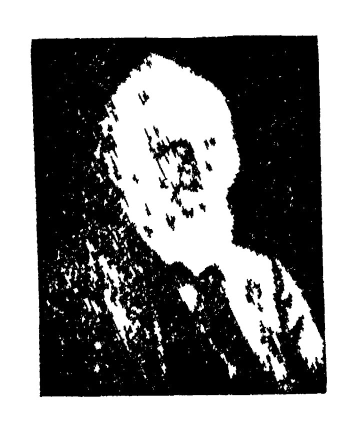

الاستاد عولتربر المجرى

ومقدمة ابن خلدون ، وكليلةَ ودمْنةَ ، وأدب الكاتب ، وألف ليلة وليلة ، وملحة الأعراب — ومن كتب تاريخيّة ، وشرعيّة ، وفلسفيّة ، وغيرها .

(٣) جمعُ النصوص الأدبية والتاريخية لموضوع واحد فى كتاب خاص . كما فعل المستشرق « امرى » الإيطالى فى المكتبة الصِّقِلِّيَّة ، وهو كتاب جمع كل ماورد فى كتب العرب عن صقلية

(٤) حفظ المخطوطات العربية فى المكاتب الكبرى فى عواصم أَوْرُبا ، وإقامةُ المؤتمرات الشرقية ، يُدْعَى إليها أفاضلُ العلماء والأدباء من أطراف الدنيا

(٥) إنشاء فروع جامعيّة لتعليم اللغة العربية فى الجامعات الكبرى .



الاستاد تولدكى الالمانى



الاستاد جويدى الايطالى

(٦) كتابة تاريخ آداب اللغةِ العربيةِ كتابةً مُفصَّلَةً قائمةً على الاستِقْراء والاستنباط الدقيق ، وعلى البحوث الوافية المفصلة ، التى قام بها كل مستشرق فى ناحيةِ تخصُّصِه ، حتى تألف من ذلك عِلْمٌ قوى الأركان ، كان له أكْبَرُ الأثر فى إحياء الآداب العربية .

كل هذا سما بالأدب العربى ، ونَشرَه فى جميع أَنحاء العالم ، وأَذْهَب من أذهان الأجانب مارسخ فيها فى أثناء الأجيال المظلمة من سوء الظن

بالإسلام ولغته ، واحتقار أهله ، وأزال خُرافات وأباطيلَ ، وحمل الغربيّ على احترام الشرقيّ ، والاعترافِ بفضل اللغة العربية ، والنظر إلى أهلها نظر النِّدِّ للنِّدِّ ، والقرين للقرين .

ويعد دِساسى وكاترمير الفرنسيان فى مقدمة المستشرقين ، ومن أشهرهم فلُوغِل وديتريتشى وفون كريمر ونولدكى من الألمان ودوزى الهولندى ، ولين ومرجليوث وبراون من الإنجليز ، وغولتزير المجرى ، وجويدى الإيطالى .

## ٢٣ — حماية المستجير

كان العرب من أحرص الناس على حِماية المسْتَجير، والذوْدِ عنه، وإن بذلوا فى سبيل ذلك المُهَج ونفائس المال.

فمن ذلك: ما رُوِىَ أن أمير المؤمنين المهدىّ — ثالث خلفاء الدولة العباسية — أهْدَرَ دَمَ رجل كان يسعى فى إفساد دولته، وجعل لمن يقتله، أو يأتيه به مائة ألف درهم، فلبِثَ الرجل زمانًا خائفًا يترقّب.

وبينما هو يسير متنكِّرًا فى بعض دُروب بغداد، إذ بَصُرَ به رجل كان يَعرفه، فأخذ بيده، وقال: «بُغْيَة أمير المؤمنين.» فاجتمع الناس، وجَهِدوا أن يطلقوه فلم يقدروا. فمرّ به وهو فى تلك الحالة معن بن زائدة، فناداه الرجل، وقال له: «يا أبا الوليد! أجِرْنى، أجارك الله!» فقال معن لبعض غلمانه: «اِنزل عن دابّتك، واحْمِله إلى منزلى.» فقال الرجل الذى أمْسك به: «أتَحُول بينى وبين طَلِبةِ أمير المؤمنين؟» قال معن: «اِذْهَب إلى أمير المؤمنين، وأخْبِرْه أنه عندى.» فذهب الرجل وأوصَلَ الخبر إلى المهدى، فبَعثَ إليه من يُحْضِره. فرِكب معن، وقال لمن خَلفَه من غلْمانه: «لا يَخْلُص إلى هذا الرجل أحَدٌ وفيكم عَينٌ تَطْرِف فإنّه فى جوارى.»

فلما دخل معنٌ على المهدى سلَّم ، فلم يرد عليه السلام ، وقال له : « أتجيرُ علىَّ يا معن ؟ » قال : « نعم ! » قال : « ونعم أيضاً ؟ ؟ » فقال معن : « يا أمير المؤمنين ! لقد قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولى أيام كثيرة عُرِف فيها بلائى وغَنائى ، أفلا تَرانى أَهْلاً لأن يُوهب لى رجل واحد استْجار بى ؟ » فأطْرَق المهدى مَلِيًّا ، ثم رفع رأسه وقد سُرِّىَ عنه ، وقال : « قدْ أجرْنا من أجرت يا أبا الوليد . » فقال معن : « فإن رأى أمير المؤمنين أن يَصِلَه ، فيكون قد أحْياه وأغْناه . » فقال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم . » فقال : « يا أمير المؤمنين ! إن صِلاتِ الْخلفاء تكون على قدر جنايات الرّعيَّة ، وإن ذنب الرجل عظيم ، فأَجزل له الصلة » قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم . » قال معن : « إن رأى أمير المؤمين أن يُعَجِّلها فإن خير البِرِّ عاجله . » قال : عَجّلناها له . » فأخذها وانصرف بها إلى الرجل ، ولم يَر المهدى وجهه .

فعاد الرجل إلى سالف طاعته وخدمته لدولته ، وندم على ما فرط من ذنبه

## ٣٤ — الجبان المستأسد

كان أبو حية النميرى جباناً بخيلا كذاباً . قال ابن قتيبة : « وكان له سيف يسميه : « لعاب المنية » ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . وكان أجبن الناس . دخل ليلةً إلى بيته فسمع صوتاً لا عهد له به ، فانتضى سيفه ، ووقف فى وسط الدار ، وأخذ يقول : « أيها المغتر بنا ! المجترئ علينا ! بئس — والله — ما اخترت لنفسك : خير قليل ، وسيف صقيل ، « لعاب المنية » الذى سمعت به ، مشهورة ضربتهُ ، لا تُخاف نبوته ، اُخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك . إنى — والله — إن أدع قيساً إليك لا تقم لها . وما قيس ؟ تملأُ — والله — الفضاء خيلا ورجْلا ؛ سبحان الله ما أكثرها . »

وبينا هو كذلك إذ خرج كلب من باب الدار فقال : « الحمد لله الذى مَسَخَك كلباً ، وكفانا حرْباً . »

« نهاية الارب »

## ٣٥ – الجمل الشاعر المِصرى

هو الْحُسين بن عبد السلام ، الشّاعر المِصرِىُّ المعروف بالجمل ، المتوَفّى سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقد قارَب التِّسعين . كان شاعراً مُفلِقاً ، مدح الخلفاء والأمراء ، وقَدِم دِمَشق وافِداً على أحمد بن المدبِّر ، وكان أحمد يَقصِدُه الشعراء ، فمن مدحه بِشعرٍ جَيّد أجزَل صِلَتَه ، ومن مدحه بشعرٍ ردىء ، وجَّه به مع خادم له إلى الجامع فلا يُفارقه حتى يُصَلِّىَ مائة ركعة ثم يَصْرفه . فدخل عليه الجمل وأنشده : —

أَرَدْنا فى أبى حَسنٍ مَديحاً ... كما بالمدْحِ تُنْتجَعُ الوُلاةُ
فقالوا : أَكْرم الثَّقلَيْن طُرًّا ... ومن جَدْوَاه دِجْلَةُ والفُراتُ
وقالوا : يَقْبلُ الشعرَاءَ لكن ... أَجَلُّ صِلاتِ مادحه الصَّلاةُ
فقلت لهم : وما يُغْنى عِيالى ... صَلاتى ، إِنَّما الشَّأْنُ الزَّكاةُ
فَيأْمُرُ لى بِكَسرِ الصّاد منها ... فتُصْبح لى الصَّلاةُ هى الصِّلاتُ

ومن قوله فى القناعة : —

إذا أَظْمأَتْك أَكُفُّ اللِّئام ... كفَتْك القَناعَةُ شِبْعاً ورِيّا
فكن رَجُلا رِجْلُه فى الثَّرى ... وهامَةُ هِمَّتِهِ فى الثُّرَيّا
أَبِيًّا لِنائِل ذى ثَرْوَةٍ ... تَراه بما فى يَدَيْه أَبِيّا
فإِنّ إراقَةَ ماء الْحَيا ... ةِ دون إِرَاقَة ماءِ المُحَيّا

## ٣٦ — عاقبة الاسراف

لا بُدّ للعاقل الأريب من التبصُّر فى عواقب الأمور ، والنظر فى مَقتَبلها ، فلا تغرُّه ما تفيض يده من الدينار والدرهم ، فيزعُم أن الأيّام لا تتنكّر له ، وأنّ الفقر لن يلِج بابه ، فيبُذِّر ويُسرِف ، ويبدِّد ويُتلِف ، لا يحسِب للعواقب حِساباً ، ولا يخشى من الأيام انتِقاضاً .

فكم رأينا من عزيز أصبح بعد الرَّفَه والنَّعمة ، وبعد الحياة الليِّنة يمتهِد الثَّرى ، ويستَنْدى الأكُفّ ، يَطرُق الأبواب فلا يُجاب . قد صَدّ عنه صديقه ، وفرَّ من لقائه من كان فى نعمته مغموراً ، وبغِناه فرِحاً مسروراً . وضُربت عليه الذِّلة والمَسكَنة ، فضاقت عليه الأرض بما رَحُبت ؛ فهو من ليلة فى سُهْدٍ وأَرَق ، لا يذوق النّوم إلا غِراراً ، ومن نهاره فى همّ ٍ وقلَق ، لا يرى للراحة مناراً . لا يجد حُرًّا يواسيه ، ولا رفيقاً يُنسيه ما هو فيه . تجرى دموعه على خدّ ٍ أذبلَته الأيام بعد النّضرة ، أسَفاً على ذلك النعيم الزّائل ، والمجد الحائل ، حتى إذا قرَض الجوع أحشاءه ، وأنهَك قُواه ، دار يتفرَّس الوجوه علَّه يجد كريماً يسدّ خَلّته ، ويرِقّ لمصابه . وأين الكريم ؟ فهو من نهاره فى نصَب وعَناء ، ومن ليله فى شقاء وبلاء .

غالبتُ كلّ بليّـة فغلَبتُهـا والفقر غالَبنى فأصبح غالِبى

إنّ الفاقة هى الموت أو شرٌّ منه .

فَلَلْموت خيرٌ من حياة يُرى بها على الُحرّ بالإقلال وسْمُ هَوان

الفقر يُخرِس الفَطِن عن حُجّته ، ويجعله غريباً فى بَلْدته ، لا يجد بُدًّا من تَركْ الحياء . ومن ذهب حياؤه ذهبت مروءته ، ومن ذهَبت مروءته فلا خيرَ له فى الحياة .

ولو أنّ ذلك المسرِف المبذِّر ، أعدَّ للدهر وتقلُّباته عُدَّة من القصد فى موارده ، فادَّخَر ما يدرَأ به عادية الزّمان ، واتّبع قول الله الـكريم : « والّذين إذا أنفَقوا لم يُسرفوا لم يَقتُروا وكان بين ذلك قواماً » — ما لقِى من دهره ما ليس له بحمله يدان . فإنّ حُسن التقدير مع الـكفاف أبْقَى من الـكثير مع الإسراف ، وإن فى إصلاح المال سلامةَ الدِّين ، وجمال الوجه ، وبقاء العِزّ ، وصون العِرض .

قليل المـال تُصلِحه فيبقَى ولا يَبقى الـكثير مع الفساد

فأما أولئك الذين يغرّهم أن يُقال جواد ، فينُفِقون أموالهم بين الملاعب والملاهى ، ولا يَدعون مُنـكراً إلا ارتكبوه ، ولا إثماً إلا اقترَفوه — فلا دواء لهم إلا الفقرُ الذى يَضرِب على أيديهم ، ويقع مواقِع الأغلال من أعناقهم ، وذلك جزاء المفسِدين .

الجود فضيلة ، ولكنّه إن جاوَز الحد أو أخطأ الغرَض — انقلَب رذيلة لا تُغفَر ، وزَلّة لا تُستباح . وكيف يجود المرء بماله تكرُّماً — وحاجتُه إليه ماسَّة ، ونفسه بما يجود به أجدَر . ولأن يُمسِك ما فى يده ، أحبُّ وأفضل من أن يمُدّها إلى الناس .

يارُبّ جود جرَّ فقر امرئٍ فقام فى الناس مقام الذّليل

فاشدُد عُرا ما لَكَ واستَبقهِ فالموتُ خيرٌ من سؤال البخيل



## ٣٧ — الحسنُ بنُ الهيثم
### مؤسِّسُ عِلم الضّوء

علم الضّوء من العلوم التى اشتغل ببحثها القدماء من مصريّين ويونانيين ، وذلك لاتّصاله بالفلك ، ولا غروَ فإن النّجوم هى التى تَهديهم سواء السبيل ، وتبيِّن لهم الاتجاهاتِ الأصليةَ ، فتعينُهم فى أسفارهم البرّية والبَحْرية . وكما وقع القدماء فى أخطاء فى علم الفلك — إذ كانوا يعتبِرون الأرض مَركزًا تدور حوله الأجرامُ السماوية — كذلك قد وقعوا فى أخطاء فى علم الضّوء ؛ فقد كان « إقليدِسُ » — العالم اليونانىّ المشهور — يرى أن السبب فى رُؤيَة الأجسام هو : انبِعاث أشِعّةٍ من العين تسقُط على الجسم المبصَر ، والأجسام التى لا تقع عليها هذه الأشعة لا تُبصِرها العين . وهذا رأىٌ خاطئٌ بلا شكٍّ ، ولم يُبطله إلا العالم الجليل ابنُ الهَيثَم ، الذى يُعتبَر بحقٍّ مؤسّس علمِ الضّوء ؛ إذ أن أبحاث القُدَماء فيه لم تكن وافيةً ، والموضوعاتِ التى عالَجوها لم يتعمّقوا كثيراً فى دراستها . أما بحوث الحسن فقد تعدّدت نواحيها ، وتعمّق فى دِراستها تعمُّقاً كبيراً شهِد به علماء الإفرنجة ، فترجَموا له كتابه عن البصَريّات أو الضّوء المسمَّى « بالمناظر » . وقد فُقد أصل هذا الكتاب

العربىّ ، ولم تَبق إلا ترجمتُه اللاتينيَّة التى قام بها أحد ُعلماء الغَرب فى أَوْربَّا سنة سبعين ومائتين وألف ، ونُشرت هذه التّرجمة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وألف .

وللحسن كُتب أخرى غيرُ كتاب « المناظر » ؛ فقد ذكر القِفْطِىُّ فى كتابه « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » أن للحسَن نيفًا وستين كتابًا عدّدها وذكر أسماءها ، منها ما يبحَث فى علم الضّوء ، ومنها ما يبحَث فى علم الفَلك ، ومنها ما يبحَث فى الرّياضيَّات ، وفيها المباحِث المبتكرة التى لم يسبِقه إليها أحدٌ ، ومباحِث كانت مَطروقةً من قبلُ ، فصححها وتوسّع فيها ، وكثيرٌ من كتب الحسَن فى دور الكُتب بأوربَّا .

ترجمة حياته :

ولعل أوفى مَرجع فى ترجمة حياةِ هذا العالم الجليل ما ذكَرهُ القفطِىُّ فى كتابه ، وإليك طرفًا منها :

« الحسن بن الحسن بنِ الهيثَم أبو علىٍّ المهندس البَصْرىّ نَزيلُ مصرَ ، صَاحبُ التَّصانيف والتَّواليف المذكورة فى عِلم الهندسة . كان عالمًا بهذا الشَّأن ، متُقِنًا له ، متفنّنًا فيه ، عالمًا بغَوامضه ومعانيه ، مُشاركًا فى علوم الأوائل . أخذ الناس عنه واستفادوا منه ، وبلغ الحاكمَ بأمر الله الفاطمىّ صاحب مصر من العلويّين — وكان يميل

إلى الحكمة — خبرُه وما هو عليه من الإتقان لهذا الشأن ، فتاقَت نفسه إلى رُؤيته ، ثم نُقِل له عنه أنه قال : « لو كنتُ فى مصر لعمِلت فى نيلها عملاً يحصُل به النفع فى كل حالة من حالاته ؛ من زيادة ونَقص ، فقد بلغنى أنه ينحدِر من موضِع عالٍ ، وهو فى طرَف الإقليم المصرى . » فازداد إليه الحاكم شوقاً ، وسيَّر إليه سرًّا جملة من مالٍ ، وأوغبَه فى الحضور ، فسافر قاصداً مصر . ولما وصلها خرج الحاكم للِقائه ، والتقَيا عند قريةٍ على باب القاهرة المعزِّية ، تُعرف بالخندق ، وأمر بإنزاله وإكرامه ، وأقام ريثما استراحَ ، وطالبه بما وعَد به من أمر النيل . فسار ومعه نفَر من الصنَّاع المتولّين للعِمارة بأيديهم ؛ ليستَعين بهم على هَندسته التى خطَرت له ، ولما سار إلى الإقليم ورأى آثارَ من تقدَّم من ساكنيه من الأمم الخالية ، وهى على غايةٍ من إحكام الصّناعة وجَوْدَة الهندسة ، وما اشتَملت عليه من أشكالٍ سماوّية ، ومِثالاتٍ هندسيّة ، وتصويرٍ مُعجزٍ ، تحقّق أن الذى يقصِده ليس مُمكِنًا ، فإن مَن تقدَّموه لم يَعْزُب عنهم علم ما علِمه ، ولو أمكَن لَفعلوا . فانكسَرت هِمّته ، وضعُفت عزيمتُه ، ووصل إلى الموضع المعروفِ بالجنادل قِبلى مدينة أسوانَ ، وهو موضِع مرتفع ينحدر منه ماء النيل ، فعاينه وباشره واختبره من جانِبيه ، فوجد أمرَه لا يمشى

على مُوافقة مُراده ، وتحقّق الخطأ فيما وعَد به ، وعاد خَجِلاً منخذلا ، واعتذَر بما قَبِل الحاكم ظاهرَه ووافقَه عليه .

وولَّاه الحاكم بعضَ الدَّواوين . فتولّاه رهبةً لا رَغْبة ، وتحقق الغَلط فى الوِلاية ؛ فإن الحاكم كان مُستهتراً ، سفّاكاً للدّماء بغير سبب أو بأضعف سبب من خَيال يتخيَّله . فأخذ يُفكّر فى أمر يتخلَّص به ، فلم يجد طريقاً إلى ذلك إلا إظهارَ الْجُنون والخبال ، فاعتَمد ذلك وشاعَ ، فأحيط على موجوداته بيد الحاكم ونُوّابه ، وجعل برَسْمه من يخدُمه ويقوم بمصالحه ، وقُيِّد وتُرِك فى موضع من منزله . ولم يزل على ذلك إلى أن تحقَّق وفاة الحاكم عام اثنى عشر وأربعمائة من الهجرة (١٠٢١ م) ، وبعد ذلك بيسير أظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه ، وخرجَ من داره ، واستَوطَن قُبَّة على باب الجامِع الأزهر ، وأقام بها مُتَنَسِّكاً مُتصنِّعاً ، وأُعيد إليه ماله ، واشتَغل بالتّصنيف والإفادة .

وللحسن بحوثٌ فى الانعِكاسات والانكسار ، وهو الذى بيّن أن كثافةَ الهواء فى الطَّبقات السُّفلَى أكبر منها فى الطبقات العُليا ، وأن الهواءَ لا يمتدُّ من غير نهايةٍ ، وأنه ينتهى عند ارتفاعٍ مُعيّن . وبيّن سبب انكسارِ الضَّوء فى هذه الطَّبقات : أن النّجم أو الكوكبَ الذى ترقُبه العينُ يظهر فى موضعٍ أقرب إلى السَّمتِ من موضِعه الحقيقىِّ .

وعلّل كثيراً من الظّواهر الفلكيةِ . وأبطل نظَرية إقليدسَ فى سبب رُؤية الأجسام وعَكسها ؛ فقرّر أن الشّعاعَ الضوئىّ يخرج من الشّىء المبصَرِ ويقَع على العين .

وشرحَ الحسن كيفيّة حُدوث الرّؤية ، وبيّن فى ذلك تركيبَ العين وما يؤدّيه كلُّ جُزْء من أجزائِها من الأعمال ، ودلّ على ما كان له من باعٍ طويلٍ ، ودراية بتشريح العينِ وأجزائها . وقد مات بالقاهرة عام ثلاثين وأربعمائة هجرية ( ١٣٠٨ م ) ، وكان قد وُلد بالبصْرة عام خمسة وخمسين وثلاثمائة هجرية (٩٦٥م) وبذلك عاش نَيِّفاً وسبعين عاماً ، قضاها فى خِدمة العلوم فى عصرٍ كان العربُ والمسلِمون فيه قادَةَ النهضة العلمية ، ومن تصانيفهم أخذَ أهل الغرب وتقدّموا .

## ٣٨ — الرِّحلاتُ فى الإِسلامِ (١)

ذَكَرَ بعضُ مُؤرِّخى الرومان أنَّ التَّبابعةَ مُلوكَ اليمنِ عرفوا جميع مَمَالِك إفريقيَة الشَّرْقيَّةِ وَجُزُرِها ، وكَانَ لهم عليها بعضُ السلطان ، وكَانوا يتَّجِرون مع أهلِها فى الأفاويهِ والطُّيوبِ المختلفةِ ، وقد حرَّموا على السوقَةِ من عامَّتِهِم الاتجارَ بهذه الأصْنافِ مع اليونانِ والرّومانِ ، لِئلاّ يغشّوها — على زعْمِهم

ولمَّا ظهر الإِسلامُ رحَل كثيرونَ من العَرب فى القرنَيْنِ الأوَّليْنِ للهِجْرةِ إِلى سواحِلِ إِفريقيَة الشَّرقيَّة والشماليَّةِ ، فملكوا تُونُسَ وطرَابلسَ ، واجتازَ كثيرونَ منهم صحارَى القَيْرَوان ولوبية ، وتوغّلوا فى البلادِ ، وذهَب بعضهم إِلى السّودانِ من طريق مِصرَ وقنا ، وكَانت القُصيرُ مرفأً لمراكِبهم ، يبحرون منها إِلى مضيقِ باب المَنْدَب فى البحرِ الأحْمرِ ، ويرتادون السّواحلَ الشَّرْقيَّةَ ، وقد وصلَ بَعْضهم فى القرن الأوَّل الهجْرىِّ إِلى سواحِلِ جزيرةِ مَدغَشْقر جنوباً ، وأسَّسوا فى شماليِّها مملكَةً عَربيَّةً ، ما زالت آثارُها وقلاعُها وبقايا شُعوبها ماثلة إِلى الآن . ويُعرَفون هناك بالصّقالِبَة ، ولُغتهم عَربيَّةٌ قديمَةٌ مَشوبَةٌ بِالحِمْيَريَّةِ .

(١) من كتاب الرواد .

وفى القرنِ الرّابعِ للهجْرة كانت كلُّ سواحِل إفريقيَة الشّرْقيّة وبلاد الزّنجِ التى تليها معروفةً عندَ العَربِ ، فاسْتوطَنوها واتّجروا مع أهلها فى العاجِ والذّهبِ والطّيوبِ العِطْرية ، وهم الّذِين سمّوْا بلادَها وأنهارَها وجِبالها بأسمائِها المعْروفةِ الآنَ .

وقد امتدّ مُلكُ العرب فى داخل إفريقيَةَ شمالاً وغرباً وشرقاً حتى بلادِ الكونغو والزّولو ، ولم تزل آثارُهم هُنالك إلى الآن . وقد عثر بعضُ الأثرِيِّين الإنكليز فى سنة ١٩٠٣ م شمالىّ الترِنسفالِ بالقرب من بلادِ « الكفرةِ » على قبرٍ عربِىٍّ قديمٍ وعليه كتابةٌ بالحروف الحِمْيَرِية تُنْبئُ أن اسم الميِّت سلامٌ ، وأنه توُفىَ سنة ٩٥ هجرية ( سنة ٧١٤ ميلادية ) ، وَينتظرُ العلماء كَشفَ آثارٍ أخرى عربِيّةٍ هامّة فى تلك الأصقاعِ النائية . وكشَف الألمانُ منذُ بِضعِ سنوات بالقُرب من « دانغا » تحت أنقاضِ مدينةِ « فوما كو » القديمةِ فى داخلِ إفريقيَةَ الشرقيةِ كتاباتٍ عربيّةً قديمةً فنَقلوها إلى مُتْحَفِهم فى بِرلين . وفى خرائبِ ممبسةَ ومِليندَةَ وقِلاعِهِما آثارٌ كثيرةٌ ، وكتاباتٌ عربيةٌ لا تزال محفوظةً إلى الآنَ .

وقد استدلّ العلماء من ذلك على أن العربَ منذ صَدرِ الإسلام عرَفوا أكثرَ بلاد إفريقيَةَ ؛ فوصَلوا منابعَ النّيلِ ، وتوغّلوا فى بُحيراتها وغاباتها ومجاهِلها ، ولم يكن الإفرنجةُ يعرفونَ من ذلك شيئاً

إلى وسط القرنِ الماضى ، فكانت أقدامُ الفاتحينَ من العرب أسبقَ إلى تلك البلادِ السحيقةِ من أقدامِ السائحينَ الغربيِّين بعشرةِ قرونٍ .

وقد أثبت أصحابُ الخطط — وبينهم المقريزىُّ — أن كلَّ سواحلِ إفريقيةَ الشماليةِ والشرقيةِ والجنوبيةِ ، قد كشفها العربُ بعد الفتحِ الإسلامىِّ بزمن وجيزٍ ، على عهدِ الخلفاء الأمويِّينَ والعباسيينَ ، فى إبانِ مجــدِ مملكةِ العربِ وسعةِ سلطانهم ، ثم توغَّلوا فى مجاهلِ النيلِ والنيجرِ والكونغو ، وكان عربُ عُمانَ وحضرموتَ والشحر والبحرَيْنِ أوَّلَ من عرف طريقَ الهنـدِ من عهدٍ سحيقٍ . وفى بدء الفتوحِ الإسلاميّةِ اجتازت مراكبُهم سواحلَ إفريقية كلَّها ، وملكوا الصومالَ وممبسّةَ وزنجبارَ وموزمبيقَ وجزائرَ الكومور ، ولا تزال بقايا العربِ شاخصةً فى جزائر مدغشقر وفيلبِّين ، وقد أسَّسوا فيها الممالكَ ، وأقاموا الحصونَ والقِــلاعَ . ووسَّعوا تجارتهم فى تلك الجهات ، فاتجروا فى الذهب وريشِ النعامِ والعاجِ والتوابلِ والطيوب وغير ذلك مما كان الناسُ يتجرون فيه من التحفِ والنفائسِ .

ولقد زار ابنُ بطُّوطةَ — الرّحالةُ الشهيرُ — كثيرًا من هذه الممالك الإسلاميةِ الإفريقية ، وجال فى ممبسّة ولامو ومغدشو وكلوة وسغالة وغيرها . ووصفَ أهلها وعاداتِهم ، ولقِيَ من سلاطينها الإكرامَ والحفاوَةَ ، والهدايا الكثيرةَ . ووصفهم بالتقوى والأمانةِ والكرمِ .

# العِيـــدُ المئَوى[1]

## لعلى بك الجارم



أَخْرَجَ الرّوضُ أَطيبَ الثمَراتِ ‏ ‏ هاتِ ماشئتَ من قَريضكَ هاتِ

زَهَراتٌ تتيهُ بالغُصْن زَهْواً ‏ ‏ وغُصونٌ تتيـــهُ بالزّهَرات

لم تُفارقْ كِمامَهـا ، وشذَاها ‏ ‏ يَنْشرُ الطِّيبَ فى جميع الجِهْات

مُصْغياتٌ إذا الحَمائمُ رَنَّتْ ‏ ‏ بين تلكَ الخمائلِ النّضِرات

---

(١) احتفلت وزارة المعارف المصرية فى اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧ بعيدها المئوى ، وقد أنشدت هذه القصيدة فى هذا اليوم بدار الأوبرا الملكية فى حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها .

ضاحِكاتٌ إذا بكى عابسُ العَيْـــشِ وفاضَتْ عيْناهُ بالعبَرات
وإذا ما جَرى الغَديرُ تدَانتْ لتُحَيِّي الغَديرَ بالقُبُــلات
فانظرِ الرَّوْضَ لا ترَى غيرَ تِبْرٍ من تراب ودُرَّةٍ من حَصاة
كلّما رُمْتَ منه قَطْفَ جَناةٍ سَبَقتْ راحتَيْك ألفُ جَناة
وإذا بارَكَ الإلٰهُ بأرض جعلَ التِّبْرَ فى مَكان النَّبات

*
* *

إن تَطلَّعتَ للرَّغائبِ فابْذُلْ تِلكَ فى الدَّهرِ سُنَّةُ الكائِنات
ليس يُجْنَى من السُّباتِ سِوى الأحْـــلامِ فانهَضْ، وُقيتَ شَرَّ السُّبات

*
* *

قد غرَسْناهُ روْضَ عِلْمٍ فأزْرَى حُســنُه بالحدائق الباسِقاب
وبذَرْنا به القُلوبَ صِغاراً وكِرامَ النُّفوسِ والمُهجات
وسَقَيْنا ثَراهُ ماءً من الأذْ هانِ أحْلَى من كلِّ ماءِ فُرات
وغَـــذَوْناه طيِّباً بجهودٍ ضاعَفَتْ من ثِماره الطَّيبات
وحَميْناه أنْ تَعيثَ به الأَيْـــدِى وتجنى عليه كفُّ الْجُناة
وجَعلْنا له من الْخُلُق العا لِى سِياجاً موثَّق اللَّبنات
وحَفِظنا من الرِّياحِ جَناهُ وَوَقَيْنـــاه شِرَّة الْحشرات
إيهِ يا رَوْضَةَ المعارِف لا زِلْـــتِ مَثابَ الْخيْراتِ والبرَكَاتِ

أنتِ أَنبتّ فى ثرَى النِّيل شعْباً    نافِذَ الرَّأى طاهرَ النَّزَعات
أعْجزَ الغرْبَ هِمّةً وذكاءً    وكذا الشّرْق موْطِن المعْجِزات

*
* *

إنَّما موْلدُ المعارِف فى مِصْـــرَ دَبيبُ الحياةِ بين الرُّفات
جلَّ ربِّى ! آمنْتُ باللهِ ربى !    فالقِ الحبِّ ، باعِثِ الأموات
أرْســـل الله للكِنانَة نَدْباً    هِبْرِزِىَّ الأعْراقِ والعزَمات
فأتاها ( مُحمَّد ) جدُّ ( إسْما    عيلَ ) بالخِصبِ مورِقاً والحياة
لقيتْ مصرُ قبْلَه ما يُلاقى    غرضٌ جاء فى اتجاهِ الرُّماة
جَهلوا داءها الدَّفينَ وشرٌّ    من دَفينِ الأدْواء جهْل الأساةِ
نــكَئُوا جُرْحَها فسالتْ دِماها    قَطَراتٍ تجْرى إلى قطرات
لا تَرى فى الظَّلامِ للعِلْم إلاّ    مُقفِرات من دُورِهِ دارسات
يَكْرَهُ الظُّلمُ كلَّ شىء من الضّو    ءِ ولو كان فى ابتِسامِ الفتَاة
لم يَكن مِنهُ غيرُ وَمْضٍ من (الأز    هَرِ ) يَبْدو مفزَّعَ اللَّمَحات
فأتى مُنْقِذُ البِـلادِ فأحيا    ها برأىٍ ، وعَزْمةٍ ، وثَباتِ
لو دَعا أنْجُمَ السماء لَلبَّتْ    مُهطِعـاتٍ لأمرِه صاغِراتِ

*
* *

شادَ فى مِصرَ للمَعارفِ ديوا    نَاً مَنِيـعَ الأعلامِ والشُّرُفات

وبَنَى للعُلومِ خيرَ بناءٍ  عَلَوِيٍّ فكانَ خيرَ البُناةِ
نَهضَتْ مِصْرُ بَعْدَه نهضاتٍ  تَستَحِثُّ الخُطا إلى نهضات
أرسلَ العِلمُ نوره فسرى الرَّكْـ  ـبُ يَقودُ المُنَى إلى الغايات
ورَأينا بِكُلِّ أرضٍ رِياضاً  دانِياتٍ قُطوفُها زاهِيات

*
* *

مائةٌ من سِنِى (المعارِف) مرّت  زاهِياتٍ بما حوَتْ حافِلات
بلَغَتْ مصرُ فى مَداهُنَّ شأْوًا  فوقَ شأْوِ الكواكب السّابحات
وغدَا مجْدُها الحديثُ — وقد شا  عَ شَذَا عِطْره — حديثَ الرُّواة
أصبحتْ كَعبَةً يحُجّ إليها الشّرْ  قُ بين الخُشوعِ والإِقنات
تَتَهادَى وحقٌّ أن تتهادى  بين ماضٍ زاهى الجبين وآتى
كلٌّ تاريخها كتابٌ من المَجْـ  ـدِ كريمٌ مُطرَّزُ الصَّفَحات

*
* *

بعَثتْ دارسَ الفُنونِ وأحْيَتْ  بعد يأسِ الزّمان أمّ اللُّغات
وأعادَتْ إلى العُلوم منارًا  كان صُبْحَ الدُّجى ، وهَدْىَ السُّراة
أنْجبَتْ للبِلاد أبطالَ عَزْمٍ  هُمْ دُروعُ البِلادِ فى الأَزمات
دَعوُا الشَّعْبَ للعُلَا فرَأيْنا  خيْرَ شَعْبٍ أجابَ خيرَ الدُّعاة
أنجبتْ كلَّ شاعرٍ عبقرىٍّ  صادِقِ الحِسِّ بارعِ اللَّفتات
تَتمنى الأَزهارُ لو كُنَّ يوماً  فى قوافيه موضِعَ الكلمات

أنجبتْ كلَّ مِدْرَهٍ وخَطيبٍ ساحرِ القَوْل ، صادِقِ الحَمْلات

وحَمَتْ شِرْعَةَ الخلائق أن يَغْـــبَرَّ صافي نَميرها بقَـــذاة

قد وَلَجْنا الحياة من كل بابٍ فرَأينا الأَخْلاقَ باب النَّجاة

أصْبحتْ مِصْرُ مَعهْداً لشباب الشَّـــرْقِ ، يَسْعَوْن نحوها بالمشات

عَقدت بيننا الليالى صِلاتٍ مُحْكَماتٍ أَحْبِبْ بها من صِلات

*
* *

إنَّ عِيدَ المعارِفِ اليومَ عيدٌ للنُّهى والجُهودِ والذِّكْرَيات

عيدُ يُمنٍ لمِصْرَ ، فالدَّهرُ دانٍ خاضِعُ الرّأْس ، والزَّمان مُواتى

بلَغَتْ مِصْرُ ما تُرَجِّى وفازَتْ بعد طولِ الأَسَى ، وذُلِّ الشَّكاة

وأطاحَت قُيودَها فاستقلَّتْ وامَّحى ما تَرَكْنَ من نَدَبات

*
* *

واستَعزَّتْ بطلْعةِ المَلِكِ الفا رُوقِ ، زَيْنِ الحِمَى ، وفَخْر الحُماةِ

يُشْرق المُلْك بالمَليكِ ويُزْهى بمَجَالى آلائِهِ المُشْرِقات

تجتَليهِ العُيون بَدْرًا وتَفْديـــهِ عُيونُ الزَّمانِ بالحَدقات

عاشَ للعِلْمِ والبِـــلادِ هُماماً أرْيَحِيًّا ، وعاشَ للمَكْرُمات

---

.

# ٤٠ – العصـــا

لقى الحجاج أعرابيا فقال : « من أين أقبلت ؟ » قال من البادية » قال : « ما بيدك ؟ » قال « عصا أَرْكُزُهَا لصلاتى ، وأُعِدها لِعداتى ، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيى ؛ ليتسع بها خطوى ، وأعبر بها النهر فتؤمننى ، وألقى عليها كسائى فيسترنى من الحر ، ويقينى من القُر ، وتدنى ما بعد منى ، وهى تحمل سفرتى ، وعلاقة إداوتى ، ومشجب ثيابى . أعتد بها عند الضراب ، وأقرَع بها الأبواب ، أتقى بها عقور الكلاب . تنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن الحربة عند منازلة الأقران . ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى . »

( زهر الآداب )

## ٤١ — مِن رِحلةٍ فى الصحْراءِ الغربية

قال أحمد باشا حسنين :

« أقمتُ فى « الكَفرة » نحوَ ثلاثة أسابيعَ فى صيافة السيد العابد وغيره من الأعيان ، وخلاصة مباحثى العلميّة فى هذه المرة : أنّ « الكَفرةَ » أبعَد أربعين « كيلومتراً » إلى الجنوب الشرقىّ ، مما أثبته « رولفس من أرصاد «ستكر» ووجدت ارتفاعها كما حققه «رولفس» ؛ أى أنَّ ارتفاع « بوما » فى أسفل الوادى ٤٠٠ « مِتْرٍ » وارتفاع «الثاج» ٤٥٧ « مترْا »

« وبُعَيد وصولى إلى « الكفرة » ، سمِعت أخباراً اضطرّتنى إلى تغيير خُطَّة رحلتى ؛ فقد كنتُ عازِماً أن أذهب بطريق القوافل من « الكَفرة »



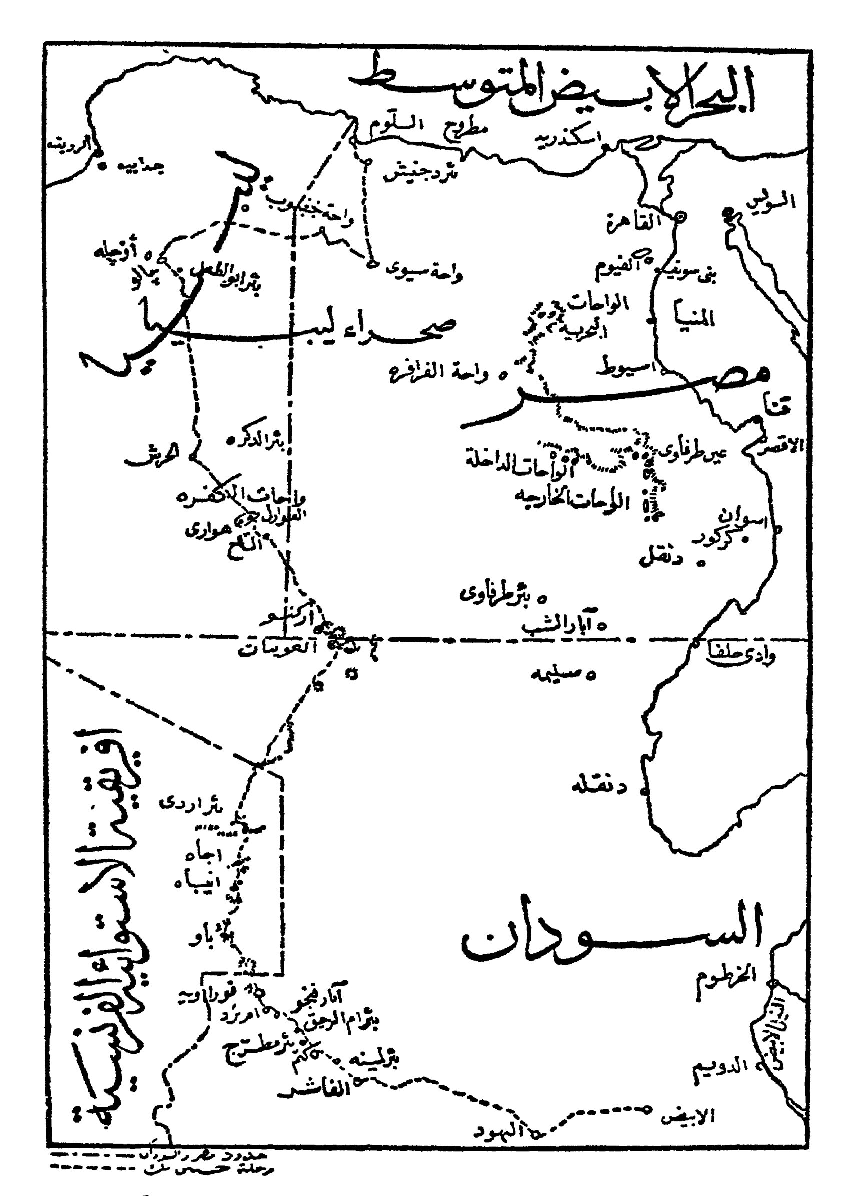
• الرحالة أحمد حسنين باشا

إلى « ودّاى » ، وهو طريق لم يسلكه أحد قبلى من غير أهل البلاد ، ولكِن بلغنى أنّ كشافة فَرَسيّة قدِمت من « ودّاى » إلى منتصف الطريق بين « ودّاى » و « الكفرة » ، وسمِعت أخباراً مُبهجة عن الواحَتَيْن المفقودتين ، وقيل لى إنّهما إلى الشرق من طريق « ودّاى » ، ولم أر لهما رسماً فى خريطة من الخرائط ، فغيّرتُ خطة سفرى ، وعولتُ على الذهاب إلى السودان ؛ لعلى أكشف هاتين الواحتين فى طريقى ، فأكون قد عمِلتُ عملاً يُذكر . وتغيير الخطّة سهل فِكرًا ، ولكنه صعبٌ عملاً ؛ فإن « أبا حليقة » — صاحب الجمال التى استأجرتها من « جالو » ليذهب معى إلى « ودّاى » — أبى أن يذهب بطريق « عُوَينات » قائلاً إنه لا يُخاطر بنفسهِ ، وأبى أن يدَع رجاله وجماله تذهب معى ، وأتانى بسليمان أبى مطارى — وهو تاجر غنىّ — ليصرِفنى عن هذا الطريق ، فقال لى : « إن أخاه محمداً سار منذ ثمانى سنوات فى هذا الطريق ، وهلَك هو والقافِلة ، قُتِلوا على تخوم « دارفور » مع أنهم لم يسيروا فى الطريق الذى عزمتُ على السير فيه ؛ بل فى طريقٍ أسلمَ وأسهل من طريق « عوينات » إلى « مَريجا » . أما الطّريق الذى أنوى الذّهاب فيه فيمرُّ فى بلاد لم تطأها رِجلُ بَدَوِىٍّ ،

و « الدفه » ( قَفْر لا ماء فيه ) بين « عُوينات » و « أردى » طويلةٌ كثيرة المخاطر ؛ فالقافِلة التي تضرِب فيها يرحَمها الله ، فإن جِمالها تقع كما تقع العصافير فى ريح السَّموم . وإذا سَلِمنْا فى الطريق ، فمَن يعلم كيف يستقبلنا سكّان البلاد التى نصل إليها ، فيجب ألا أخاطرَ بنفسى ، ولا أدعَ الطّريق السليم ، طريقَ القوافل إلى « واجنجا » و « أبشه » .
« فشكرتُه على نُصحه وأنا واثق أننى لستُ عاملاً بها »

« ثم بحثتُ فى هذا الموضوع بعد يومَين مع « أبى حليقة » فلم يُقنِعنى ولا أقنعتُه، وأخيراً لما رأى إصرارى على الذَّهاب بطريق « عُوينات » ، وأن السيد العابد يُوافِقنى على ذلك ، رَضِيَ أن يُؤجِّرنى بعض جماله بأجرة الجمال كلّها ، وأن يدبِّر رجالاً يذهبون معى ، فاتفقنا — وأنا لا أعلم ما خُبِّئ لى فى لوح القدَر ، ولكن حبّ كشفِ المجاهل تملّكنى ، فسلَّمت نفسى . »

« فى الثامن عشرَ من شهر إبريل صارت قافلتنا على أهبة السفر ، فأتى كثيرون من الإخوان ورؤساء البدو لتوديعى . وودّع رجالى أصدقاؤهم وهم يحسبون أنه الوداع الأخير ، ويقولون : « إذهبوا بحفظ الله ! ( المقدّر مُقدّر ) وعسى الله أن يأخذ بيدكم ، ويكون معكم . » قالوا ذلك قول من يرى التهلكة أمام عينيه ، ويدعو للنّجاة منها .




خريطة رحلة احمد حسنين بك ( باشا ) من السلوم إلى الأبيض

قطعنا الحيد الجنوبىّ فوق « الكفرة » فانبسطت أمامنا الأرض صحراء ناعمةَ الرِّمال دقيقةَ الحصَى . وفى العشرين من إبريل قطعنا حُزُونًا كثيرة الحجارة ، ورأينا سنونة فى الصباح ، وباشَقًا فى الأصيل . وكانت الليالى شديدة البرد ، والحر وسط النهار يُزهِق النفوس ، فكُنا نسير بعيْد نصف الليل ، ونستريح حينما يشتدُّ الحر .

وفى الثانى والعشرين من إبريل وصلنا إلى كُثبان من الرّمال مغطاةٍ بحجارة سوداء ارتفاع الكثيب منها ما بين ثلاثة « أمتار » وعشرة « أمتار » ، ثم رأينا على يسارنا سِلسلةً من التلال تمتدُّ من الشمال إلى الجنوب الغربىّ ، فتقطَع طريقنا ، فصعِدنا فيها ، وإذا أمامنا نَجدٌ سرنا فيه النهارَ كله ، واسمه وادى « المحاريج » ، ورأينا هناك قُشورًا من بَيض النعام ، وأتانى رجل من رجالى بفرخىْ نَسْر ، فأمرته أن يردَّهما إلى عُشهما . وفى الثالث والعشرين من إبريل وَصلنا إلى كُثبان من الرمل المُنهار عَسِرَةِ المرْتقَى ، وجُزْنا غوْر « فوراو » ، ورأينا جبال « أركنو » ممتدةً أَمامنا .

مَرَّ بنا ثمانية أيام لم نَنَم فى اليوم منها أكثرَ من أربع ساعات ، وحالما كنا نشرَع فى السير كنتُ أرى رجالى يُغْمِضون عيونهم ،

وينامون على الرمال ولو نِصف ساعة ، ورأى الجمالَ تابعةً الدليلَ ومصباحَه الضئيلَ ، وأما أنا فقَلَقى على آلاتى كان يحرمنى النوم معهم .

ولقد كابَدنا مشقَّة كبيرة فى قَطع كثبان الرمال القائمة أمامنا ، ولم نكد نُتِم قطعَها حتى قابلَتْنا الجبال كأَنها من قلاع العصور الوُسطَى . وقد كاد ضباب الصباح يحجُبها عن عيوننا ، وبعد دقائق قليلة حَوّلت الشمس ذلك الضباب الأغبرَ إلى شُعاع وردِىّ .

وفى الرابع والعشرين من إبريل قطعنا ٣٧ « كيلومتراً » فبلغنا جبل « أركنو » .

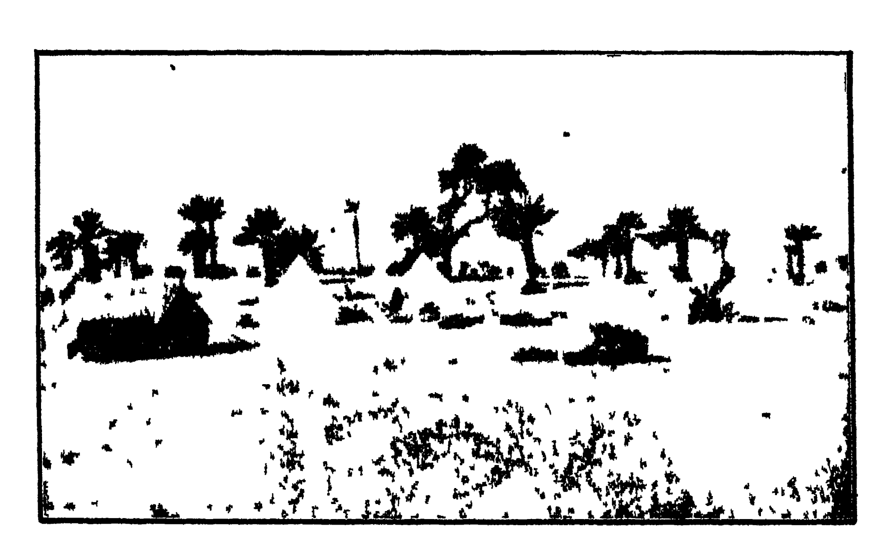
أركنو جبل من الحجر المحبّب ( الجرانيت ) يعلو خمسمائة « متر » عن سطح الصّحراء المجاورةِ له ، وهو قُنن مخروطةٌ متّصِلة من أسفلها . بلغناه من طرَفه الغربىّ وسرنا حول هذا الطرف ، فوصلنا إلى مدخل واد فيه متّجهٍ شرقاً ، وقُربَ مدخله شجرةٌ وَحِدَةٌ من نوع يسمى هناك شجراتِ الأركنو ، وقد أطلق اسمه على الألواح التى هناك ، فنصبنا خيامنا إلى جانب هذه الشجر ، وأرسلنا الجمال إلى الوادى لتشرب وتأتينا بالماء وكنّا فى حاجة شديدة إليه . وحينئذ أتانا أناس سود من سكان تلك البلاد فأحسنا مُلتقاهم ، ودَعوْتُهم للأكل مع رجالى . هذا الجبل قاحل لا يُنتَظر أن يكون فيه واد خِصب

مسكون، والواقع أن هؤلاء الناس لا يُقيمون فيه السنة كلها ، بل يأتونه بجمالهم فى فصل الربيع لِتَرْتَبِعَ فيه ثلاثة أشهر ، ويتركونها فيه وحدها ؛ بعد أن يسُدّوا مَدخل الوادى بالصخور .

وواحة « أركنو » هى أول الواحتين المفقودتين اللتين سمِعت أخبارهما ، وكان من نصيبي أن أكون الأول فى رَسْمها . وقد يصير لهذا الوادى شأن حَربىٌّ فى المستقَبل ؛ لأنه واقع فى مُلتقى تُخم مصر الغربى بتخمها الجنوبى .

وفى ٢٨ من إبريل بدأنا سُرانا ؛ لأن للسرى ليلاً مزّيةً على السير نهارًا ، ويرى المسافر الوقت ينقضى سريعا ، إلا إذا كان قد أضناه التعب ، ويرى له من النجوم رفيقاً أنيساً يُسلّية إذا كان من محبي الطبيعة . وكنا نرى جبالَ « عوينات » فى الأفق قائمة أمامنا فنطمئِن إليها ، لأن السآمة تزول إذا كان أمام المرء غرَض محدود يسعى إليه ، بَدَلا من أن يسيرفى عُرض القفر على غير هُدًى ، لا يرى أمامه إلا أبعاداً شاسعة لا حد لها . ولما دَنوْنا من تلك الجبال ظهرت الشمس فوقها . وأفاضت على قُنَنها من أشعتها الذهبية ، فألقت على الأرض ظِلّا ظليلاً كنا نراه يتقلص ويقصُر رُويْدًا رويداً بدُنوِّنا من الجبال ، فنصبنا خيامنا عند الزاوية الشمالية الغربيـة ،

وهناك شِعب فى طرَفه عين ماء ، والجبل قائم على جانبيه كشاهق تَسنِد قدميه حجارة كبيرة وصغيرة ، فعَلَت بها أنياب الدّهر فأزالت زواياها ، وسحَلتها سَحْلا . والعين ليست يَنبوعاً جاريًا بل قَلْتٌ فى الصخر يتجمع فيه مياه المطر .



مخيم البعثة فى الصحراء

وقمنا فى الصباح ، وصعِدنا فى الجبل إلى العين الكُبرى . وهى غزيرة المياه طيِّبتُها ، تحيط بها قَصْباء دقيقة القصب وفى أخرَيات النهار أمنعنّا فى الواحة ، حتى إذا كان مُنصَف الليل دخلنا وادِيًا يحيط به التلال عن يسارنا ، والجبل عن يميننا . والودى ناعمُ الرمل كثير الحجارة ، السَّير فيه شاقٌ على الجمل . ووقفنا عند الفجر، وصلَّيْنا

الصبح ، وشرِبنا الشاى ، حتى إذا كانت الساعة السابعة دخلنا واديًا واسعًا بين جبلين شاهقين ، أرضُه منبسِطة كالكف ، وفيه عُشب وأشجار من السَّنط ، وأنجُمٌ إذا مَرَثْتَ أوراقها بيدك شَمْمتَ لها رائحة كرائحه النّعناع . وهناك كثير من نبات الْحَنظلِ وهو عريض الورق ، له ثمَر أصفرُ مستديرٌ كالّليمون الكبير ، يُغْلِى السكان بَذره ، حتى تزولَ مرارته ، ثم يَسْحَنُونه مع التمّر والجراد فى هواوين من الخشب ، ومنه أكثر طعامهم .

ونصبنا خيامنا الساعة العاشرة ، ونِمنا ثم قمنا وأكلنا ، وسرتُ لأشاهد آثار الإنسان فى العصور الخالية ، فإذا هناك رسومُ حيوانات منقوشةٌ فى الصخر ، تجد فيها رسم الأسد والزّرافة والنّعامة وأنواع الغَزال ، ورسومًا كالبقر . والنقشُ غائر فى الصخر ، من ربع بوصة إلى نصف بوصة ، ولم أقف على تاريخٍ لهذه النقوش . ومما لَفت نظرى بنوع خاصٍ أمران ، الأول : أن الزّرافةَ لا تقطُن تلك البلاد الآنَ ، ولا توجد فى قَفرٍ مثلِ هذا القفر . والثانى : أن ليس بين هذه الرّسوم رسمُ الجمل ، مع أنه يستحيل على المرء أن يصل إلى هناك إلا إذا كان الجمل مطيّته . فهل كان الذين نقشوا هذه الصُّوَر يعرفون النعامة ولا يعرفون الجمل ؟ مع أن الجمل أُدخل إلى أفريقيةَ مِن آسيا نحو سنة خمسِمائة

قبلَ المسيح . ولم أر هناك من أنواع الصّيد إلا الغزالَ والضّأن الجبليّ ، ونوعاً صغيراً من الثعلب رمادِى اللون .

عُدنا إلى خيامنا صباحَ الثانى من مايو ، فوجدنا الشيخ « هرى » فى انتظارنا ويُلقَّب بملك « العوينات » ، مع أن سكانها ١٥٠ نفساً وقد اتَّفقتُ معه لكى يرافقَنا إلى « أردى » كدليل ، وقمنا من هناك مساء الأحد فى السادس من مايو ، وسرنا فى أرض مُنبسطةٍ ، وهى رمال تغطّيها الحصَى ، وهنا وهناك شىء من الحشيش ، فكانت جمالنا تتقوّت به ، فقطعنا ٥٤ « كيلومتراً » فى ١٢ ساعة .

وفى التاسع من مايو كنا سائرين ، فشعَرتُ نحو الساعة الثامنة ليلاً أَن الريح تهُب فى وجهى ، وكان الجو مُطَبَّقاً بالغيوم ، فالتفتُّ إلى الحكّ ( البوصلة ) وإذا نحن سائرون إلى جهة الشّمال الشرقى بدل الجنوب الغربى ، فاتضح لى أن دليلنا سُكَّراً أضاع رأسه . وهنا مشكل تجب مداواته بالحكمة لئلّا يفقِدَ الدليل ثقتَه بنفسه . وزاد الطين بِلّة أن ثارت زَوْبعةٌ رملية أطفأت المصباح الذى يسير به أمامنا ، فاختلط الحابِل بالنّابِل ، واشتد عَصْف الرياح ، وأدرك كل أحد أننا ضَلَلنا السبيل ، فصمّمْتُ على السير مسترشِداً بالحك ، وأضأنا المصباح ، وسرت فى المقدمة والحك فى يدى ، وبعد ساعاتٍ قليلة هدأت العاصفة ، فإذا نحن بين كثبانٍ من الرمال .

# ٤٢ — مصر والشام

من قصيدة أنشدها حافظ بك إبراهيم فى حفلٍ أقامه جماعة من أدباء الشام بمصر لتكريمه سنة ١٩٠٨ :

لِمصْرَ أمْ لِرُبوعِ الشَّأْمِ تنتَسبُ ... هنا العُلا ، وهناكَ المجْدُ والحسَبُ

خِدْران للضّادِ لم تُهتَكْ سُتورهما ... ولا تحوّل عن مَغناهُما الأدَبُ

أمُّ اللغاتِ غَداةَ الفَخْرِ أمُّهُما ... وإن سألتَ عن الآباءِ فالعربُ

إذا ألمّتْ بوادِي النِّيلِ نازلَةٌ ... باتتْ لها راسِياتُ الشّامِ تَضْطَرِبُ

وإن دَعا فى ثَرَى الأهرامِ ذو ألَمٍ ... أجابَه فى ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَحِب

* * *

بأرضِ « كولُمبَ » أبطالٌ غطارِفَةٌ ... أسْدٌ جِياعٌ إذا ما وُوثِبوا وثَبوا

ماعابَهُم أنهم فى الأرضِ قد نُثِروا ... فالشُّهبُ مَنْثورَةٌ مُذْ كانتِ الشهُبُ

ولم يَضِرْهم سُراهُ فى مَناكِبِها ... فكلُّ حَيٍّ له فى الكَوْنِ مُضْطَرَبُ

هذى يَدى عن بَنى مصرٍ تُصافحكم ... فصافحوها تُصافِحْ نَفْسها العَرَبُ



## ٤٣ — حسن التخلص

روى عن الرَّبيع مولى الخليفة المنصور أنه قال :

« ما رأيت رجلا أرْبَط جأشاً ، وأثبَت جَناناً من رجل سُعِي به إلى المنصور أن عنده ودائع لبنى أُمية وأموالاً ، فأمرنى بإحضاره ، فأحضرته إليه » فقال له المنصور :

قد رُفع إلينا خبر الوَدائع والأموال التى عندك لبنى أُمية فأَخرج لنا منها وأحضرها ، ولا تكتُم منها شيئاً . » فقال : « يا أمير المؤمنين ! أنت وارِث بنى أُمية ؟ » قال : « لا . » قال : « فوصِىٌّ لهم فى أموالهم ورباعِهم ؟ » قال : « لا . » قال : « فما مَسألتك عمّا فى يدى من ذلك ؟ » فأطرَق المنصور وتفكّر ساعة ثم رَفَع رأسه وقال :

« إن بنى أُمية قد ظَلَموا المسلمين فيها ، وأنا وكيلُ المسلمين فى حقوقهم، وأريدُ أن آخُذَ ما ظَلموا المسلمين فيه فأجعَله فى بيت أموالهم . »

فقال : « يا أمير المؤمنين ! فتحْتاج إلى إقامة بَيِّنةٍ عادِلة أن ما فى يدى لبنى أُمية مما خانوه وظَلموه ؛ فإن نى أُمية قد كانت لهم أموالٌ غير أموال المسلمين . » فأطرَق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال :

« يا ربيع ! ما أرى الشيخ إلا قد صَدق ، وما يجب عليه شىء ، وما يَسعُنا إلا أن نعفوَ عما قيل عنه » ثم قال : « هل لك من حاجة ؟ »

قال : « نعم ، حاجتى يا أمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سَعَى فىّ إليك ، فوالله الذى لا إله إلا هو ما فى يدى لبنى أُميَّة مالٌ ولا وديعة ، ولـكنى لما مَثَلْت بين يديك ، وسألتنى عما سألتنى عنه ، قابلْتُ بين هذا القول الذى ذكرتُه الآن ، وبين ذلك القول الذى ذكرتُه أوّلاً ، فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص والنَّجاة . » فقال : « يا رَبيع ! اِجمع بينه وبين مَن سَعَى به . » فجمعت بينهما ، فلما رآه قال : « هذا غُلامى ، اختلَسَ ثلاثة آلاف دينار من مالى ، وأبِقَ منى ، وخاف من طَلَبى له ، فسَعَى بى عند أمير المؤمنين »

فشَدَّد المنصور على الغُلام وخوَّفه ، فأقرَّ بأنه غلامه ، وأنه أخذَ المال الذى ذكره ، وسعَى به كذِباً عليه ، وخوْفاً من أن يَقَع فى يده .

فقال له المنصور : « سألتك أيها الشيخ أن تعفوَ عنه » فقال : « قد عفوْت — يا أمير المؤمنين — عنه ، وأَعْتَقْتُه ، ووهَبتُه الثلاثة الآلاف التى أخَذها ، وثلاثة آلاف أخرى أدفعها إليه . »

فقال له المنصور : « ما على ما فعلت من مَزيد . » قال : « بلى يا أميرَ المؤمنين ، إن هذا كلّه لَقليل فى مُقابلة كلامِك لى ، وعَفوِك عنى . » ثم انصرف .

قال الربيع : « فكان المنصور يتعجب منه ، وكلما ذكره يقول : « ما رأيتُ مثل هذا الشيخ يا ربيع . »

## ٤٤ — وصف حَمَل

كتب أبو الخطاب الصابى فى وصف حمل مُهْدًى :

وصلتْ رُقْعتُك فَفَضَضْتُها عن خطٍّ مُشْرِق ، ولفظ مُونق ، وعِبارة مُصيبة ، ومعانٍ غَريبة ، واتِّساعٍ فى البلاغة ، يَعْجِز عنه عبد الحميد فى كتابته ، وسَحْبان فى خطابته . وتَصَرُّف بين جِدٍّ أمْضى من القَدَر ، وهَزْل أَرَقّ من نسيم السَّحر ، وتقلُّب فى وجوه الخطاب الجامع للصَّواب ، إلا أَنَّه الفِعل قصر عنه القَوْل ؛ لأنك ذكرت حَمَلاً جعلته بصفَتك جَمَلاً ، فكان المُعَيْدىَ الذى تسمع به ولا أن تراه . وحضر ، فرأيت كبْشًا مُتقادم الميلاد ، من نِتاج قوم عاد ، قد أفْنَتْه الدهور ، وتعاقَبَت عليه العُصور فظننته أحد الزَّوجين اللَّذين جعلهما نوح فى سفينته ، وحَفِظ بهما جِنْسَ الغنم لذرِّيَّته . صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دَمامتُه ، وتقاصَرت قامته ، وعاد ناحِلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادى السَّقام ، عارى العظام ، جامِعاً للمعايِب ، مُشتملاً على المثالب . يَعْجَب العاقل من حُلول الحياة به ، وتأَتِّى الحركة فيه ؛ لأنه عَظْمٌ مُجَلَّد ، وصوف مُلبَّد . لا تَجِد فوق عِظامه سَلَبا ، ولا تَلْقى يدك منه

إلا خَشَبا ، لو أُلْقِيَ إلى السَّبُع لأباه ، ولو طُرِحَ للذِّئْبِ لعافه وقلاه . قد طال لِلْكلأ فقدُه ، وبَعُدَ بالمرعى عَهْدُه . لم ير القتّ إلا نائماً ، ولا عرف الشَّعِير إلا حالما .

وقد خيرتنى بين أنْ أَقْتَنيه فيكون فيه غِنى الدهر ، أو أَذْبحه فيكون فيه خِصْب الرّحل . فملت إلى اسْتِبْقائه لما تعرف من مَحَبّتى للتَّوفير ، ورغْبتى فى التَّثمير ، وجَمْعى للولد ، وادّخارى للعتد . فلم أجد فيه مُسْتَمْتَعاً للبقاء ، ولا مَوْضعاً للغَناء ؛ لأَنَّه ليس بأُنثى فتَحمِل ، ولا بفَتِىٍّ فَينْسُل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى . فمِلْت إلى الثانى من رأْيَيْك ، وعوّلت على الآخِر من قوْلَيْك ، وقلت : « أذبحه ؛ فيكون وظيفة للعيال ، وأُقيمه رطباً مقام قَدِيد الغزال » فَأَنْشَدَنى — وقد أُضْرِمت النار ، وَحُدَّت الشّفار ، وشَمَّر الجزار — :

أُعيذُها نَظَراتٍ منك صادقة أن تَحسَبَ الشَّحم فيمن شَحْمه وَرَم

وقال : « ما الفائدة لك فى ذَبْحى ؟ وأنا لم يَبْق منّى إلاّ نَفَسٌ خافِت ، ومُقْلَةٌ إنسانُها باهِت . لستُ بذى لحم فأَصْلُحَ للأَكل ؛ لأَنَّ الدهر قد أَكل لحمى ، ولا جلدى يَصْلح للدباغ ؛ لأَنَّ الأيام قد مزَّقت أَدَمى . ولا لى صُوف يصلح للغزْل ؛ لأن الحوادث قد حصَّت وَبَرى . فإن أَرَدْتنى للوقود ، فكفٌّ بعر أَبْقى من نارى ،

ولن تفىَ حرارة جَمْرى بريح قُتارى . فلم يَبْق إلا أن تَطْلُبنى بذَحْل ، أو يكون بينى وبينك دم . » فوجدته صادقاً فى مَقالَته ، ناصِحاً فى مَشورَته . ولم أعلم من أىّ أمْرَيْهِ أَعجب ؟ أَمِن مُماطَلَته للدهر بالبقاء ؟ أم صبره على الضُّرّ واللَّأْواء ؟ أم قدرتك عليه مع إعْواز مثله ؟ أم تأهيلك الصديق به مع خَساسَة قدره ؟

ويا ليت شِعْرى إذ كنتَ — وإليك سوق الغنم ، وأمرك يَنْفذ فى الضَّأن والمعز ، وكل كبش سمين وحَمَل بَطين مجلوب إليك ، مقصور عليك ؛ تقول فيه قولاً فلا تُرَد ، وتريده فلا تُصَد — وكانت هدِيَّتك هذا الذى كأنَّه ناشر من القُبور ، أو قائم عند النَّفْخ فى الصُّور . فما كنتَ مهدياً لو أنك رجل من عُرْض الكتَّاب ، كأبى على ، وأبى الخطاب ؟ ما كنت تهدى إلا كلباً أجرَب ، أو قرداً أَحْدَب !

# ٤٥ — المقامة الحلوانية

## لبديع الزمان الهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال :

« لما قَفَلتُ من الحجِّ فيمن قفلَ ، ونزَلت حُلْوانَ مع من نزَل ، قلتُ لِغُلامى : « أجِدُ شعْرى طويلاً ، وقد اتَّسَخَ بَدَنى قليلاً ، فاخترْ لنا حمّاماً نَدْخُله ، وحَجّاماً نَسْتَعمله ، ولْيَكن الحمَّام واسعَ الرُّقْعة ، نَظيف البُقعة ، طَيِّب الهواء ، مُعتدل الماء . ولْيَكن الحجَّام خَفيفَ اليد ، حديدَ المُوسَى ، نظيف الثِّياب ، قليل الفُضول . »

فخرج مَلِيًّا ، وعاد بَطِيًّا ، وقال : « قد اخْترته كما رَسَمْت . » فأخذْنا إلى الحمَّام السَّمْت ، وأتَيْناه فلم نَر قوَّامَه ، لكنى دخَلته ، ودخل على أثَرِى رجل ، وعَمَد إلى قطعة طين فلَطَّخَ بها جَبِينى ، ووضعها على رأسى ، ثم خرج . ودخل آخر فجعل يدلُكنى دَلْكًا يَكُدُّ العِظام ، ويَغمِزُنى غَمْزاً يَهُدُّ الأوْصال ، ويَصْفِر صفيرًا يَرُشُّ البُزاقَ ، ثم عَمد إلى رأسى يَغْسله ، وإلى الماء يُرْسِله . وما لبث أن دخل الأول ، فحيَّا أَخْدعَ الثانى بمَضْمومة قَعْقَعَتْ أنيابَه ، وقال : « يا لُكَعُ ! ما لك ولهذا الرَّأس وهو لى ؟ » ثم عطف الثانى على الأول بمجموعة هتَكَتْ حجابَه ، وقال :

« بل هذا الرأس حقّى ومِلكى فى يدى . » ثم تَلا كما حتى عَيِيَا ، وتحا كما لما بَغيا . فأَتيا صاحبَ الحمام ، فقال الأول : « أنا صاحب هذا الرّأس ؛ لأنى لَطَّخْتُ جبينه ، ووضعت عليه طينهُ . » وقال الثانى : « بل أنا مالكه ؛ لأنى دَلَكْتُ حامِلَه ، وغَمزْت مفاصِله . »

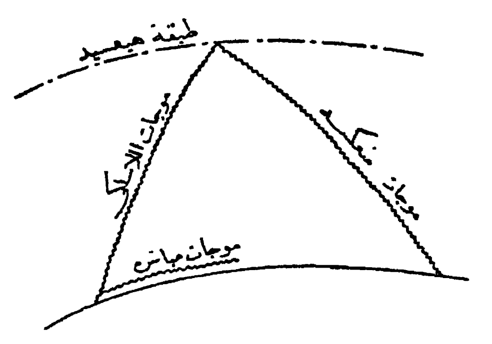
فقال الحمامى : « ائتونى بصاحب الرأس أسأله : ألك هذا الرّأس أم له . » فأَتيانى وقالا : « لنا عندك شَهادَةٌ فَتجشَّم . » فَقُمت وأتيت ، شئت أم أَبَيْت .

فقال الحمامى : « يا رجل ! لا تَقُل غيرَ الصِّدق ، ولا تَشْهد بغير الحق ، وقل لى : هذا الرأس لأَيِّهما . » فقلت : « يا عافاك الله ! هذا رأسى ، قد صَحِبَنى فى الطريق ، وطاف معى بالبيت العَتيق ، وما شَكَكْتُ أنه لى . » فقال لى : « أُسْكُت يا فضولى . » ثم مال إلى أحد الخصْمَيْن ، فقال : « يا هذا ! إلى كم هذه المنافسة مع الناس بهذا الرّاس . تَسَلّ عن قليل خَطَره ، وإلى لعنة الله وحَرِّ سَقَرِه ، وهب أن هذا الرأس ليس ، وأنا لم نَر التَّيْس . »

قال عيسى بن هشام : « فَقُمتُ من ذلك المكان خَجِلًا ، ولبِست الثيابَ وَجِلًا ، وانْسَلَلْتُ من الحمام عجِلًا . »

## ٤٦ ـ انعكاس الموجات

جميع أنواع الموجات تنعكس ، فموجات الصوت تنعكس ، وما صدى الصوت إلا نتيجة تصادم موجات الصوت وبناء مرتفع أو تل عال وانعكاسها إلينا ثانية . وموجات الضوء تنعكس من السطوح اللامعة والمرايا . وما ظهور صور لنا إذا وقفنا أمام المرآة إلا نتيجة انعكاس موجات الضوء . فما شأن موجات اللاسلكى إذاً ؟هل هى تنعكس أيضاً ؟




الجواب على ذلك بالإيجاب ، أى أنها تنعكس كما تنعكس الموجات الأخرى ، فهى تسير فى خطوط مستقيمة ، وتعكسها بعض الطبقات العليا فتتغير اتجاهها وتتجه ثانية نحو الأرض . وإليك البيان :

إن القشرة الأرضية تعلوها طبقة من الهواء ، وإن هذا الهواء تتغير طبقته بحسب ارتفاعنا فوق سطح الأرض ، فكلما ارتفعنا عن سطح الأرض قلت كثافة طبقات الهواء حتى نصل إلى ارتفاع تجد بعده الطبقات خالية من الهواء ، ويصل هذا الارتفاع إلى

مائة ميل تقريباً . ولحسن الحظ أيضاً أن الحالة الكهربية لطبقات الهواء تتغير على حسب الارتفاع أيضاً ؛ فعلى ارتفاع نحو ستين ميلاً عن الأرض طبقة من الهواء تعكس الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة وتسمى طبقة « هيفيسيد »[١] نسبة إلى العالم الطبيعى الإنجليزى الذى كشفها ، وعلل بوجودها انعكاس الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة منها . فموجات اللاسلكى تسير فى خطوط مستقيمة ، وإذا ارتفعت فى الجو تسير كذلك فى خطوط مستقيمة ، حتى تصل إلى هذه الطبقة فتنعكس وتعود إلينا أى إلى الأرض ، فتلتقطها أجهزتنا . ويمكن هذه الموجات أن تنعكس ثانية من الأرض فترتفع ، ويتكرر الانعكاس بين الأرض وطبقة « هيفيسيد » .

ولولا ذلك الانعكاس لانتشرت موجات اللاسلكى فى الفضاء وتبعثرت . وتذكرنى هذه الطبقة — بالنسبة لموجات اللاسلكى — بموجات الحرارة بالنسبة للسحب ؛ ففى الليلة الغائمة ذات السحب الكثيفة تجد الدفء أكثر منه فى الليلة الصافية ، وما ذلك إلا لأن موجات حرارة الأرض لا تكاد تصل إلى السحب حتى تعكسها إلى الأرض ثانية ، فلا تتشتت هذه الموجات ، ونشعر لذلك بالدفء .

---

(١) «Heaviside»

وهناك طبقة أعلى من الطبقة الأولى تسمى طبقة « أبلتن »[١] وهى طبقة أخرى على ارتفاع أربعين ومائة ميل من سطح الأرض وهى تعكس الموجات القصيرة التى يمكنها أن تنفذ من الطبقة الأولى فجميع الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة والقصيرة تنعكس وتغير اتجاهها ، وهذا هو السبب فى أنها تنحنى مع انحناء الأرض .



(١) "Appleton's Layor"

## ٤٧ — العبرات

للمرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى :

كنت أغبِط نفسى على التجلُّدِ والصبر ، وأحسَبنى قادرًا على الاستمساك فى كل رُزء مهما جلّ شأنه ، وعظُم وقْعُه. فلما مات مصطفى كاملٍ علِمتُ أن من الرزايا ما لا يطاقُ احتمالُه ، ولا يستطاع تجرُّعهُ .

كلّ يوم نَرى الموت، ولا نزال نعدُّ الموت غريباً . هيهات ! لا غرابةَ فى الموت ، ولكنَّ الغريب موتُ الرَّجل الغريب .
كلّ يوم تمرُّ بنا قوافلُ الموتَى فلا نأْبَهُ لها ، وأكبر نصيبها مِنَّا الْحوقلة والاسترجاع ، فلما مرت قافلة مصطفى كامل دَهِشنَا وجزِعْنا لأنه كان غريباً فى حياته ، فأَحْرى أن يكون غريباً فى مماته .

مات مصطفى كامل فعرفْنا الموت ، وما كنا نعرفه قبل ذلك ؛ لأننا ما كُنَّا نرى إلا أمواتاً يُنقَلون من ظهر الأرض إلى بَطنها ، أما مصطفى كامل فكان حيًّا حياةً حقيقيَّةً ، فكان موته كذلك .

لا يَحسَب الكاتبون أنهم صنعوا شيئاً إذا بذلوا لذلك الرَّجل العظيم قَطرةً من المِداد ، ولا الباكون أنهم أبلَوْا بلاء حسناً إذا بذلوا له

قَطرة من الدَّمع ، فإنه كان يبذُل لهم ماء حياته قطرةً فقطرةً ، حتى أفناه ومضَى لسبيله ، وشَتَّان ما بين صنيعهم وصنيعه .

أين قطراتُ الدموع التى يُرِيح بها البا كون أنفسهم ،أو قطرات المِداد التى يُرصِّع بها الكتاب بَياض صحائفهم — من قطرات الحياة التى أراقها مصطفى كامل فى سبيل وطنه وأمته ؟

كان مصطفى كامل سِراجا كبير الشُعلةِ ، وكل سراجٍ تكبُر شعلتُه يفرَغ زيته وشيكاً ، وتحترق ذُبالته فينطفِئُ نوره .

كان مصطفى كامل نشيطاً سريع الحركة ، فقطَع جِسر الحياة فى لحظةٍ واحدة .

كان الوطنيّون قبل اليوم يتكلّمون ، فلما صاح مصطفى كامل وأسمع فى صياحه ، عرفوا أن آذان السّياسة لايخترِقها إلا الصّوتُ الجْهْوَرىُّ ، ولولاه ما كانوا يعرفون .

كان الوطنيّون يحتقِرون أنفسهم ، ويُسيئون الظنَّ بها ، فلا يصدّقون أن تُرْبةَ مصرَ تُنبت أمثالَ : فولتيرَ ، وهوجو ، وغريبالدى ، وواشِنطونَ . فلما نبغَ مصطفى كامل عرَفوا أن تُربة الشرق لا تختلف كثيراً عن تربة الغرب — لو تَعهَّدها الزَّارعون .

كان مصطفى كامل أناملهُ أشبهُ شيء بريشة الموسيقارِ ؛ يضربُ ، بها على أَوتارِ القلوب . وكأَنما كان بينه وبينها سِلكٌ كهربِيٌّ ؛ فهي تتحرك بحركته ، وتسكن بسكونه .

ما كان مصطفى كامل أَذْكَى النَّاسِ ، ولا أعلَم الناس ، ولا أعقلَ الناس ، ولكنه كان أشجعَ الناس .

كَان يفكر فيقتنِعُ ، فيصمِّمُ فيَمْضِي ، فلا ينثَني حتى الموت . كان يُخطِئُ أحياناً فى اتخاذ الوسائلِ إلى آماله ، ولكنَّه كان إذا اتخذَها لا يتمهَّل ريثما يتبيَّن أى طريق يأخذ ، ولا أى مَسلَك يسلكُ ؛ مخافة أن تفترُ َهمتُه بين الأخذ والرد ، فيكونَ خطؤُه فى تردُّدهِ أكثرَ من خطئه فى جهاده .

كان له مُنافسون يرمونَه بالخِفَّةِ والطَّيش ، ويقولون له إنك مُخْطِئ ، أو مُضرّ ، أو غيرُ محسنٍ ، أو غير عظيم ، فما كان يصدّق من ذلك شيئاً ، كأَنما كان ينظر بعين الغيب إلى هذا اليوم الذى اتفَق فيه أصدقاؤه وأعداؤه ، وخصومه وأولياؤه أنَّه رجلٌ عظيم .

ما كان مصطفى كَاملٍ من الأغنياء ، ولا من َبيْت المُلكِ . وما كَان آمراً ولا ناهِياً ، ولا رافعاً ولا خافضاً ، ولكنَّه اتقِيَ من إجلال

الناس لموته ، وإعظامهم لمُصيبته ما لم يلقَ واحد من هؤلاء . ولا فضْلَ لهم فى ذلك عليه ؛ فهو الّذى علّمهم كيف يحترمون العُقولَ ، ويجِلُّونَ المناقِبَ والمَزايا .

فيأيها القارئُ الكريمُ ! إنْ كان لك ولدٌ تحِبُّ أن تجعلة رجلا ، فاجعلْ بين يديه حياةَ مصطفى كامل ، ليتعلَّمَ منها الشجاعةَ والإقدام .

ويأيّهـا المصرى ! كُن أَحرص الناسِ على وطنيّتك ، ولا تبغِ بها بدلاً من عرَضِ الدنيا وزُخرُفها ، فإنك إن فعلت كنتَ مصطفى كاملٍ .

ويأيها الإنسانُ ! أقدِمْ على عظائم الأمور ، ولا تلتفِت يَمنةً ولا يَسرةً ، واختَرِق بسيف شَجَاعتك صفوفَ المُعترِضين والنّاقمين ، والهازِئين والساخِرين ، فانهم سيعترفون بفضْلك ، ويُسَمّونك عظيماً كما سمّوْا مصطفى كاملٍ .

ويأيها الراحلُ المودَّع ! إن بينَ جنبىَّ لوعة تَعتلِج لِفراقك ، لا أَعرِفُ سبيلاً إلى التعبير عنها إلا القلمَ .

وهأنذا أعالجُ القلمَ عِلاجاً شديداً ، على أن يُسعِفَنى بحاجتى ، وأُقلِّبه ظهراً لبطنٍ ، وأُكثِر من استِمداده ، وأَضغَط به القرطاس ضغطاً شديداً ، فلا أَراهُ يُغنى عنى شيئاً

خطر لى أن الحزنَ فى سُوَيْدَاء القلب ، وأنه بعيد الغَوْرِ ، لا تبلُغه هذه الأداة القصيرةُ التى فى يدِى ، فاستبدَلتُ بها أداةً أطولَ منها ، فكان حكمُها حكمَ سابقتها .

إذن كيف أُعبِّرُ عن وجْدِى أيها الفقيدُ الكريمُ ، وقد خرِس القلمُ ، وعَيِيَ اللّسان ؟

الآن عرفتُ السبيلَ ، ووصلتُ إلى ما أريد .

أنتَ الآنَ فى عالمَ الأرواح ، وقد انكشَف لك كلُّ شىء من أسرار النّفوس ودخائل القلوب ، ولابُدَّ أن يكون قد انكَشف لك ما يُكِنّ قلبي من الوَجْد عليك ، والأسَف على فِراقك . فما حاجتى بعد ذلك إلى ترجَمة القلمِ أو تَعبير اللّسان ؟

أيها الراحلُ المودَّعُ ! طِبتَ حيًّا وميتاً خدمتَ أمّتك فى حياتك وبعد مماتك . ولولا حياتُك ما نَمت العاطفةُ الوطنيّةُ فى نفوس المِصريين ، ولولا مماتُك ما عرف العالمُ أجمعُ أن الأمةَ المِصريةَ — على اختلاف مشاربها ومذاهبها — تجمعُها كلمةٌ واحدةٌ ، هى : حبُّ الوطن ، وحبُّ رجالِهِ العامِلين .



## ٤٨ ــ أبو نصر المَنَـازى وأبو العلاء المعرى

قيل إن أبا نصرٍ أحمدَ بن يوسفَ المنَازى ، دخل على أبى العلاء المعَرى فى جماعة من أهل الأدب ، فأنشد كلٌّ واحد منهم من شعره ما تيسَّر ، فأنشده أبو نصر :

وقانا لفحةَ الرّمضاء وادٍ سقاهُ مُضاعَفُ الغيثِ العميم
نزلنا دَوْحَه فحَنا علينا حُنُوَّ الوالدات على الفَطيم
وأرشَفَنا على ظمأٍ زُلالا ألذّ من المُدامة للنّديم
يصُدّ الشمس أنَّى واجهتنا فيحجُبها ويأذَن للنّسيم
يروع حَصاه حاليةَ العذارى فتلمِس جانب العِقد النَّظيم

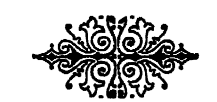
فقال أبو العلاء : « أنت أشعرُ مَن بالشأم . »

ثم رحل أبو العلاء إلى بغدادَ ، فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الأدب ببغـداد — وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً — فأنشد كل واحد ما حضره من شعره ، حتى جاءت نَوْبة المنازى فأنشــد :

لقد عرَض الْحَمَامُ لنا بسَجْعٍ إذا أَصغَى له رَكْبٌ تلاحَى

شَجَا قلبَ الخليِّ فقيل : غنَّى | وبرح بالشجيِّ فقيل : ناحا
وكم للشّوقِ فى أحشاء صبٍّ | إذا اندملت أجدَّ لها جراحا
ضعيفُ الصبر عنك وإن تقاوَى | وسكرانُ الفؤاد وإن تصاحَى
بذاك بنُو الهوى سَكرى صُحاةٌ | كأحداقِ المَها مرضَى صِحاحا

فقال أبو العلاء : « ومَن بالعراق . » عطفاً على قوله « مَن بالشأم »



## ٤٩ — معاوية وعرابة بن أوس الأنصارى

كان عرابة بن أوس الأنصارى سيد ناديه ، وثِمَال عافِيهِ ، تُجِله عشيرته ، وينزل قومه على إرادته ، فقال له معاوية : « بأى شىء سدت قومك ياعرابة ؟ » قال : « أخبرك يامعاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه » قال : « وكيف كان ؟ » قال : « كان كما وصف نفسه بقوله :

وأصبحت فى أمر العشيرة كلها كذى الحلم يُرضى مايقول ويعرف
وذاك لأنى لا أعادى سَراتهم ولا عن أخى ضرائهم أتنكَّفُ
وإنى لأُعطى سائلى ولربما أُكلَّف ما لا أستطيع فأُكلَفُ
وانى لمذموم إذا قيل : حاتم نبا نَبْوَةً ؛ إن الكريم يُعنَّفُ

ووالله إنى لأعفو عن سفيههم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، وأعطى سائلهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى ، ومن قَصَّر عن فعلى فأنا خير منه . »

فقال معاوية : « لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك : —

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

## ٥٠ — العُقاب

العقاب خفيفة الجناح ، سريعة الطَيَران ، إن شاءت ارتفعت حتى لا تُرى ، وإن شاءت هَبَطَتْ . وهى مُولَعةٌ بصيدِ الحيّات .



وفى طبعها — قبل أن تتدرّب — أنها لا تُراوغ صيداً ، ولا تجِدّ فى طَلَبِهِ ؛ بل لا تزال موفية على شرف عال ، فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً ، انقضّت عليه ، فتتركه لها ، وتنجو بنفسها .

ومتى جاعت لم يَمتنع عليها الذّئب ، وربما صادت حُمُر الوحش ، وذلك أنها إذا نظرت الحمار ، رَمت بنفسها فى الماء حتى يَبْتَلَّ جناحاها ، ثم تتمرَّغ فى التراب وتطير ، فتقع على هامَتِه ، وتصفِّق على عينيه بجناحيها ، فتملؤها تُراباً ، فلا يرى أين يذهب ، فيؤخذ .

وقد وصف العقاب الشعراء ؛ فمن ذلك ما قاله أبو الفرج الببغاء

ما كل ذات مِخْلَبٍ ونابِ  من سائِرِ الجارِحِ والكِلابِ
يُدْرِكُ فى الجِدِّ والطِّلابِ  أيسَرَ ما يُدْرِكُ بالعُقابِ
شريفةُ الصِّبغة والأنْساب  تطير من جناحِها فى غابِ
وتَسْتُرُ الأرضَ عن السَّحاب  وتحْجُبُ الشمس بلا حِجاب
يَظَلُّ منها الجوُّ فى اغْتِراب  مُسْتَوْحِشاً للطَّير كالمُرْتاب

*
* *

ذَكيةٌ تنْظر من شِهاب  ذات جِران وَاسِعِ الجِلْبابِ
ومَنْكِبٍ ضَخْم أثيثٍ رابى  ومَنْسِرٍ مُوَثَّق النِّصاب
وراحتَىْ لَيْثِ شَرَى غَلاَّب  نِيطَتْ إلى براثِنٍ صِلاب
مُرْهَفَةٍ أمْضى من الحِراب  وكل ما حَلَّق فى الضَّباب

لملكها خاضِعــة الرِّقاب



## ٥١ — أبو العتاهية

نَشأَ بالـكُوفة وسَكَن بَغدادَ ، وكان يَبيعُ الجرار ، فقيل له الجَرار .

ومن مديحه :

إنِّى أُمِنْتُ من الزّمان وصَرْفهِ    لما عَلِقت من الأمير حبالا

لو يَسْتَطيعُ الناس من إجْلاله    تَخِذوا له حُرَّ الْخُدود نِعالا

إن المَطايا تَشْتكيكَ لأنها    قَطعَت إليك سَباسِباً ورِمالا

فإذا وَرَدْن بنا وَرَدْن خَفائِفا    وإذا صَدَرْن بنا صَدَرْن ثِقالا

وهذه الأبيات قالها فى عَمْرو بن العَلاء ، فأَعْطاه سَبعين ألف درهم . وخلع عليه من الخِلَع ما لم يقدر أن ينهض به ، فغار الشُّعراء لذلك ، فجَمَعهم ثم قال : « يا مَعْشر الشُّعراء ! عَجباً لكم ! ما أَشَدَّ حَسدكم بعضكم بعضاً ! إن أَحَدكم يَأتينا لِيَمْدَحنا بقصيدة يُشَبِّب فيها بصديقَته بخمسين بيتاً ، فما يَبلُغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورَوْنق شِعره ، وقد أتانا أبو العَتاهية يُشَبِّب بأَبْيات يسيرة ، فما لكم منه تَغارون ؟ »

وكان أبو العتاهِيَة لما مدحَه بهذه الأبيات تأَخَّر عنه بِرُّه قَليلاً ، فكَتَب إليه يَسْتَبْطِئه :

أصابَت علينا جُودَكَ العينُ يا عمرُو  فنحن لها نَبغى التَّمائِم والنُّشَرْ
سَنَرْقيكَ بالأشْعار حتى تَملَّها  وإن لم تُفِق منها رَقَيْناك بالسُّوَرْ

قال أَشْجَع السّلمى الشاعر المشهور : « أَذِنَ الخليفةُ المهدِىُّ للنّاس فى الدخول عليه ، فدخَلنا فأَمَرَنا بالجلوس ، فاتّفق أن جَلَسَ بجَنْبى بَشَّارُ بْنُ بُرْد ، وسَكَت المهدِىُّ فسَكَت الناس ، فسَمِع بَشَّار حِسًّا فقال لى : « من هذا ؟ » فقلت : « أبو العتاهية . » فقال : « أَتُراه يُنشِدُ فى هـذا المَحْفِل ؟ » فقلت : « أَحْسَبُه سيَفْعل . » قال : فأمره المهدى أن ينشد فأنشد :

ألا ما لسيِّدتى مالَهـا  أَدَلًّا فأحمِلَ إدلالَهـا

قال : « فنَخَسَنى بشّارٌ بِمِرْفَقِه وقال : وَيْحَكَ ! أَرَأَيْتَ أَجْسَر من هذا يُنشِد مثل هذا الشعر فى هذا الموضع ؟ » حتى بلغ إلى قوله :

أَتَتْه الخِلافَةُ مُنْقـادَةً  إليـه تُجَرِّرُ أَذْيالَهـا
فلم تَكُ تَصْلُحُ إلّا له  ولم يَكُ يَصْلُحُ إلّا لهـا
ولَوْ رامَها أحـدٌ غَيْره  لَزُلْزِلَت الأرض زِلزالَها
ولو لم تُطِعْه بَناتُ القُلوب  لما قَبِل الله أعمالَهـا

فقال لى بشّار : « اُنْظر ! وَيْحَكَ يا أَشْجَع ! هل طار الخليفة عن فَرْشِه ؟ » قال أَشْجَع : « فوَالله ما انْصَرَفَ أحدٌ عن ذلك المجلس بجائِزَة غير أبى العتاهِيَة . »

وله فى الزُّهْدِ أشْعار كثيره . وهو من مُقدَّمى المـُوَلدين فى طبقـة بَشّار وأبى نُواس وتلك الطائِفة ، وشِعْره كَثير .

وكانت ولادَتُه فى سنة ثلاثين ومائة ، وتُوُفِّىَ يوم الاثنين لثمان خَلَوْن من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين — وقيل ثلاث عشرة ومائتين — ببَغْداد ، وقَبرُه على نَهر عيسى قُبالَة قَنْطَرة الزَّيَّاتين ( رحمه الله تعالى ) .

ولما حَضرَتْه الوَفاةُ قال : « أشْتَهى أن يَجىء مُخارِق المغنّى ، ويُغنِّى عند رَأْسِى . » ( والبيتان له من جملة أبيات ) :

إذا ما انْقَضَتْ عنّى من الدَّهر مُدَّتى ... فإنّ عَزاء الباكياتِ قَليـلُ

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرى وتُنْسَى مَودَّتى ... ويَحْدُث بعدى لِلْخَليل خليل

وأوْصى أنْ يُكْتَب على قَبْره هذا البيت .

إنْ عَيْشاً يكونُ آخِرهُ الموْ ... تَ لعيشٌ مُعَجّل التَّنْغيص

ويحكى أنَّه لِقِىَ يوماً أبا نُواس فقال له : « كم تَعْمل فى يومك من الشّعر ؟ » فقال له : « البيت والبيتين . » فقال أبو العتاهية : « لـكننى أعمل المـائة والمـائتين فى اليـوم . » فقال أبو نواس : « لأنّك تعمل مِثل قولك :

يا عتبُ ما لى ولكِ ... يا ليتَنى لم أركِ

« ولو أردتُ مِثل هذا الألف والألفين لقدَرتُ عليه . »

ومن لَطيف شعره قوله :

ولقد صَبوْتُ إليكِ حــــتّى صار من فَرط التّصابى
يجِـدُ الْجليسُ إذا دنا ريح التّصابى فى ثِيابى

وحكاياته كثيرة ، ومن شعره فى عتبةَ جارية المهدى :

يا إخوتى إنّ الهَوى قاتلى فبشِّروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا فى اتِّباع الهوى فإننى فى شُغُلٍ شاغِل

ويقول فيها :

عينى على عتبــــةَ مُنْهلّةٌ بدَمعها المُنسكب السائِل
يا مَن رأى قبلى قتيلا بكَى من شدة الوَجدِ على القاتل
بسطتُ كفّى نحوكم سائلاً ماذا تردُّون على السّائل
إن لم تُنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بَدَلَ النائل
أو كنتم العَامَ على عُسرة منه فمُنّوه إلى القابِل

وكان أبو العتاهية ترك قولَ الشعر ، فحَكَى قال : « لما امتنعتُ من قوله أمر المهدِىُّ بحَبسى فى سِجن الجرائم . فلما دخلتُه دهِشت ، ورأيت مَنظرًا هالنَى ، فطلبتُ موضِعاً آوِى فيه ، فإذا أنا بكَهل

حسنِ البزّة والوجه ، عليه سيما الخيرِ ، فقصدته وجلست من غير سلام عليه ، لِما أنا فيه من الجزَع والحَيرة والفكر ، فمكثت كذلك مَلِيًّا وإذا الرجل يُنْشِدُ :

تعودتُ مسّ الضُّرِّ حتى ألِفتهُ ... وأسلمنى حسنُ العَزاء إلى الصَّبْرِ

وصَيّرنى يأسِى من الناس واثقاً ... بحسن صنيعِ الله من حيثُ لا أدرى

فاستحسَنتُ البيتين وتبرّكت بهما . وثاب إلىّ عقلى . فقلت له : « تفضل — أعزك الله — علىّ بإعادتهما . » فقال : ياهذا وَيحكَ ! ما أسوأ أدبك ، وأقل عقلَك ومروءتَك ! دخلتَ فلم تُسلّم عَلَىّ تسليمَ المسْلم عَلَى المسْلم ، ولا سألتنى مَسألة الوارد عَلَى المقيم ، حتى سمِعتَ منى بيتين من الشعر الذى لم يجعل الله تعالى فِيك خيراً ولا أدباً ولا مَعاشاً غيرَه ، طفِقت تستنشِدنى مبتدِئاً كأَن بيننا أُنساً وسالفَ مودة توجب بَسط القَبض ، ولم تذكر ما كان منك ، ولا اعتذرتَ عما بدا من إساءة أدَبك . » فقلت : « اعذِرنى مُتفضِّلاً ، فدون ما أنا فيه يُدهِش . » قال : « وفيم أنت ؟ تركتَ الشعر الذى هو جاهُك عندهم ، وسَببك إليهم ، ولا بدَّ أن تقوله فتُطلَق . وأنا مطالَب بعيسى بن زيدٍ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَدُلَّ عليه وعلى مكانه ، فإن دلَلتُ عليه لقيتُ الله بدمه ، وغضِب منى رسول الله ، وإلاَّ قُتِلتُ ، فأنا أَولَى بالحيرة منك .

وها أنت ذا ترى صَبرى واحتسابى . » فقلت : « يكفيك الله عز وجل . »
وخجلت منه ، فقال : « لا أجمع عليك التوبيخ والمَنع ، اسمع البيتين . »
ثم أعادهما علىّ مراراً حتى حفظتُهما ، ثم دُعِىَ به وبى . فقلت له :
« من أنت أعزك الله عز وجل ! » قال : « أنا حاضر صاحب عيسى
ابن زيدٍ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . » فأدخلنا على المهدىّ ، فلما
وقفنا بين يديه قال للرجل : « أين عيسى بنُ زيد ؟ » قال : « وما
يُدرينى أين عيسى بن زيد ؟ تطلَّبتَه فهرب منك فى البلاد ، وحبستَنى
فمن أين أقف عَلَى خبره ؟ » قال له : « متى كان متواريا ؟ وأين آخر عَهدك به ؟
وعند مَن لقيتَه ؟ » قال : « مالقيتُه منذ تَوارَى ، ولا عرفت له خبراً . »
قال : « والله لتدُلَّن عليه أو لأضرِبَنّ عنقَك الساعة . » فقال : « اِصنع
مابدا لك ، فوالله ما أدلُّك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وألقَى الله تعالى ورسوله عليه السلام بدمه ، ولو كان بين ثوْبى وجلدى
ما كشفت لك عنه » قال : « اضرِبوا عنقه . » فأمر به فضربت عنقه .
ثم دعا بى فقال : « أتقول الشعر أو ألحقُك به ؟ » قلت : « بل أقول . »
قال : « أَطلِقوه . » فأُطلقت .

وقد رَوَى القاضى أبو على التَّنوخِىّ فى البيتين المذكورين زيادة
بيتٍ ثالث وهو :

إِذا أنا لم أقْنَع من الدهر بالذى  تكرّهتُ منه طال عَتْبِى على الدهر

ومن شعر أبى العتاهية فى الحكم قوله : —

الْحِرص داء قد أضرَّ بمن ترى إلا قليلا
كم من عزيز قد رأيت الحرص صيَّره ذليلا
فتجنب الشَّهوات واحذرْ أن تكون لها قَتيلا
فلَربَّ شهوةِ ساعةٍ قد أورثتْ حُزناً طويلا

* * *

من لم يكنْ لك مُنْصِفاً فى الوُدِّ فابْغِ به بَديلا
وعليكَ نفسَك فارْعَها واكسِبْ لهَا فعلاً جميلا
ولقلَّما تلقى اللئيم عليك إلا مستطيلا
والمرء إن عرف الجميل وجدتَه يَبْغِى الجميلا

وقوله :

خيرُ أيام الفتى يومٌ نفع واصطناع الخير أبقى ماصنع
ونظيرُ المرء فى معروفه شافعٌ مَتَّ إليه فشفَعَ
خذ من الدنيا الذى دَرَّتْ به واسْلُ عما بان منها وانقطع

* * *

إنما الدنيا مَتاعٌ زائلٌ فاقتصدْ فيه وخُذْ منه ودَعْ
وارضَ للناس بما تَرضَى به واتْبعْ الحق فنعْمَ المتَّبَعْ
وابغِ مااسْطَعْتَ عن الناس الغِنَى فمن احتاج إلى الناس ضَرَعْ

وقوله :

ما أنا إلا لمن بَغَانِي أرى خليلى كما يرانى
لست أرى ما ملكتُ طرْفى مكانَ من لا يرى مكانى
لا ترْتجِ الخير عند من لا يصلح إلا على الهوان
ولا تدع مكسباً حلالاً تكون منه على بيان
فالمال من حِله قوام للعِرض والوجه واللسان
والفقر ذلٌّ عليه باب مفتاحه العجز والتوانى



## ٥٢ — أُمّ العبّاس بن المأمون

عن أبي عبد الله التُميريّ قال : كنتُ يوماً مع المأمون وكان بالكوفة ، فركب للصَّيد ، ومعه سَرِيّةٌ من العسكر ، فبينما هو سائر إذ لاحت له طَرِيدَةٌ فأطلق عِنان جواده . وكان على سابقٍ من الخيل ، فأشرَف على نهر ماء من الفُرات ، فإذا هو بجارية عربية خُماسيَّةِ القَدِّ ، كأَنها القمر ليلةَ تمامه وبيدها قِربة قد ملأَتها ماء ، وحملَتْها على كتِفها ، وصعِدت من حافَة النّهر ، فانحلّ وِكاؤها ، فصاحت برفيع صوتها : « يا أبت ! أَدرِكْ فاهَا ، قد غلبني فُوهَا ، لاطاقة لى بفيها . »

« فعجِب المأمون من فصاحَتها ، ورمت الجاريةُ القِربةَ من يدها ، فقال لها المأمون : « يا جاريةُ ! من أيّ العرب أنت ؟ » قالت : « أنا من بنى كِلابٍ . » قال : وما الّذى حملكِ أن تكونى من الكلاب ؟ » فقالت : « والله لستُ من الكلاب ، وإنما أنا من قومٍ كِرام غيرِ لئام ، يَقْرون الضَّيف ويضربون بالسيف » ثم قالت : « يا فتى ؟ من أيّ الناس أنت ؟ » فقال : « أوَ عِندكِ علمٌ بالأنساب ؟ » قالت : « نعم . » قال لها : « أنا من مُضرَ الحمراء . » قالت : « من أى مضرَ ؟ » قال : « مِن أكرمِها نسباً ، وأعظمِها حَسباً ، وخيرِها أمًّا وأباً ، مِمّن تهابُه مضر كلُّها . » قالت : « أظنُّك من كِنانةَ . »

قال : « أنا من كنانةَ . » قالت : « فمِن أيِّ كنانةَ ؟ » قال : « من أكرمِها مولِدا ، وأشرفِها محتِداً ، وأطولِها فى المَكرَمات يداً ، ممن تهابُه كِنانةُ وتخافه . » فقالت : « إذاً أنتَ من قريشٍ . » قال : « أنا من قريش . » قالت : « من أىّ قريش ؟ » قال : « من أجملِها ذِكراً ، وأعظمِها فخراً ، ممن تهابه قريش كلُّها وتخشاه . » قالت : « أنت واللهِ من بنى هاشمٍ » ، قال : « أنا من بنى هاشمٍ . » قالت : « من أى هاشمٍ ؟ » قال : « من أعلاها منزِلةً . وأشرفها قبيلةً ، ممن تهابه هاشمٌ وتخافه . » فعند ذلك قبّلتِ الأرض وقالت : « السلام عليكَ يا أمير المؤمنين ، وخليفةَ ربِّ العالمين . » فعجِب المأمون وطرِب طرباً عظيما ، وقال : « والله لأتزوّجَنَّ بهذه الجارية ؛ لأنها من أكبر الغنائم . » ووقف حتّى تلاحَقت عنده العساكِرُ فنزَل هناك ، وأنفذَ خلْف أبيها ، وخطَبها منه ، فزوّجه بها ، وأخذها وعاد مسروراً . وهى والدة ابنه العبّاس . »

## ٥٣ — نفس كبيرة

كتب إلى بديع الزمان بعض إخوانه يهنّئه بمرض أبي بكر الْخوارزمى ، وكان بينهما مُنافسة ، فكتب البديع : —

الْحرُّ — أطال الله بقاءك — لاسيّما إذا عَرَف الدهرَ مَعْرفتى ، ووصف أحواله صفتى — إذا نظر علم أنَّ نِعَمَ الدَّهرَ ما دامت معدومةً فهى أمانىّ ، وإن وُجدت فهى عوارى . وأنَّ مِحَنَ الأيام وإن طالت فَسَتنْفَد ، وإن لم تُصِب فكأَنْ قد ، فكيف يَشْمَت بالِمحْنَة من لا يأْمنها فى نفسه ، ولا يَعْدَمُها فى جنسه . والشَّامِت إن أَفْلت فليس يفوت وإن لم يَمُت فسيموت . وما أَقْبح الشّماتةَ بمن أَمِن الإماتة ! فكيف بمن يتوقّعها بعد كل لحظة ، وعَقِب كل لَفْظة ؟ والدهر غَرثانُ طَعمه الخيار ، وظمآنُ شِرْبه الأحرار . فهل يشمَت المرء بأنياب آكله ؟ أم يُسَرُّ العاقل بسلاح قاتله ؟

وهذا الفاضل — شفاه الله — إن ظاهرْناه بالعداوة قليلا ، فقد باطَنّاه ودًّا جميلا . والحر عند الْحمِيَّة لا يَصْطاد ، ولكنه عند الكرم يَنْقاد ، وعند الشَّدائد تَذْهَب الأحْقاد ، فلا تتصوّرْ حالتى إلا بصورتها من التّوجُّع لعلّته ، والتحزُّن لمرضَتِهِ . وقاه الله المكروَه ! ووَقانى سماع المحذور فيه ! بمَنِّه وحوْله ، ولُطفه وطَوله .

# ٥٤ — المعتَصِم بن صُمادحٍ

## على فِراش الموت

الأندَلس فى أمر مَرِيج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطَّربت ، وفقدَت رواسِيَها من بنى أميةَ فمادت ، وأصبحت كرُقعة الشِّطْرَنج ، يتغالَب الملوك على كل بيت فيها ، كل قوِىٍّ يحوز ماوسِع حولُه وهِمَّته ، والعيش غِلاَبٌ ، « والبَرّ أَوسعُ والدنيا لمن غلَبا . »

فى هذا المُعتَرك ملَك محمَّد بن أحمد بن صمادِح التّجيبىّ مدينةَ (وَشْقَةَ) بالأندلس . ثم ملَك ابنـه مَعْنُ بن محمّد مدينةَ (المَرِّية)[١] . وخلَفه ابنه أبو يحيى المعتَصِم بالله وهو فى سنّ الرابعةَ عشرةَ . نشأ فى مُلك ضيقِ الرُّقعة ، فاستعاض منه سعةَ الخُلق وبُعدَ الهمة ، وحِليةَ العـلم والأدب ، والسخاء الشامل ، والجود العميم ، حتى طاوَل المعتمِدَ بن عبّادٍ كبيرَ ملوك الطوائف ونافَسه ، وقال أمير المسلمين يوسفُ بن تاشْفِين حينما لقيَهُما بالأندلس « هذان رجُلَا هذه الجزيرة . »

قال ابن خلـكان :

« وكان رحبَ الفِناء ، جزيلَ العطاء ، حليماً عن الدِّماء ، طافت

---

(١) مدينه بالأندلس على ساحل البحر الرومى كانت قاعدة الأسطول الاسلامى .

به الآمالُ ، واتسع فى مَدحه المَقال ، وأعملت إلى حضرته الرِّحال ، ولزِمه جماعةٌ من فُحول الشعراء . »

وقال الفتح بن خاقان :

« ملِك أقام سوق المَعارف على ساقها ، وأبدع فى انتِظام مَجالسها واتِّساقِها ، وأَوضَح رسمَها ، وأثبَتَ فى جبين أيَّامه وَسمَها ، لم تَخلُ أيَّامه من مُناظرة ، ولا عَمُرت إلا بمُذاكَرة أو مُحاضَرة . وكانت دولته مشرَعًا للكرم ، ومطلَعاً للهِمم ؛ فلاحَت بها شمُوسٌ ، وارتاحت فيها نفوسٌ ، ونفَقَت فيها أعلام الأعلام ، وتدفَّقت بِحار الكلام ، كإجادةِ ابن عمّار وإبداعه فى قوله مُعتذِرًا من وَداعه :

أمُعتَصِماً بالله والحربُ ترتَمى ... بأبطالها والخيلُ بالخيل تَلتَقِى

دعتْنى المطايا للرَّحيل وإنَّنى ... لأَفرَق من ذكر النَّوى والتَّفرقِ

وإنى إذا غرَّبتُ عنكَ فإنَّما ... جبينُك شمسٌ والْمَرِيَّةُ مَشرِقِى »

وكان المعتصِم كالمعتمدِ بنِ عبّاد شاعرًا مجيداً . كتب إلى الوزير الشَّاعر ابن عمّار :

وزهَّدنى فى الناس مَعرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحِباً بعد صاحبِ

فلم تُرِنى الأيام خِلاًّ تسرُّنى ... مبادِيه إلا ساءنى فى العواقِب

ولا قُلت أرجوه لدفعِ مُلِمَّة ... من الدَّهر إلا كان إحدى المَصائب

طوى الأمير أربعين عاماً فى إمارته ، شاع فيها ذكرُه ، ونبهُ اسمه ، وحلَب الدهر أَشطُره ، ورأى أحداثه وعِبَره ، ثم حُمَّ القضاء ، ويبعث ابن تاشفين جُنوده عَلَى ملوك الطوائف تثُلُّ عروشَهم ، وتُعَفِّى آثارهم ، ولقى « رَجُلَا الجزيرة » الصدماتِ الأولى ، فدارت على المعتمدِ الدّائِرات ، فإذا هو أَسير أَغْمَاتَ[1] ، والمعتَمدِ بن عبّاد قِصةٌ مِلؤُها العبرات والزّفرات .

وعَلِم ابن صمادح بما أَصاب صاحبَه فملَكه الغمّ ، وناء به الحزن وكان أسعدَ من صاحبه جدًّا ، نجاه الموت من الإسار ، وأنقذَه الحِمام من المذلّة . « رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ . » ولله ابن بَسّام حين يقول :

« وكان بين المعتَصِم وبين الله سريرةٌ أسلفت له عند الحِمام يداً مشكورةً ، فمات وليس بينه وبين حُلول الفاقِرة به إلا أَيام يسيرةٌ فى سُلطانه وبلده ، وبين أهلِه وولَده . »

دع ما نمّق الكتّاب وأَنشدَ الشّعراء ، ودع أربعين طَواها الزّمان كأنّها أحلامٌ ، وانظُر المعتصِم ليلة الخميس لثمان بَقِيْنَ من شهر ربيعٍ الأول سنةَ أَربعٍ وثمانين وأربعمائة — اللّيلة التى طلع عليه بالرّدى فَجْرُها . ها هو ذَا على فِراش الموت فى قصرِه بالمَرِيَّة ، ومُعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ، ترى خِيامَه ، وتسمعُ ضوضاءه ،

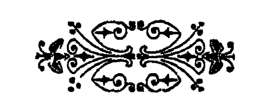
---

(١) بليدة كانت وراء مراكش .

ويسمع المعتصِم وَجبةً من الجيش اللَّجِب ، والجنـدِ المُصطَخِب ، فيقول كأَنْ لم ينعَم بالمُلك والجاه أَربعين عاماً :

« لا إله إلا الله ، نُغِّص علينا كلُّ شيء حتى الموت » قالت « أُرْوَى » إحدى جَوَاريه : « فدَمَعت عَيْنَاىَ ، فلا أَنسى طَرْفاً إلىَّ يرفَعُه ، وإنشاده لى بصوت لا أَكادُ أَسمَعه : »

« ترفَّق بدَمْعِك لا تُفنِه فبين يدَيك بكاءٌ طَوِيلُ »



## ٥٥ — من رسالة لابى عمرِ بنِ بحرٍ الجاحظ
## فى الحاسِد والمحسود

الحسدُ — أبقاك الله — داء ينهك الجسد، ويُفسد الأوَد . علاجه عَسِر، وصاحبه ضَجِر . وهو باب غامض ، وأمر متعذِّر ، وما ظهر منه فلا يُداوَى ، وما بطَن منه فمداويه فى عناء ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسدُ والبغضاء » وقال بعض الناس لجلسائه : « أىُّ الناس أقلّ غَفْلة ؟ » فقال بعضهم : « صاحب لَيلٍ ؛ إنما همُّه أن يُصبِح . » فقال : « إنه لكذا ، وليس كذاك » فقالوا له : « فأخبِرنا بأقل الناس غفلةً . » فقال : « الحاسد ؛ إنما همُّه أن ينزع الله منك النّعمة التى أعطاكَها ، فلا يغفُل أبداً . » ويروى عن الحسن أنَّه قال : « الحسد أسرع فى الدين من النار فى الحَطب اليابس ، وما أُتِىَ المحسودُ من حاسده إلا من قِبَل فضل الله عنده ونعمتِه عليه . قال عز وجل : « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . »

والحسد عَقيد الكفر ، وحَليف الباطل ، وضِدُّ الحق ، وحَرب البَيان ، فقد ذمّ الله أهل الكتاب به فقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ

الـكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَـكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِـكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ . » فمنه تتولَّد العداوةُ ، وهو سَبب كلّ قَطيعةٍ ، ومنتِج كلّ وَحْشةٍ ، ومُفرِّق كلّ جماعة ، وقاطع كلِّ رحِم من الأقرباء ، ومُحدث التّفرُّق بين القرَناء ، ومُلقِّح الشّر بين الُحلفاء ، يكمُن فى الصدر كمون النَّار فى الحجَر .

ولو لم يدخُل على الحاسد — بعد تَراكُم الغُموم على قلبه ، واستِكمان الحزن فى جَوْفه ، وكَثرة مَضَضه ، ووَسواس ضميره ، وتنغُّص عُمره ، وكدَر نفسه ، ونكَد عيشه — إلا استِصغارُه نِعمة الله عِنْدَهُ ، وسُخطه على سيّده بما أفاد غيره ، وتمنِّيه عليه أن يرجع فى هبته إياه ، وألا يرزُق أحداً سِواه — لكان عند ذَوِى العقول مَرحوماً ، وكان لدَيهم فى القياس مظلوماً . وقد قال بعض الأعراب : « ما رأيتُ ظالماً أشبهَ بمظلوم من الحاسد : نفَسٌ دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم . والحاسد مَخذول ومَوْزور ، والمحسود مَحبوب ومَنصور . والحاسد مغموم ومهجور ، والمحسود مَغْشِيٌّ ومَزور .

والحسد — رحِمك الله — أول خطيئةٍ ظهرت فى السموات ، وأول مَعصية حدثت فى الأرض ، خُصَّ به أفضل الملائكة فعصَى ربّه ، وقايَسه فى خَلقه ، واستكبر عليه ، فقال : « خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ

مِنْ طِينٍ . » فلعَنه وجعله إبليساً ، وأنزله من جِواره بعد أن كان أنيساً ، وشوّه خَلْقه تشويهاً ، وموّه على قلبه تمويهاً . نسِىَ به عَزْمَ ربه فواقَع الخطيئة ، فارتَدع المحسود فتاب عليه وهَدَى ، ومضى اللّعين الحاسد فى حَسَدِه فشَقِىَ وغوَى . وأمّا فى الأرض فابنَا آدم حسَد أحدهما أخاه فعَصى ربه ، وأثكل أباه . وبالحسد طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ؛ فقد حمَله الحسد إلى غاية القَسْوة ، وبلغ به أقْصى حدودِ العُقوق ، إذ ألقى الحجر عليه شادِخاً ، فأصبح عليه نادِماً صارخاً .

ومن شأن الحاسد — إذا كان المَحسود غنيّا — أن يُوبِّخه على المال ؛ فيقول : « جمَعه حراماً ، ومنعه أيتاماً . » وألّبَ عليه محاويج أقاربه ، فتركهم له خُصَماء ، وأعانهم فى الباطن ، وحملَ المحسود على قطيعتهم فى الظاهر ، فقال : « لقد كفَروا معروفك ، وأظهروا فى الناس ذمّك ، ليس أمثالهُم يوصَلون ، فإنهم لا يَشكُرون . » وإن وجد له خَصماً أعانه عليه ظُلماً . وإن كان ممّن يعاشره فاستشاره غشّه ، أو تفضّل عليه بمَعروف كفَره ، أو دعاه إلى نَصْرِهِ خذَله ، أو حضر مدحَه ذمَّه ، وإن سُئل عنه همَزه ، وإن كانت عنده شهادة كتَمها ، وإن كانت منه إليه زَلة عظّمها ، وقال إنّهُ يحبّ أن يُعاد ولا يعود ، ويرى عليه القُعودِ .

وإن كَان المحسود عالماً قال : « مبتدِعٌ لرأيه متّبِـع ، حاطِب لَيْل ، ومُبْتغى نَيل ، لا يَدرى ما حمَـل ، قد ترك العمل ، فاقبل على الحِيل . » وإن كَان المحسود ذا دِين قال : « متصنع يغزو ليوصى إليه ، ويحُج ليُثْنَى عليه ، ويصوم لتُقبَل شهادته ، ويُظهر النُّسك ليودَع المـالُ بيتَه ، ويقرأ فى المسجد ليزوِّجَهُ جارُه ابنته ، ويحضُر الجنائز لتُعرف شُهرته . » وما لقيتَ حاسداً قطُّ إلا تبيَّن مكنونه بتغَيّر لونه ، وتخويص عينه ، وإخفاء سلامه ، والإقبال على غيرك ، والإعراض عنك ، والاستِثْقال لحديثك ، والخلاف لرَأْيك .

وكان عبد الله بن أُبَىٍّ قبل نِفاقه نسيجَ وحده ؛ لجودَة رأيه ، وبعد هِمَّته، ونُبل شيمته ، وانقياد العشيرة له بالسِّيادة ، وإذعانهم له بالرياسة . وما استَوْجب ذلك إلا بعد ما استجمع لَهُ لُبّـه ، وتَبيَّن لهم عقله ، وفُقِد بينهم جَهله ، ورأوه لذلك أَهلًا لمـا أَطاق له حَملا . فلما بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وقدِم المدينة ورأى ( عَبدُ الله ) عِزَّ رَسُولِ الله ، شَمِخ بأنفه ، فهدَمَ إسلامه بِحسده ؛ وأظهر نِفاقه ، وما صار مُنافِقاً حتى صار حسوداً ، وما صار حسوداً حتى صار حقوداً ، فحُمِق بعد اللُّب ، وجهِل بعد العقل ، وتبوأَ النار بعد الجنَّة ولقد خطَب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار ، فقالوا : « يا رسول الله لا تَلُمْهُ ؛ فإنا كُنَّا قد عقَدْنا له الْخَرَزَ قبل قُدومك لتُتوِّجه .

ولو سلِم للمخذول قلبه من الحسد لكان منْ الإِسلام بمكان ، ومن السُّؤدُد فى ارتفاع ، فوضَعه الله لحسَده ، وأظهر نِفاقهَ . ولذلك قال القائل :

طال على الحاسد أحزانهُ فاصفَرَّ من كثرة أحزانه
دَعْه فقد أُشْعِلَ فى جَوْفه ما هاجَ فيـه حَرَّ نيرانه
العيبُ أشْهَى عنـده لذةً من لذَّة المـــال لخزَّانِهِ
فارْمِ على غاربه حَبْلَه تَسلَمِ من كثرةِ بُهتانِهِ »



# ٥٧ — الوزير المهلبي

قال أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابى فى الوزير المهلبي :

قل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كل الورى أوصافُه
لك فى المجالس منطق يشفى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
وكأن لفظك جوهر مُتَنَخَّل وكأنما آذاننا أصدافه

والمهلبي هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هرون بن إبراهيم بن عبد الله ابن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وزر لأحمد بن بويه الديلمى. وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة.

وكان أبو محمد من سروات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعفائهم . وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً فى البلاد على طريق الفقر والتصوف . قال أبو على الصوفى : « كنت معه فى بعض أوقاته أماشيه فى إحدى طرقاته ، فضجر لضيق الحال فقال :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر تَصدَّق بالوفاة على أخيه

ثم تصرف بما يرضيه الدهر وبلغ المهلبي مبلغه . »

قال أبو على : « دخلت البصرة فاجتزت بسليمانان وإذا أنا بواسطيات وحراقات وطيارات فى عُدة وعِدة ، فسألت لمن هذا ؟ فقيل للوزير

المهلبي . ونعتوا لى صاحبي ، فوصلت إليـه حتى رأيته ، فكتبت إليـه رقعة ، وتوصلت حتى دخلت فسلمت ، وجلست حتى خلا مجلسه ، فدفعت إليه الرقعة وفيها :

ألا قـل للوزير بلا احتشام مقـال مُذَكِّر ما قـد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش « ألا موت يبـاع فأشـتريه »

فنظر إلىّ وقال : « نعم . » ثم نهض وأنهضنى معه إلى مجلس الأنس ، وجعـل يذاكرنى مامضى ، ويذكر لى كيف ترقت حاله . وقُدم الطعام فطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بدَر ، ومع الآخر تُخُوت ثياب ، ومع الثالث طيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل ، فقال لى : « ياأبا على ! تفضل بقبول هذا ، ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك . » فشكرته وانصرفت . فلما هممت بالخروج من الباب استردنى وأنشدنى بديها :

رق الزمان لفاقتى ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ما أرتجى وأجار ممـــــا أتقى
فلأغفرن له الـكثيـــــر من الذنوب السبق
إلا جنـايته التى فعل المشيب بمفرقى »

## ٥٨ — الغـــازات السامة

أضحَت الغازات السامة من أشد وسائل الحرب خطَراً ، وأبلغِها أثراً ، حتى أصبحَت جميع الدُّول تتخِذ الأُهبَـة لاتّقاء شرّها ، ودَفْع ضررها فتلجأ إلى الطرُق العلمية لمنع خطَرها . وقد استُعمِلت هذه الغازات فى الحروب القديمة ، وأدركَت الحكوماتُ أضرارَها البالغة وآلامَها الجسيمةَ ، فقررَت فى مؤتَمر السّلام الذى عُقِد بمدينة « لاهاى » سنة تسعٍ وتسعين وثمانِمائة وألفٍ عدَم استعمال الموادّ الكيميائيّـة فى الحروب ، وكذلك فى مُعاهدة « لاهاى » عامَ سبعٍ وتِسعمائة وألفٍ ، واتَّفق المتعهِّدون على تَحريم استعمال السُّم أو الأسلِحة المسمومة ، أو استِعمال أيّة أداةٍ غيرِها تُسبِّب ألماً لا ضرورةَ له . وبرَغْم هذه المواثيقِ المؤكَّدة ، والاتفاقات الاجتماعيّة ، استُعملت الغازات السّامة فى الحرب العالَميّة الكُبرى ( ١٩١٤ — ١٩١٨ ) إذ فاجأ الألمانُ الفَرنسيّين فى اليوم الثانى والعِشرين من شهر إبريل سنة خمسَ عشرةَ وتسعِمائة بعد الألف بإطلاق غاز ( الكلور ) من اسطُوانات على جَبهة طولُها أربعة « أميال » فكان ذلك سبباً فى دَفْع جيش العدُوّ إلى الخلف عِدة « أميال » ، فَضلاً عن وقوع الهلَع فى قُلوب أفرادِ الجيشِ . وفى

المهلبي . ونعتوا لى صاحبي ، فوصلت إليــه حتى رأيته ، فكتبت إليــه رقعة ، وتوصلت حتى دخلت فسلمت ، وجلست حتى خلا مجلسه ، فدفعت إليه الرقعة وفيها :

ألا قــل للوزير بلا احتشام     مقــال مُذَكِّرٍ ما قــد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش     « ألا موت يبــاع فأشــتريه »

فنظر إلىّ وقال : « نعم . » ثم نهض وأنهضنى معه إلى مجلس الأنس ، وجعــل يذاكرنى مامضى ، ويذكر لى كيف ترقت حاله . وقُدم الطعام فطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بدَر ، ومع الآخر تُخُوت ثياب ، ومع الثالث طيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل ، فقال لى : « ياأبا على ! تفضل بقبول هذا ، ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك . » فشكرته وانصرفت . فلما هممت بالخروج من الباب استردنى وأنشدنى بديها :

رق الزمان لفاقتى     ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ما أرتجى     وأجار ممــــا أتقى
فلأغفرن له الكثيــــر من الذنوب السبق
إلا جنــايته التى     فعل المشيب بمفرقى »

## ٥٨ — الغـــازات السامة

أضحَت الغازات السامة من أشد وسائل الحرب خطَراً ، وأبلغِها أثراً ، حتى أصبحَت جميع الدُّول تتخِذ الأُهبَـة لاتّقاء شرّها ، ودَفْع ضررها فتلجأ إلى الطرُق العامية لمنع خطَرها . وقد استُعمِلت هذه الغازات فى الحروب القديمة ، وأدرَكت الحكوماتُ أضرارَها البالغة وآلامَها الجسيمةَ ، فقررَت فى مؤتمر السّلام الذى عُقِد بمدينة « لاهاى » سنة تسعٍ وتسعين وثمانِمائة وألفٍ عدَم استعمال الموادّ الكيميائيّـة فى الحروب ، وكذلك فى مُعاهدة « لاهاى » عامَ سبعٍ وتِسعمائة وألفٍ ، واتّفق المتعهّدون على تحريم استعمال السُّم أو الأسلِحة المسمومة ، أو استِعْمال أيّة أداةٍ غيرِها تُسبّب ألماً لا ضرورةَ له . وبرَغْم هذه المواثيقِ المؤكَّدة ، والاتفاقات الاجتماعيّة ، استُعملت الغازات السّامة فى الحرب العالَميّة الكُبرى ( ١٩١٤ — ١٩١٨ ) إذ فاجأ الألمانُ الفرنسيّين فى اليوم الثانى والعِشرين من شهر إبريل سنة خمسَ عشرةَ وتسعِمائة بعد الألف بإطلاق غاز ( الكلور ) من اسطُوانات على جَبهة طولُها أربعة « أميال » فكان ذلك سبباً فى دَفْع جيش العدُوّ إلى الخلف عِدة « أميال » ، فَضلاً عن وقوع الهلَع فى قُلوب أفرادِ الجيشِ . وفى

الرابع والعِشرين من إبريل سنة خمسَ عشرةَ وتسعِمائة بعد الألف ، أطلق الألمان نفسَ هذا الغاز على الخط الكندى ، وفى نَفس المنطَقة بكميات كبيرة ، إذ أطلَقو ستّة آلاف أسطوانةٍ فى يوم واحد على جَبهة بها ستةَ عشر ألفَ جندىٍّ ، فأدت إلى وفاة مُعظمهم . وقد تمكّن الحلفاء عقِب ذلك من تزويد أفراد جُيوشهم بِقناعات أوّلية تَقيهم تأثير هذا الغازِ السامّ ، فلجأ الألمان إلى استعمال غاز آخرَ غيرِ الكلور وهو غاز الفوسجين ، الذى لا تُجدى معه سبُل الوقاية من الغاز الأوّل ، غيرَ أن الحلفاء كانت قد وصلَتهم معلومات من أحدِ الأَسْرَى بأنّ الألمان سيستعمِلون غازاً جديداً ، علِموا من وصفه أنه غازُ الفوسجين ، فأعدّوا العُدّة للوقاية منه قبلَ استعِماله . ولما كان اليوم التاسعَ عشر من شهر ديسمبر سنة خمس عشرةَ وتسعمائة وألف ، فاجأ الألمان جيوش الحلفاء به فى المَيْدان الغربىّ بشدّة ، إلا أن تأثيرَه كان قليلاً ؛ لحيطة الحلفاء له قبلَ استعماله .

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من السنة نفسِها ، استعمل الإنجليز غاز الكلور للمرّة الأولى ضِدّ الألمان ، وكذلك الفرنسيون فى معرَكة « فردان » سنة ستّ عشرةَ وتسعِمائة وألفٍ . وفى شهر يوليو من السنة نفسِها استعمَل الألمان غاز الخردل فى معركة

« الأيبر » لأول مرّة ، وهذا الغازُ من أقوى الغازات التى استُعملت ، ويُنتظَر استِعماله فى المستقبلِ ؛ إذ أنه يسبِّب حدوث أبخرةٍ سامّة خطِرة لِعدة أيام أو عدّة أسابيعَ . ويُصاب الإنسان من رَذاذه أو من لمس أشياء تلوثَت به . أو من بخاره بعدَ بَخْره .

والغازات السامّة منها ما هو خانِق مثل غاز الكلور ، وغاز الفوسجين ، وهذه لها تأثيراتٌ مشتركةٌ ، وتحدِث أعراضاً متشابِهة ، فهى إذا وقعت على نسِيج الرّئة وخلاياها أحدَثت تهيُّجاً وإفرازاتٍ غزيرةً ، وسُعالاً واحتِقاناً يَزِيدُ فى وَزن الرِّئة ، وتمتلئ شُعَبُها بإفرازٍ رغوِىٍّ الشكل ، ويسبِّب ذلك نَقْصاً فى كمية الأكسجين بالدّم والأنسجة ، وكلّ هذه الأعراض تؤدِّى إلى الموت إن لم يُسعَف المريض بالعلاج .

أما غاز الخردل فهو من الموادِّ التى تتكوّن فى أثناء عمل موادِّ الصِّباغة ولذلك يُمكن تحويل مصانعِ الصِّباغة أو مصانع الحريرِ الصناعىّ إلى مصانعَ لإعداد غاز الخردل فى مُدة أربعٍ وعشرين ساعةً ، وهذا الغاز من الغازات المُحرقة ، ويعتَبر أكثر الموادّ الكيميائية استِعمالاً فى الحرب العالَميّة الكبرى . وقد يُلقَى من الطائِرات قَنابلُ مملوءةٌ بالغازات . وتصِل حمولةُ الطّائرة الجوّية الآنَ إلى ثلاثةٍ وعشرين

(طنًّا)، وتصل سرعتُها إلى نحو ثلثمائة « ميل » ، والقنابلُ التى تلقيها الطائرات لا تقتصر على قنابلِ الغاز فقط ، بل يُمكن أن تُلقَى كافة أنواع القَنابل ؛ كالقنابلِ المتفجّرة والقنابل المُحرِقة ، والأولى تتراوح زِنة الواحدة منها ، بين مائة وخمسين (كيلوجراماً) وألف وخمسمائة (كيلوجرام) والأضرارُ التى تحدُث من هذه القنابل يُحدِثها الانفِجار ، وشظايا القُنبُلة . وأما القنابل المحرِقة ؛ أى التى تسبّب حريقاً ، فهى صغيرة وخفيفة عادة ؛ تتراوح زنة الواحدة منها بين (كيلوجرام) واحد وثلاثين (كيلوجراماً) .



قناع وقاية الغازات السامة

وأهمّ وسائل الحَيْطة ضدّ الغازاتُ السامّة هى استِعال القِناع ، وتحصين المنازل ضِدّ الغارات ، وإنشاء المخابئ ليلجأ إليها الناس وقتَ الغارة ، إذ أنّه إذا حَدثت الغارة والإنسان فى مركبة أو سيّارة ، أو فى الطّريق العام يجِب عليه أن يلجَأ مباشرةً إلى المخابئ ليتّقِيَ شرَّ هذه الغازات السامّة .

ومن أهم سُبُل الوِقاية استِعمالُ القِناع الَّذى أُعِدَّ فى السنوات الأخيرة لوِقاية العَينَين والرِّئَتَين من جميع الغازاتِ الحربية ، وفى القناع ما يسمى بالمُرشِّح ، وهو صُندوق من الصَّفيح مَطلِيٌّ من الخارج بِطلاء مانِع للرطوبة ، ويحتوى على موادَّ تُرشِّح الهواء وتُنقِّيه ، وتمتصُّ منه الغازاتِ السامة . وهكذا يُتَّقَى شرّ العِلم بالعلم ، أو كما قيل : « وداوِنى بالتى كانت هى الدَّاء . »



# ٥٩ — فى سكان أمريكا

لحافظ بك إبراهيم :

أىْ رجالَ الدُّنيا الجديدَة مَهْلاَ قد شَأَوْتم بالُمعْجزاتِ الرِّجالا
وَفِهِمْتُم معنَى الحيـاةِ فأرْصَدْ تُم عليهـا لـكلِّ نَقْصٍ كمالا
وحَرَصْتم عَلَى العُقول فحَرَّمْـــتُمْ عَصيراً يَراهُ قَوْمٌ حَلالا
وقَدَرْتُم دَقيقَةَ العُمر حِرْصاً وسواكم لا يَقْدِرُ الأجيـــالا
كم أحالوا على غدٍ كل أمْرٍ ومُحيلُ الأُمور يَبْغى الُمحالا
قد تَحَدَّيْتم المنِيَّة حتى همَّ أن يَغْلِبَ البَقاءِ الزَّوالا

*
* *

وطَوَيتُم فراسخ الأرض طَيًّا ومَشَيْتُم على الهواء اختِيالا
ثم سخَّرتُم الرِّياح فَسُسْتُمْ حيثُ شِئْتُم جَنوبَها والشَّمالا
تُسرِجون الهواء إنْ رُمْتُم السَّيْـــرَ وفى الأرض من يَشُدُّ الرِّحالا
وتَخِذْتُم مَوجَ الأثير بَريداً حين خِلْتم أن البُرُوق كُسالى
ثم حاوَلْتم الـكلامَ مع النَّجْـــمِ فَحَمَّلْتم الشُّعاعَ مقالا
مَحا (فُورْدُ) آية المَشْىِ حتَّى شرعَ الناسُ يَنبِذُون النِّعالا

*
* *

وانْتَزَعْتُم من كلِّ شِبْرٍ بظَهْر الـ أَرْض أو بطْنِها الُمحجَّبِ مالا

وأقمتم فى كل أرضٍ صُروحا تنطَح السُّحْبَ شامخاتٍ طوالا
وغرستُم للعِلْم رَوْضاً أنيقاً فوق دُنيا الوَرى تمُدُّ الظِّلالا
وحَللتم بأرضِنـا فعرفنا كيف تُنْمون بيتنا الأطفالا
ورَأَيْنا البنَاتِ كيف يُثقَّفْـ نَ بِعلمٍ يَزيدُهُنَّ جمالا

*
* *

ليت شِعْرى متى أرى أرض مصرٍ فى حِمى الله تُنْبِتُ الأبْطالا
وأرى أَهْلها يُبارو نَـكُمْ عِلْـ ماً ووَثْباً إلى العلا ونِضالا
قد نفَضنا عناً الـكرى وابتدرنا فُرَص العيش وانتقلنا انتقالا
وعَلِمنا بأن غَفْـلَةَ يومٍ تَحْرِمُ المرْءَ سَعْيَه أحْوالا
فَشَقَقْنا إلى الحياةِ طريقاً وأصَبْنا عَلَى الزِّحام مجالا
ونَهَضْنا فى ظِلِّ عرشِ (فؤاد) ورَفَعْنـا لِعهْدِه تِمثالا
قـد أَبَى الله أن نَعيش على النّا س— وإن ضاقَت الوجوه — عِيالا

## ٦٠ – بين يدى القـاضى

### المـأمون وخصمه

دخل رجل على المأمون وفى يده رُقْعَةٌ فيها: « مَظْلَمة من أمير المؤمنين » فقال : « أَمَظْلَمةٌ منى ؟» فقال الرجل: « أَفأُخاطِبُ – ياأمير المؤمنين – سِواكَ . » قال : « وما ظُلاَمَتُكَ ؟ » قال : « إن سعيداً وكيلكَ اشْتَرى منى جَواهِرَ بثلاثين ألف دينار ولم يَدْفَع ثمنهـا . » قال : « فإذا اشْتَرى سعيدٌ منك الجوهر تَشْـكو الظـلامة منى ؟ » قال : « نعم إذا كانت الوَكالةُ قد صَحَّت له منك . » قال : « لعل سعيداً قد اشْترى منك الجوهر، وحَمَل إليك المال، أو اشْتراه لِنفسه ، وعليه فلا يَلْزَمنى لك حَق ، ولا أَعْرِفُ لك ظُلامة . » فقال : « إن فى وَصِيـَّة عُمَرَ بن الخطاب لقُضاتِكم : البَيِّنَة على مَن ادَّعى ، واليمين على مَنْ أَنْـكر . »

قال المأمون : « إنَّكَ قد عَدِمت البَيِّنَة ، فما يَجِب علىَّ لكَ إلا حَلْفة ، ولئن حَلَفْتها إننى لصادق ؛ إذ كنت لا أَعْرِف لك حقًّا يَلْزَمُنى . « قال : « فأنا أَدْعوكَ إلى القاضى الذى نَصَبْته لرعِيتك » . فقال : « نعم : ياغلام ! علىَّ بيحيى بن أكثم . » فإذا هو قد مَثَلَ بين يديه ، فقال له المأمون : « اقْض بيننا. » قال: « فى حكم وقَضِيـَّة ؟ » قال: « نعم . » قال : « إنَّك لم

تَجْعل ذلك مَجْلِسَ قَضاء . » قال : « قد فَعلْت . » قال : « فإِنى أَبْدَا بالعامَّة أوّلا ؛ لِيَصْلُح المجلس للقَضاء . » قال : « افعل . »

فَفَتَحَ الباب ، وقعَد فى ناحِية ، وأَذِن للعامة ، ثم دَعا بالرجل المتَظلِّم ، فقال له يحيى . « ماتقول ؟ » قال: « أَقول أن تَدْعُوَ بخَصْمى أمير المؤمنين المأمون . » فنادى المنادى، فإذا المأمون قد خرج ومعه غلامٌ يحمل مُصَلّى ، حتى وقفَ على يحيى وهو جالس ، فقال له : « اِجلس . » فطَرحَ المُصَلَّى ليجْلسَ عليه ، فقال له يحيى : « ياأمير المؤمنين ! لا تَأْخُذ على خَصمِك شَرَفَ المجلس. » فطرح للخصم مُصلًّى آخر ، ثم نظر فى دَعْوى الرجل ، وطالب المأمونَ باليمين فَحَلَفَ ، ووَثَب يحيى بعد فَراغ المأمون من يَمينه فقام على رِجْليه ، فقال له المأمون : « ما أقامك ؟ » فقال : إنى كنتُ فى حقِّ الله عز وجل حتى أَخَذْتُه منك ، وليس الآن من حَقِّى أن أَتَصَدَّر عليك . »

# ٦١ — الملاعب الهزلية

للمنفلوطى

كنتُ آليتُ على نفسى ( منذ أعلِنت هذه الحرب ، قبَّحها الله ! وقبحَ كل ماتأتى به ! ) ألاَّ أكتُب كلمة فى صحيفة سيَّارةٍ فى شأنٍ من الشئون العامة ، خيرِها أو شرها ( حتى ينقَضِىَ أجلها ) ، ولكن نازلاً نزل بهذا المجتمع المصرىّ منذ عام أو عامين ، لم أحفِل به فى مبدئه ، ولم أُلقِ له بالا ، وعَدَدتُه فى النوازل الصغيرة المترددة ، التى لاتلبَث غيومُها أن تنعقِد فى سماء البلد ، حتى تهُبّ عليها نَسمةٌ من نَسمات الروح الإلهى فتنقشِع . ولكن ها قد انقضى العام والعامان ، وهو باقٍ فى مكانه لا يتحوّل ولا يتململ ؛ بل تزداد قدمُه على الأيام ثَباتاً ورسوخاً ، وأحسِبه سيَبقَى فى مستقَبل أيامه أضعافَ ما بَقِىَ فى ماضيها إن لم نُثِر عليه معشرَ الكُتاب حرْباً شعواء تهُزُّ جُدرانه هزاً ، وتدكه دكًّا ، وتُلحِق أعاليَه بأسافله .

لذلك كتبتُ هذه الكلمة غيرَ مُبالٍ بتلك الأَليَّةِ التى كنتُ آليتُها ، فلعل أصدقائى من أفاضل الكُتَّاب يساعدوننى فى هذا الشأن الذى إن عجزنا عنه اليوم فما نحن بقادرين عليه غداً .

نزلت بالأمة المصرية نازلةُ تلك المقاذر العامة التى يسمونها الملاعِب الهزليةَ ، وما هى فى شىء من الهزل ولا الجِدّ ، ولا عِلاقة لها بالتمثيل والتّصوير ، ولا بأى فنٍّ من الفُنون الأدبيــة ، فأقبل الـكثير عليها إقبالاً عظيماً ، وأُغرموا بها غَراماً شديداً ؛ فلْيُقْبِلوا عليها ما شاءوا ، وليفتتنوا بها ما أرادوا ، ولـكنّ فريقاً واحداً من الأمة هو الذى نضِنُّ به على تلك المواطن الساقطة ، التى تطَؤها قدمه ، أو تُظلِّل سماؤها رأَسَه ، لأنّا نضِن به على كل مَنقَصة فى العالم تُزرى به ، أو تنالُ من كرامته .

ذلك الفريق المَضنونُ به وبكرامته هو : أنتم معشرَ الطّلبة المصريين ، إخوتَنا وأبناءنا ، وعنوان مجدنا وشرفنــا ، وصورةَ وجودنا وحياتنا ، ومناطَ أمانينا وآمالنا . فائذَنوا لـكاتب من كُتّابكم ، وصديقٍ من أصدقائكم ، أن يُحادِثكم قليلاً فى هذا الشأن كما يحادث الأبُ ولدهُ ، أو الأخ أخاه ، لا قاسِياً ولا متجبّراً ، بل عاتباً مُتلطِّفاً ، وأملُه عظيم أن ينتَهِىَ الحديث بينــه وبينكم على ما يُحِبُّ لـكم ، وما يعتَقِد أنكم تحبون لأنفسكم .

الحقّ أقول إن الحياء يكاد يعقد لسانى بين أيديكم ، فلا أدرى كيف أحدِّثكم ، ولا ماذا أقول لـكم .

أأعظكم فى أمر أنتم تعلمون من نتائجه وآثاره وسوء عقباه مثل ما أعلم ؟ أو أدعوكم إلى اجتناب سيئة لا أحسب أن بين كباركم وصغاركم من يجهل أنها السيئة العظمى ، التى لم ترزأ الأمة بمثلها فى حاضر تاريخها أو ماضيه ؟ أو أقول لكم أن هذه الأماكن التى تطؤها أقدامكم إنما هى مقابر المجد والشرف ، ومدافن الفضائل والأخلاق ، ومصارع الأعراض والحرمات ؟ وهل غاب ذلك عن علم أحد منكم فأُعلمكم منه ما لا تعلمون ؟

لا يجهل أحد منكم شيئاً مما أقول . ولكنه الشباب يغرى الضعيف العاجز عن احتمال سلطانه وسيطرته بالإقدام على تلك المخاطر المهلكة ، فيمضى إليها قُدُما لا يجهل مكان الخطر منها ، ولكنه يعجِز عن مغالبة نفسه حتى يتردَّى فيها ، وربما كان هذا هو الفرق بينى وبينكم .

إننى لا أرى فى هذه المجامع — التى تفتتنون بها ، وتتهافتون عليها — حسنة تغتفر سيئة ، أو جمالاً يفى بقبح ، أو خيراً يعزى عن شر ؛ فتمثيلها سخيف بارد ، لا يستطيع من أوتى حظًّا قليلاً من سلامة الذوق أن يَصْبِر نفسه ساعة واحدة على النظر إليه . ومُلَحُها ثقيلة مستبشَعة ، لو نطق بها ناطق فى مجتمع من المجتمعات الخاصة ، ثم قلب نظره فى وجوه الجالسين حوله ، لرأى فى ابتسامات السخرية

المترقرقة فى شفاههم ما يذيبه حياء وخجلاً . وأناشيدها سوقية ، مبتذلة فى موضوعها ، وصورة أدائها لا يطرَب لمثلها إلا أصحاب الأذواق العامية الخشنة الذين يطربون لنشيد الأذكار ، وطبول الزار ، وتعداد النائحات ، وضجيج الباعة فى الأسواق . فماذا بقى فيها من وجوه الحسن بعد ذلك ؟

بقى فيها الهُزْء والسخرية بالطبقات الشريفة العاملة فى الأمة ؛ كالفلاحين آبائنا وأولياء نِعمتنا ، والشيوخِ حفَظَة ديننا ، وأئمة لغتنا ، والمحامين والأطباء والمعلمين أفاضلِ الأمة وعيونِها ، وغيرِهم من طبقات الأمة ؛ كالصناع والعمال والخدَم والأكّارين وأمثالهم .

بل بقى ما هو شرٌّ من هذا جَميعه ، وهو : تمثيل الشهوات البدنيَّةِ والنفسية بجميع ألوانها وضُروبها على مشهدٍ من رجالنا ونسائنا وأطفالنا ، وتصويرها بتلك الصورة القبيحة التى تُرْخَى على مثلها السُّتور ، وتُقام من حولها الدعائمُ والجدران .

فلو أن غريباً وفد إلى هذا البلد — وهو لا يعلم من شأنه شيئاً — فذهب إلى مكانٍ من تلك الأمكنةِ ، ليرى فى مِرآته صورةَ الأمة مُمَثَّلَةً فى مسارحها الوطنية ، لقضَى عليها للنظرة الأولى بأنها أحط الأمم وأدْناها .

ذلك إلى ما يسمعُه فيها من ألفاظ السبِّ والشّتم ، وجُمل الفُحش والهُجر التى لا يطْرق أُذنَه مثلُها فى موقِفٍ من مواقف حياته ، أو مشهدٍ من مشاهدها ، إلا إذا قُدِّرَ له أن يتغلغلَ بنفسه يوماً من الأيام فى تلك الأحياء العامة الساقطة ، فيسمعَها هناك فى مشاجرات القرّادين ، ومهاتَرات الشحّاذين .

فهل تسمَح لكم نفوسُكم أيُّها الأصدقاء — وأنتم عُيون الأمة اليقِظَة ، وعقولها المفكرة — أن تنخدعوا بألاعيب هؤلاء الخبثاء المحتالين ، فترفعوهم بأيديكم إلى هذه المرتبة العالية التى لم يخلقوا لها ، ولم يمتوا إليها بسبب من أسباب العلم ، أو الذكاء ، أو الشرف ، أو الخلق . وها هم أولاء نوابغ الممثلين فى أمتكم أهل شقاء وبؤس ، لا يكادون يجدون بين ظهرانيكم ما يقيمون به أود عيشهم ، أو يعينهم على ما هم بسبيله من خدمة الفن والقيام عليه .

إنهم يحاولون دائماً أن يُلبسوا مفاسدهم وشرورهم ثوب الفضيلة والجد ، وهو — وإن كان ثوبا شفافاً ينم عما وراءه — يكفيهم للذود عن أنفسهم فى موقِف الْجَدل والمناظرة ، كما يكفى البرقُع الشفّاف المرأةَ المتهتِّكةَ للدخول فى سلك المخدّرات المتحجّبات .

يُمثّلون الفلاحَ أقبحَ تمثيل ، ولا يتركون مَفسدةً من المفاسد ، ولا رذيلةً من الرذائل إلا ويُلصِقونها به . ويُنشدون مُختلِفَ الأناشيد فى السُّخرية بشكله ، والهُزء بصفاته وأعماله . ثم لا يَخجَلون أن يقولوا بعد ذلك فى بعض تلك الأناشيد : ( ما دام بلدنا زراعية حبوا الفلاح إن كنتوا تحبوا وطنكم . )

ويهدِمون اللغةَ العربية هَدْماً بهذه اللهجة العامية الساقطة التى يكتبُون بها رواياتِهم ، ويَنظِمون بها أناشيدَهم ، ويُنشِدُونها فى كل مكان ، ويُفسدون بها المَلَكاتِ اللغويةَ فى أذهان المتعلمين ، ثم يزعُمون بعد ذلك أنهم أنصارُ اللغة العربية وحُماتها ، فيقولون بتلك اللهجة العامية الساقطة (مالها لغتنا العربية، آل همجية ، يا دى المصيبة يا دى العار . فشر دى لغة المدنية ، اتمسكوا بها صغار و كبار ) .

لا أرى لكم — معشرَ الطلبة المصريين — أمام هذه النازلة العُظمَى التى نزَلت بنا ، إلا أن يَنتَدِب فريق من عقلائكم نفسَه ، لنصيحة إخوانه بالامتناع عن الذهاب إلى تلك الملاعب ، وشرح مضارِّها وسَيِّئاتِها لهم ، فإن امتناع فريقٍ منكم يؤثِّر فى فريق آخر . وهكذا حتى يصبح فى عرفكم أن الدخول إلى تلك الأماكن عار ، يخجل مرتكبه من الظهور به بين أصدقائه ومعارفه .

نحن فى حالة نحتاج فيها إلى أن يعلم الناس عنا فى كل مكان ، أننا أمة أخلاق وآداب ، وأن فى نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا إلى مصاف الأمم العظيمة . ومقياس عظمة الأمم عند العالم إنما هو بصفاتها ومزاياها ، قبل أن يكون بأى شىء غير ذلك . فإن فات آباءنا أن يورّثونا خلق العظمة والإباء فى عهدهم ، فلنتخلق به لنورّثه أبناءنا من بعدنا .



## ٦٢ — المرأة العربية فى الجاهلية

يَظْلِمُ العربَ من يَزْعُم أنهم كانوا فى جاهِلِيَّتهم يَحْتَقِرون المرأة، ويَنْظُرون إليها نظر إِهانَة واسْتِخْفاف؛ فإِن من يَقْرأ شِعْرهم — الذى هو ديوان أَخْبارهم، وسِجِلُّ مآثرهم ومكارمهم — يَرى أنهم كانوا يُجِلُّونها، ويَسْعَوْنَ جُهدهم فى إِرْضائها.

فشعراؤهم يَبْدءون قصائِدهم بمُخاطَبَتها، ولا يَذْهَبون إِلى شىء مما قَصَدوا إِليه حتى يُعْطوها قِسْطها من النَّسيب؛ يَرَوْن أن شِعرهم بدون ذلك يَفقِد طَلاوَته ورُوَاءه، ويَعْدم حُسنه وبهاءه، ويُخاطبونها وهى ذاتُ بَعْلٍ بخير الألقاب إِليها، فيقول أحدهم:

يا رَبَّةَ البيت قُومى غيرصاغِرَة ... ضُمِّى إِليك رِحال البيت والقربا

ويَرُدُّون عليها إِذا خالفَتهم فى رأى بأَرَقّ ما يرد به مُخالِف. اسْتَمع إِلى أحدهم يُجيبُ زوجه، وقد عذلته على السَّرف، وأشارَت عليه بالقَصْد:

أَلَمْ تَعْلَمى — ياعَمرُكِ اللهُ — أَنَّنِي ... كريم على حينِ الكرامُ قليل

ويفْخَرون بنسبهم إِلى أُمَّهاتِهم، كما يَفْخرون بنسبهم إِلى آبائهم. وكانت المرْأَة فيهم إِذا أَرادَتْ فرَّقَت، وإِن شاءت جَمَعَت، فإِن اتَّجَهت

عواطِفها للسّلام سَعَتْ إليه ونَجَحَتْ ، وإن وجّهتها إرادةُ الانتِقام إلى الشَّرِّ أشعلت النار بين الأحباء .

قال الحارثُ بن عَوْف المُرِّى لخارِجَة بن سِنان ، فى إبّانِ الحرب بين عَبْسٍ وذُبْيان : « أترانى أَخْطُبُ إلى أحد فيَرُدّنى . » قال : « نعم . أَوْسُ بنُ حارِثة بن لأم الطَّائى . »

فقال الحارِث لغُلامه : « هيِّئْ لى مَرْكَبا . » ثم رِكبَ هو وغُلامه ، ومَعَها خارِجَة حتى أَتَوْا أوْساً ، فوجَدوه فى دارِه ، فلما رأى الحارِث رَحَّبَ به ، وسأَلَه عن مَجيئه ، فقال : « جِئْتُك خاطِباً . » فقال أَوْس : « لَسْت هناك . » فانصرَف ولم يُكَلِّمْه . ثم دَخَل أَوْسٌ على امرأته مُغْضَباً — وكانت من عَبْس ، فقالت : « مَنْ رجل وقف عليك فلم تُطِل الكلام معه ؟ » قال : « ذاك سيِّدٌ من سادات العرَب ، الحارِثُ ابنُ عَوْف » قالت : فما لك لم تَسْتَنْزِلْه ؟ » قال : « إنه استَحْمَقَ ؛ جاءنى خاطِباً . » قالت : « أَفَتُرِيدُ أن تُزَوِّج بناتك ؟ » قال : « نعم » قالت : « فإذا لم تَزَوِّج سيِّد العرب فَمَنْ ؟ » قال : « قد كان ذلك . » قالت : « فتدارَكْ ما كان منك ؛ فالحقه وقل له : إنك لَقِيتَنى مُغْضَباً بأمر لم يَتقَدَّم فيه قول ، فلم يكن عندى من الجواب إلا ما سَمِعت ، فانْصَرِف معى ، ولك عندى كل ما أَحْبَبْت ، فإنه سيُفْعَل . »

فعمل أَوْسٌ برأى زَوْجِهِ، ورَدَّ حارثة ومن معه. فلما وصلوا إلى بيت أوْس ، وجَلَسوا فى مكان الضِّيافَة ، دَخَل أَوْسٌ إلى زوجه، وقال لها : « ادعى لى فُلانة . » أَكْبَر بناته سِنًّا ، فأَتَتْهُ ، قال ، « يا بنَيَّة ! هذا الحارِثُ بن عوف — سيِّدٌ من سادات العرب — قد جاءنى طالباً خاطِباً، وقد أَرَدْتُ أن أُزَوِّجك منه . » فقالت : « لا تَفْعل ؛ لأنى فتاةٌ فى وجهى رَدَّة ، وفى خُلق بعض العُهدة ، ولست بابنة عَمِّه فيَرْعى رَحِمى ، وليس بجارِكَ فى البلد فيَسْتحِىَ منك ، ولا آمن أن يَرى منى ما يَكْرَه فيُطَلِّقنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما فيه . » قال : « قومى ! بارك الله فيك ! » ثم دعا الوُسطى ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : « إنى خَرْقاء ، وليست بيدى صِناعة ، ولا آمَن أن يَرى ما يَكْره ، فيُطَلِّقنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما تعلم . » ثم دعا الثالثة وهى صُغْراهُن ، فلما عَرَض عليها قالت : « أنت وذاك . » فأخبرها بِإباء أُخْتَيها ، فقالت : « لكنى والله الجميلة وجْهاً ، الصَّناع يداً ، الرَّفيعة خلقاً ، الْحسيبة أباً ؛ فإن طَلَّقَنى فلا أَخْلَفَ الله عليه بخير . » فزوّجها الحارث .

ولما وصَل ديار قومه ، قالت له : « أَتَلْزَم المنزلَ والعربُ يَقْتُل بعضها بعضاً ؟ أُخرج إلى هؤلاء القَوم ، فأَصْلِحْ بينهم ، ثم ارْجع إلى أَهْلك . » فخرَجَ الحارِث مع خارجة بن سنان ، فأَصْلحا بين القوم ، وحَمَلا الدِّيات ، وكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين .

## ٦٣ — وصف السفن

### (ا) لمسلم بن الوليد

وملتطِمِ الأمواج يرمى عُبابه بجَرْجَرَة الآذِىِّ للعِبر فالعِبر
إذا أعنقت فيه الجَنوب تكفَّأت جواريه أو قامت من الريح لا تجرى
كأن مَدبّ الموج فى جَنَباتها مَدبّ الصَّبا بين الوعاث من العُفْر
كشفتُ أهاويل الدجى عن مهوله بجارية محمولة حامل بِكر
لطمْت بخديها الحَبابَ فأصبحت مُوَقَّفَة الدأْيات مرقومة النحر
إذا أقبلت راعت بقُنَّة قرهب وإن أدبرت راقت بقادمتى نسر
تجافى بها النوتىُّ حتى كأنما يسير من الإشفاق فى جبل وعر
تَخَلّج عن وجه الحَباب كما انثنت مخبَّأة من كِسْر ستر إلى سِتْر
أناف بهاديها ومد زِمامها شديدُ علاج الكف معتملُ الظهر

### (ب) لابن الرومى

إليك ركبنا بطن جَوْفاء جَوْنةٍ تخايلُ فى درع من القار فاحم
تُواهق أشباهاً لها ونظائرا ملمعةً بالودع سُفْعَ الملاطم
إذا هى قيست بالنسور تشابهت بأجنحة خفاقة وخراطم

تطير على أقفائها وظهورها بمُصْطَخبِ التيّار جمّ الزمازم
إذا أُعْجلت لم يسترثْ طيرانها وإن أُمهلت زَفَّت زفيف النعائم
وقد أيقنتْ أن سوف تقطع زاخراً إلى زاخر بالعارقات التوائم
هو البحر لا ينفك فى جنباته رُغاء المطايا لا نئيم العلاجم

## (حـ) لابن هانئ الأندلسى

أمَا والجوارى المنشآت التى سرت لقد ظاهرتْها عُدّة وعَديد
قِباب كما تزجى القباب على المها ولكنّ من ضُمّت عليه أسود
عليها غمام مُكفهرٌّ صَبيرُه له بارقاتٌ جمة ورعود
أنافتْ بها أعلامُها وسَمَا لها بناء على غير العَراء مَشيد

*
* *

من الراسيات الشُّمِّ لولا انتقالها فمنها قِنان شُمَّخ ورُيود
من الطير إلا أنهن جوارح فليس لها إلا النفوسَ مصيد
من القادحات النار تُضْرم للصِّلى فليس لها يوم اللقاء خمود
إذا زفَرت غيظا ترامت بمارج كما شبّ من نار الجحيم وَقود

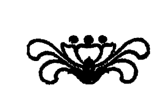
*
* *

فأفواههن الحاميات صواعقٌ وأنفاسهن الزافرات حديد

لها شُعَل فوق الغِمار كأنها ... دماء تلقتها ملاحف سود
تَعانق موج البحر حتى كأنه ... سليط له فيه الذبال عتيد
فليس لها إلا الرياحَ أعِنَّةٌ ... وليس لها إلا الَحْباب كَديد

(ى) للسَّرىِّ الرَّفاء

إليك أطرنا من ديار ربيعة ... نعائم فى أرض العراق وقوعها
ركائب تحدوها الشمال كأنها ... قلاع إذا أوفت عليها قُلوعها
تمادى بها السير الحثيث فلم تُحلّ ... لبعدِ المدى أغراضها ونسوعها
تمد على الأمواج باعاً كأنه ... يُعانِقُها فى مده ويَبُوعها
فموردها عذب المياه نميرها ... ومربعها سهل الرياض مَريعها



# ٦٤ — بين الانسان والحيوان

## ( ١ )

يُقَالُ إنَّهُ لَمَّا توالَدَ أوْلاد بَنِي آدمَ وكَثُرُوا ، انْتَشَروا فى الأرْض برًّا وبَحْرًا ، مُتصَرِّفِينَ فيها فى مَآرِبِهِمْ ، آمِنِينَ بَعْدَ أَنْ كانوا قَلِقِينَ مُسْتوحشِينَ ؛ من كَثْرَةِ الوُحوشِ فى الأرْضِ . وكانوا يَأْوُون إلى رؤوس الجبَالِ والتِّلال ، والمغَاراتِ والكُهوفِ ، وَيأْكلونَ من ثمرِ الأشجارِ ، وبقول الأرضِ . وكانوا يَستترون بأوراقِ الشجرِ من الحرِّ والبرْدِ ، ويَشْتون فى البلدانِ الدفيئةِ ، ويَصِيفونَ فى البلدانِ الباردَةِ . ثم بَنَوا الحصونَ والقُرَى والمدن وسكَنوها . وسخَّروا من الأنعامِ البقرَ والغنمَ والجِمالَ ، ومن البهائمِ الخيلَ والبغالَ والحميرَ ، وقيَّدوها وأَلجموها ، وصرَّفوها فى مآربِهمْ ، من الرّكوبِ والحملِ والحَرْثِ والدَّرْسِ . وكلفوها أكْثرَ من طاقتها ، ومنعوها من التصرُّفِ فى مآربِها ، بَعْدَ أن كانت فى البَرارِى والآجامِ والغِياضِ ، تَذْهَبُ وتجىءُ حَيث أرادت فى طلب مراعيها ومشاربِها . ونفرَتْ منهم بقيَّتها من حُمُر الوَحْشِ والغِزلانِ والوُحوش والطيورِ . بعد أن كانت مطمئنةً فى أوطانها ، وهَربتْ إلى البرَارِى البعيدةِ والآجامِ ورءوسِ الجبالِ .

وشمَّرَ بنو آدمَ فى طلبها بأَنواعِ من الحِيَلِ والشِّباكِ والفِخاخِ ، واعتقدوا أنها عبيدٌ لهم هربتْ وعَصتْ .

ومضَتِ السِّنون والأيامُ على ذلك . ثم وُلِّىَ على بنى الجانِ مَلِكٌ منها يُقالُ لهُ « بيراست » الحكيمُ ولَقبُهُ « شاه مرْدان » وكانتْ دارُ مملكَتِهِ فى جزيرةٍ فى وَسَطِ البحرِ ، مِمَّا يَلِى خطَّ الاستواء .

ثم إِنهُ طرَحتِ العواصف سفينة من سفُنِ البَحْرِ إلى ساحلِ تلك الجزيرةِ ، وكان فيها قَوْمٌ من التُّجارِ والصُّناعِ وأهل العلمِ وسائِرِ أغنياء الناس ، فخرَجوا إلى الجزيرةِ وطافوا فيها فوَجدوها كثيرةَ الأشجارِ والفواكهِ والثمارِ والمياهِ العَذبةِ ، والهواءِ الطيِّبِ ، وأنواعِ الزَّرعِ والحبوبِ. ورأَوْا فيها أصنافَ الحيوانِ : من البهائمِ والأغنَام والطيور ، والوُحوشِ والحشرات . وهى كلُّها مُتآلِفةٌ مُستأْنِسةٌ غيرُ متنافرةٍ .

ثم إنَّ أولَـئكَ القومَ استطابوا ذلك المُقامَ ، وبنَوا هُنالِكَ البنيانَ ، ثم أخذوا يتعرضونَ لِتلكَ البهائمِ والأنعامِ يُسَخِّرونها ليَرْكَبوها ويَحملوا عليها أثقالَهُمْ ، فنفرَتْ منهم ، وشمَّروا فى طلبها بأنواعِ من الحِيَلِ ، واعتقدوا أنها عبيدٌ لهمْ هربَتْ منهم . فلما عَلمتْ تلك الأنعامُ هـذا الاعتقادَ منهمْ ، جَمعَتْ زُعماءها وخُطباءها وذهبَت إلى « بيراست » الحكيمِ مَلكِ الجنِّ ، وشكَتْ إليهِ ما لقِيت من

جَوْرِ بَنِي آدمَ واعتقادِهم فيها . فبعثَ رَسولاً إلى أولَـئكَ القومِ ، ودعاهم إلى حَضرتِه . فذهبتْ طائفةٌ من أهلِ ذلك المَرْكبِ إلى هناكَ ، وكانوا نحوَ سبعينَ رَجُلاً من بُلدانٍ شتَّى . فلمَّا بلَغَهُ قُدومُهُمْ أمرَ بإكرامهم ، ثمَّ أوصَلهمْ إلى مَجْلسهِ بعدَ ثلاثةِ أيام . فلما رأوْهُ على سريرِ مُلكه ، حيَّوْهُ . فقالَ لهم على لسانِ التَّرْجُمانِ : « ما الذى جاء بِكُمْ إلى جزيرتِنا من غيرِ مراسَلةٍ قبلَ ذلك ؟ »

قالَ قائلٌ من الإِنسِ : « دعانا إلى ذلك ما سمِعْنا من فَضائِلِ المَلِكِ وعدْلِه ، فجئْنا لِيَسمعَ كلامَنا ويتبيَّنَ حُجَّتَنا ، ويَحكُمَ بيننا وبينَ عَبيدِنا الآبِقينَ ، واللهُ يُوفِّق المَلِكَ لِلصَّوابِ . »

فقال المَلكُ : « بيِّنوا ما تقولونَ . » قال زَعيمُ الإِنْسِ : « إنَّ هذه البَهائِمَ والأنعامَ والسِّباعَ والوُحوشَ أجمعَ عَبيدٌ لَنا ، ونحنُ أَرْبابُها ، فمنها هارِبٌ آبِقٌ عاصٍ ، ومنها مُطيعٌ كارِهٌ مُنكِرٌ لِلعُبودِيَّةِ . »

قال المَلِكُ : « ما الدَّليلُ على ما ادَّعيتَ ؟ » قال : « لنا دَلائِلُ شَرعيَّةٌ على ما قُلْنَا . وحُججٌ عقليَّةٌ على ما ادعَيْنا . » فقالَ : « أوْرِدْها . » فقامَ خَطيبُ الإنْسِ ، ورَقِيَ فى المِنبر وقال :

« الحمدُ للهِ الذى خَلقَ من الماء بَشراً فجعلَهُ نسباً وصِهراً ، وخَلقَ منهُ زَوْجهُ ، وبَثَّ مِنهما رجالاً كثيرًا ونساءً ، وأَكرَمَ ذُرِّيتَهُما ،

وَحَمَلهمْ فى البرِّ والبَحْرِ ، ورَزَقَهم من الطَّيِّباتِ ، قال اللهُ عزّ وجَلَّ : ( والأنْعامَ خَلقهَا لَكمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنها تأكلونَ ، وَلَكُمْ فِيها جمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتحْمِلُ أَثقالَكمْ إلى بَلَدٍ لمْ تَكونُوا بَالِغيهِ إلاَّ بِشِقِّ الأنفُسِ ، إنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبغالَ وَالْحَمِيرَ لِترْكبُوهَا وَزِينَةً ) وفى القرآن والتَّوْراة والإنجيلِ آياتٌ كثيرةٌ تدلُّ على أنها خُلِقَت لنا ومن أجْلنا ، وهى عَبيدٌ مُسَخرةٌ لنا ونحْنُ أَرْبابُهَا . وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لى ولَكمْ . »

فقال المَلكُ : « قد سَمِعتُمْ يا مَعشَرَ الأنعامِ ما قال الإِنسىُّ ، فأىُّ شَىْءٍ لَكمْ وعِنْدَكمْ فيما قالَ ؟ » فقامَ البَغلُ فقال : « الحَمْدُ لِلهِ الوَاحِدِ الأحَدِ ، الفَرْدِ الصَّمدِ . أمَّا بعْدُ : فليسَ فى شَىْءٍ مِمَّا قَرأَ هذا الإِنْسىُّ من آياتِ القُرآنِ دِلالَةٌ على ما زَعَم ، إنَّمَا هِىَ آياتٌ تَذْكيرٍ بِإِنْعامِ اللهِ عليهم ، فإذا كان اللهُ تعالى قد سخَّرنَا لهمْ فقد سخر لهمُ الشَّمْسَ والقمَرَ والسَّحاب والرِّياحَ ، أَفَترَى أَنَّها عبيدٌ لهمْ وأَنهمْ أَرْبابُهَا ؟ إنَّ اللهَ خلقَ كلَّ ما فى السَّمٰواتِ والأرْضِ وجَعَلها مُسَخرًا بَعْضُهَا لِبعْضٍ ، إمَّا لِجَرِّ مَنفَعةٍ ، أو دَفع مَضرَّةٍ . فَسَخَّرَ اللهُ الحيوانَاتِ لِلإِنسانِ لإِيصالِ المَنفعةِ إليه ، ودفعِ المَضرَّةِ

عنه ، لا كما ظنُّوا وتوهَّموا أنَّهم أربابٌ ونحن عبيدٌ لهم . »

ثم قال زعيمُ البهائِمِ : « أيُّها المَلكُ ! كنّا نحن وآباؤنا سُكانَ الأرضِ قبل خلْقِ آدمَ ، قاطِنينَ فى أرْجائِها ، ظاعِنينَ فى فِجاجِها ، مُشتغلينَ باتّخاذِ نِتاجِنا وترْبيةِ أوْلادنا ، فى رَغَدٍ من العَيشِ . ثم إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ ، وكثُرَتْ ذُرِّيّتُه ، وانتشَرَت فى الأرْضِ ، وضيَّقوا علينا الأماكنَ ، وأَخذوا مِنّا أُسارَى من الغَنَمِ والبقَرِ ، والخيْلِ والبِغالِ والحميرِ ، وسَخّرُوها واستَخْدموها فى الأعمالِ الشّاقّهِ : من الْحمْلِ والرُّكوب ، والشّدِّ فى الفُدُنِ والدوَاليبِ والطَّواحينِ بالقهْرِ والعَذابِ طولَ أعْمارِنا ، فهرَب منّا من هرَبَ ، وشمَّرَ بنو آدمَ فى طلبِنا ، فمنْ وَقعَ منّا فى أيْدِيهم شدوا وَثاقه ، ثم عذبوه بالذّبحِ والسّلخِ ، وشَقِّ البطْن وقطعِ المفاصِل ، أو نتْفِ الرِّيشِ وجزِّ الشّعْرِ والوَبَر . ومَع هذه كلّها لا يرْضى عنّا الآدمِيُّونَ ، حتى ادّعَوْا أنَّ هذا حقٌّ وَاجبٌ لهُمْ علينا ، وأنهم أرْبابٌ لنا ونحن عَبيدٌ لهُم ، بلا حُجّةٍ ولا بُرْهانٍ إلا القهْرَ والقُوّةَ . »

سمعَ الملِكُ هذا الكلامَ ، فأمَرَ مُنادِياً فنادَى فى ممْلَكتِه ، وَدَعا الجنودَ والأعوانَ من قبائلِ الْجنِّ ، والقُضاةَ العُدولَ والفُقَهاء ، وقعَدَ يفْصِلُ بينَ زُعَماءِ الْحيوانِ والْجدَلِيِّينَ مِنَ الإِنْسِ .

ثم قال لزعماء الإنسِ : « ما تقولونَ فيما تشكو هذه البهائمُ من الظُّلْم والتّعدى ؟ »

فقال زَعيمُ الإِنسِ : « إنّ هؤلاء عَبيدٌ لنا ونحن مَواليها ، ولنا أن نَتحَكَّمَ بها تحكُّمَ الأرْبابِ ، ونتصرّفَ فيها تصرُّفَ المالكِ كيف شاء . »

فقال الملكُ للإِنسيِّ : « إِنّ الدعاوى لا تَصحُّ إلا بالبيِّناتِ ، ولا تُقبَلُ إلا بالُحجّةِ الواضحةِ . »

فقال الإِنسيُّ : « حُسْنُ صورَتِنا ، وارتفاع قامَتِنا ؛ وجَودَة حَواسِّنا ، وذكاء نفوسِنا ، ورُجحانُ عُقولِنا — كل هذا يدلُّ على أننا أَرْبابٌ ، وهم عبيدٌ لنا . »

فقال الملكُ لزعيمِ البهائمِ : « ما تقولونَ فيما قال الإِنسيُّ ؟ »

فقال : « ليس شيء مما قال بِدَليلٍ على ما ادّعى ، ثم أفاض فى الرَّدِّ عليه ، وبيّن أن فى الحيوان ما هو أجودُ حِسًّا وأَدقُّ تمييزاً من الإِنسان ؛ فالجملُ يرَى مَوضعَ قدَميْه فى الظلْمةِ ، والفرسُ يسمَعُ وَطْء قدَمِ الماشِى من بَعيدٍ . »

ثم تكلَّمَ الحمارُ فقال : « أيها المَلِكُ ! لو رَأَيتَنا ونحن أُسارَى فى أيدى بنى آدمَ ، مُوقَرةً ظُهورُنا بأثقالِهم من الحجارة والآجُرِّ ، والترابِ والخشبِ والحديدِ وغيرِها ، وبأيديهِمُ العِصىُّ يضرِبون بها وُجوهَنا وغيرَها —

لرَحِمْتَنا . » ثم تكلَّمَ الثَّوْر فقال : « لو رأيتَنا — أيها الملك ! ونحن أُسارى في أيدي بني آدم ، مُقْرَنينَ في فُدُنِهم ، مَشدودينَ في دَواليبهم وأرْحِيَتِهم ، مُغطَّاةً وُجوهُنا ، مَشْدودةً أعيُنُنا ، وهم يَضرِبونَنا مع ذلك — لأشفقتَ علينا . »

ثم تكلم الكَبشُ فقال : « لو رأيتَنا ونحن أُسارَى في أيدي بني آدمَ ، يأخذون صِغارَنا ؛ فيُفرِّقون بينها وبين أمَّهاتها ليَستأثِروا بألبانِها لأولادِهم ، ويجعلوها مَشدودةً أيديها وأَرجُلُها ، محمولةً إلى المذابحِ والمَسالِخ جائعةً عَطْشَى ، تَصيحُ فلا تُرْحمُ ، ثم تراها مذبوحةً مسلوخةً ، مشقوقةً أجوافُها ، مفرَّقة أعضاؤها ورُءوسُها وكُروشُها وأكبادُها في دكاكينِ القصَّابينَ ، مُقَطَّعةً بالسَّواطيرِ ، مَطبوخةً في القُدورِ ، مَشويّة في التَّنُّورِ ، ونحن سُكوتٌ لا نَبْكي ولا نَشكو ، وإن شَكونا أو بَكينا لا نُرْحَمُ — لذهبَتْ نَفْسُك حسَراتٍ علينا . »

ثم تكلم « الجملُ فقال : لو رأيتَنا — أيها الملك — مَخزُومةً أنوفُنا مُحَمَّلَةً ظهورُنا ، نُقادُ ونُساقُ في ظُلَمِ الليلِ في القِفارِ والمسالكِ الوَعِرَةِ ، نَصْدِمُ الصُّخورَ والحِجارةَ بأخفافِنا ، مُقرَّحةً جُنوبُنا وظهورُنا ، ونحن جِياعٌ عِطاشٌ — لرَحِمْتَنا . »

ثم تكلم الفيلُ فقال : « لو رأَيتَنا في أيدي بني آدمَ والقُيودُ

فى أرْجُلِنا ، والقُلوسُ فى رِقابِنا ، وكلاليبُ الحديدِ فى أيديهِم ، يَضربون بها أدمِغتَنا — لرَحِمْتَنا . »

ثم تكلم الفرَسُ فقال : « لو رأيتَنا واللُّجمُ فى أفواهِنا ، والسُّروجُ على ظهورِنا ، يُزَجُّ بنا فى الغُبارجِياعًا عِطاشًا ، والسُّيوفُ فى وُجُوهِنا ، والسِّهام فى نحورنا ، والرِّماحُ فى صُدورِنا ، نخوضُ المِياهَ ، ونَسبحُ فى الدماء — لرَحِمْتنا . »

ثم التفتَ الجملُ إلى الِخْنزيرِ ، فقال : قُمْ وتكلم ، واذْكرْ ما تَلْقوْن — مَعشرَ الخنازير — من جوْرِ بنى آدمَ . » فقال الِخْنزيرُ : والله ما أدرى ما أقولُ من كثرةِ اختلاف القائلين فى أمرنا . أما حكماء الجِنِّ فقد سمعتُ ما قالوا ، وأما الإنسُ فهم أكثر اختلافًا فى أمرِنا ، إنَّ المسلمينَ يقولونَ إنا مَلعونونَ ويَستقبِحون صُوَرَنا ، ويَستقذِرونَ لُحومَنا . والرُّوم يتنافسُونَ فى أكل لُحومِنا فى قَرابينِهم ، واليهود يَلعنوننا من غير ذنبٍ مِنا إليهم ؛ ولكن لعداوةٍ بينهم وبين النصارَى . والأطبّاء من اليونانِ يَتداوَوْن بشُحومِنا ، وساسَةُ الدوابِّ يُخالطونَنا بدوابِّهِم وعَلفِها ، لأن حالَها يصلُح بمخالطتِنا . والأساكِفة يتنافسونَ فى شَعرِ أعْرافِنا ؛ فقد تحيَّرنا لا ندرى لمن نَشكو ، ومِمَّن نَشكو و نتظلم ! »

ثم التفتَ الحمارُ إلى الأرْنبِ وكان واقفاً بين قوائمِ الجملِ — فقال له : « قُم فتكلم ، واذكرْ ما تلقَون مَعشَرَ الأرانِبِ من جَوْر بني آدمَ . » فقال الأرنبُ : « أما نحن فقد هربنا من بنى آدم ، وتركنا دِيارَهم وسَلِمنا من شُرورِهم . ولكننا بُلِينا بالكلابِ والخيلِ والجوارحِ ، ومُعاوَنَتِهم لبنى آدمَ علينا ، وطلبِهم لنا ، ولإخوانِنا من الغِزْلانِ وحُمُرِ الوَحشِ وبقَرِها والوُعولِ السَّاكنةِ فى الجبالِ . »

ثم قال الأرنبُ : « أما الكلابُ والجوارحُ ومعاونَتهم لبنى آدمَ فهم معذورونَ فى مُعاوَنةِ الإنسِ علينا لما لهم من النَّصيبِ فى أكل لُحومِنا ، لأنهم ليسوا أبناء جنسِنا ، بل من السباعِ . »

« وأمّا الخيلُ فهىَ منّا — معشر البهائم — وليس لها نصيبٌ فى أكلِ لحومِنا . فما لهَا تُعاون الإِنْسَ عَلَيْنا ؟ لوْلاَ الجهالَةُ وقلّةُ المعرِفَةِ والتحصيلِ للأُمورِ والْحقائقِ ! »

ثمَّ قالَ الملكُ لجماعَةٍ ممَّنْ حضَروا من حُكَماء الجِنِّ وعُلمائهمْ : ألاَ تسمعونَ شِكايةَ هَذه البهائم والأنعامِ ، وما يصِفونَ من جَوْرِ بَنِي آدَمَ عليها ، وقلّةِ رَحْمَتهم لهَا ؟ » قالوا : « سَمِعنا كُلَّ ما قالوا . وهُوَ حقٌ . ومن أجْلِ ذلك هَربَتْ بَنو الجان من بَيْنَ أيْديهم إلى البَرارِى والقِفارِ ، ورُءوس الجِبال وبُطونِ الأودية ، وسَواحل

البِحارِ ؛ لِما رَأَوْا من قُبح أَفْعالهمْ وَسوءِ أعمالهم . ومع هَذه الخصالِ كُلِّها لا يتخلَّصون من سوءِ ظَنهم بالجنِّ ، وَذلك أَنَّهم يَعتقدونَ أن للجنِّ فى الإِنس نَزَعات وخبطاتٍ وفزَعاتٍ فى صِبيانهمْ ونسائهمْ وجُهَّالهم ، حتى إِنهم يتعاوَذون من شَرِّ الجِنِّ بالتَّعاويذِ والرُّقَى والتمائم وما شاكَلَها ، ولم يَرَوْا قطُّ جِنِّيًّا قتلَ إِنْسِيًّا أو جرحَه ، أو سرقَ مَتاعهُ ، أو نقَبَ دارهُ ، أو فتقَ جيبْهُ ، أو بتَرَ كمَّهُ ، أو قَطع عَلَى مُسافرٍ طَريقهُ ، أو خرَجَ على سُلطان ، أو أخذ أسيراً . »

فلمَّا فَرغ من كلامه نادَى مُنادٍ أيها الملأَ أمْسيتم ، فانصرِفوا إِلى مساكنكم مُكرَّمينَ لتعُودوا غَدًا آمنينَ .

ثم خَلا الملِكُ بِوزيرِهِ ، وكَان فيلسوفاً حكيماً فقال له :

« قد شاهَدتَ المجلسَ ، وسمِعْتَ ما جرَى من الكلامِ والأقاويل، وعلِمتَ ما جاءوا له ، فبِماذا تُشيرُ ؟ وما الرَّأى الصواب عندكَ ؟ »

فقال الوَزيرُ : « الرَّأىُ عندى أن يَأمرَ الملِكُ قُضاة الجنِّ وفُقهاءها وحكَماءها وأهلَ الرَّأى أن يجتمعوا عنده ، و يَستْشيرَهم فى هذا الأمرِ . »

فقال الملِك : « نِعْمَ مارَأيت . » ثم أمر بإِحضار القُضاة وأهل الرأى والحكَّام والفلاسفةِ . فلما اجتمعوا عنده قال : قد علِمتم وُرودَ هذه

الطوائِف إلى بلادِنا ، وسمعْتم مناظراتِهم ، وقد استجاروا بنا، فَماذا تَرَوْن أن نفعل بهم ؟ »

قال قائلٌ : « الرّأيُ عندى أن تُرْسل رُسلاً إلى سائرِ الحيواناتِ فتُعرِّفهم بالخبَرِ وتسألهم أن يَبعثوا إلينا زُعماءهم وخُطباءهم لِيعاونونا فيما نحن فيه . » فقالت الجماعة : « صوابٌ ما رَأَيت . »



# ٦٥ — بين الإنسان والحيوان

## ( ٢ )

أرسل ملك الجان ستةَ نفرٍ إلى ستةِ أجْناسٍ من الحيوانِ ، فلما وصل الرّسول إلى أبى الحارِث ( الأسد ) ملِك السبّاعِ عرّفه الخبرَ وقال : بَعثونى إليك لتُرْسل معى زَعيماً من جُندك لِينوب عن أبناء جنسهِ . » .

فقال له : « مايَزْعُمُ الإنس ؟ ومايَدَّعون على البهائِم ؟ » قال : يَزْعُمون أنهم عبيدٌ لهم ! » قال : « بماذا يَفتخر الإِنس عليها ؟ أبالقُوّةِ أم بالحملاتِ والوَثبَات ، أم الإِمساك بالمخالبِ ؟ فإن كانوا يَفخرون بواحدةٍ من هذه جمعتُ جنودى وحملنا عليهم حملةً واحدة . »

قال الرسول : « إِن منهم مَن يفتخرُ بمثل هذه الخصال ، ولهم مع ذلك أعمالٌ وحيَل ومكايدُ ، لاتخاذِ السّلاح من السيوفِ والرّماحِ والحراب والسكاكين والنُّشّابِ والقِسِيِّ ، والاحْترازِ من مخالب السباعِ وأنيابها باتخاذ الدروعِ والُخوَذِ ، مما لا تنفُذُ فيه أنيابٌ ، ولا تعمل فيه مخالب . »

« ولهم حِيَلٌ أخرى فى أخذِ السبّاعِ والوُحوشِ من الخنادقِ المحفورةِ والزُّبى المَستورةِ والفِخاخِ ، وآلاتٌ أُخرَ لا تعرِفها السبّاعُ فتحذَرُها ، ولا تهتدِى إلى الخلاصِ منها إذا وَقعتْ فيها . »

فَفَكَّرَ الأسَد ساعةً ثمّ أمرَ منادياً يُنادى . فاجتمعَتْ جنودُه من أصنافِ السِّباعِ والوُحوش والنُّمورِ والفُهودِ ، والدِّببَةِ وبناتِ آوَى ، والذِّئاب والثعالبِ ، وسنانيرِ البَرِّ ، والضِّباعِ ، وأصنافِ القُرودِ ، وَبناتِ عِرْسٍ ، وكلّ ذى مِخْلبٍ ونابٍ ، فعرّفها الخبرَ .

ثمّ قالَ : « أيكمْ يذهبُ إلى هناكَ فينوب عن الجماعةِ ؟ فقالَ النَّمرُ لِلأَسد : « أنتَ ملكُنا ونحنُ عبيدُكَ . وسبيلُ المَلك أن يدبِّرَ الرَّأىَ ويُشاوِر أهلَ البصيرةِ ، ثم يأمر وينهى . » فقالَ لهُ الأسدُ : « فمن ترى يصلحُ لِهذا الأمر من هذهِ الطوائِفِ ؟ » قالَ : « لا يَصْلحُ لها إلا الحكيمُ العادلُ ، العالِمُ الكبيرُ ، كليلةُ أخُو دِمنةَ . » قالَ الأسدُ لابْنِ آوَى : « ما تقولُ ؟ فهل تمضِى إلى هناكَ وتنوبُ عن الجماعةِ ؟ » قالَ سَمْعاً وطاعةً ! ولكن لا أدْرى كيفَ أصنعُ مع كثرةِ أعدائى هُناكَ من أبناءِ جنسنا . » قال : « منْ هم ؟ » قالَ : « الكِلابُ ؛ استأْمَنَتْ إلى ابنِ آدمَ ، وصارَتْ معينةً لهُ علَينا . » قالَ : « ما الذى دعاها إلى ذلكَ ؟ » قالَ : « ما وَجدَتْ عِندهم من اللذّاتِ من المأْكولاتِ والمشْروباتِ ، وما فى طباعِها من الشَّرهِ

والْحِرْصِ والبُخْلِ ، وما فى جِبِلَّتها من الأخلاقِ المذْمومةِ الموجودَةِ فى بَنِى آدَمَ ؛ فإِنَّ بها مِنَ البُخْلِ والحِرْصِ ما لا يَجْعَلها تَتْرُكُ أحَداً من السِّباعِ يَدْخُلُ قريةً أَوْ مَدِينةً ؛ مَخافةَ أن يُنازِعَها فى كلِّ شىءٍ ممَّا هِىَ فِيهِ ! وقَدْ يَدخلُ أحدٌ من بناتِ آوَى أو بناتِ أبى الْحُصينِ قرْيةً بالليـلِ ؛ لِيَسْرِقَ منها دَجاجَةً أو ديكاً أو سِنَّوْرًا ، أو يَجُرَّ جيفةً مطْروحَةً ، أو كسْرَةً مَرْمِيَّةً ، فتَحْمِلُ عليه الكِلابُ وتطْرُدُهُ من القَرْيَة . . . ومَعَ ذَلِكَ تَرَى بها من الذُّلِّ والْمَسْكَنةِ ما إذا رَأى أحَدُهُما فى يَدِ آدَمِيٍّ لُقْمَةً يَتبَعُهُ ، ويُبَصْبِصُ بِذَنَبِه ، ويُحِدُّ النَّظَرَ ، حتَّى يَستَحِىَ فَيَرْمِىَ بها إِليه . »

قال الأسَدُ : « ومَنْ غيرُها من المُسْتَأْمِنةِ إلى الإِنْسِ من السِّباعِ ؟ » قال : « السَّنانيرُ ! » قال : « ولِمَ استَأْمَنَتْ ؟ » قال : « العِلَّةُ واحِدَةٌ ! » قال « كيْفَ حالها عندهُمْ ؟ » قال : « أَحْسَنُ حالاً من الكلابِ ؛ لِأنَّها تَدْخُلُ بُيوتَهُمْ ، وتَنامُ فى مَجالِسِهِمْ وتَحْتَ فُرُشِهِمْ ، وتَحْضُرُ مَوائِدَهُمْ ، وهِىَ تَسْرِقُ الطعام إذا وَجَدَتْ فُرْصَةً . وأمَّا الكِلابُ فَلا يَتْرُكونَها تَدْخُلُ بُيُوتَهُمْ ومَجالِسَهُمْ ، وبَينَ الكلابِ والسَّنانِيرِ — لهذا السَّبَبِ — حَسَدٌ وعَدَاوة جَدِيدةٌ . »

قال الأسَدُ : « فمَنْ رَأَيْتَ من المستأنِسَةِ غَيْرَ هذَيْنِ من جِنْس

السِّباعِ » ؟ قال : « الفَأْرُ والجِرْذانُ ، يَدْخُلون مَنازِلَهُمْ وحَوانِيتَهُمْ غيرَ مُستَأنِسِينَ ، بل على وَحْشَةٍ ونفورٍ . » قال : « فما يحملها على ذلك ؟ » قال : « الرغبةُ فى المأْكولاتِ والمشروباتِ . » قال الأسد : « لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله . » ثم قال لِكليلةَ : « سِرْ بالسلامةِ والبركةِ وَبَلِّغْ ما أُرْسلتَ به . »

ولما وصل الرسولُ إلى مَلِكِ الطُّيورِ وهو « الشاه مرغ » ، أمر مناديًا فنادى ، فاجتمَع عندَه من أصنافِ الطُّيورِ من البَرِّ والبَحْرِ والجبلِ عَددٌ كثيرٌ ، فأخبَرَهم ما أخبَره به الرَّسولُ . ثم قال للطَّاوسِ وَزيرِه : « مَن هاهنا من فُصَحاءِ الطُّيورِ ومُتكَلِّميها يصلحُ أن نَبعثَه هناك ، لينُوبَ عن الجماعةِ فى المناظرةِ مع الإِنسِ ؟ » قال الطاوسُ : « هاهنا جماعةٌ تصلحُ لذلك . » قال : « بَيِّنْهُم لى لأعرِفَهم ، وأرِنيهِمْ واحداً واحداً لأنظُرَ إليهم ، وأُبصِرَ شَمائلهم ! » قال : « نعم . أمَّا الهدْهد الجاسوسُ فهُو : ذلك الواقِفُ ينقرُ كأنهُ يَسْجد ويركع ، وأما الدِّيك المؤَذِّن فهوَ الواقِفُ فوقَ الحائِطِ ، صاحبُ اللَّحْيةِ الحمراء المنتشرُ الجناحَينِ ، المنْتصبُ الذنبِ ! وهُو الغيورُ السَّخىُّ ، الشَّديدُ المراعاة لأمرِ حَرمِهِ وحلائلِهِ ، العارفُ بأوقاتِ الصلاةِ ، المذكِّرُ بالأسْحار ، المنبِّهُ للجيرانِ ، الحسَنُ المَوْعظةِ . »

« وأما البُلبل فهو : القاعدُ على غُصْنِ تلكَ الشجرةِ ، الصغيرُ الجثةِ ، الكثيرُ الحركةِ ، الأبيضُ الخدَّين ، الفصيحُ اللّسانِ . يحاورُ بنى آدم ويحاكيهم فى نغماتهم ويَعظهُمْ ، وهوَ القائلُ : « سُبحان الله ! كم تلعبونَ ؟ أليس للموتِ تولدونَ ؟ أليس للخرابِ تبنون ؟ » ثم يقول « فى دُعائِهِ : » اللهمَّ اكْفنى وَلَعَ الصِّبيانِ ، وشَرَّ سَنانيرِ الجيرانِ ، ياحَنّانُ يا مَنّانُ ! »

« وأَمَّا الغُرابُ الكاهنُ ، فهوَ : لابسُ السَّوادِ ، المُتوقِّى الحذرَ ، المبكِّرُ بالأسحارِ ، للطوافِ فى الدِّيار ، المتتبعُ للآثارِ ، المخبرُ بالكائناتِ ، وهو القائلُ فى نَعيقهِ وإنذارِه : « النّجا النَّجا ، احْذَرِ البِلَى ، يا مَنْ طَغَى وبَغَى ! أيْنَ المَفرُّ ؟ !

وأما الكُرْكِى ، فهو : القائمُ فى الصحراء ، الطويلُ الرَّقبةِ والرِّجلينِ ، القصيرُ الذنبِ ، الوافِرُ الْجَناحين ، وهو القائلُ فى تَسبيحِهِ : « سُبحانَ مُسخِّرِ النَّيِّرَيْنِ ، سبحان مارِجَ البحرَينِ ، سبحانَ رَبِّ المَشْرِقَينِ وربِّ المَغرِبين . »

« وأَما الهَزارُ اللغوى الكثيرُ الألْحانِ ، فهو : القاعدُ على غُصنِ الشجرةِ ، الصغيرُ الْجُثةِ . الطَّيِّبُ النغمةِ . »

ثم قال مَلكُ الطيورِ للطاوسِ : « مَنْ تَرَى يَصلحُ من هؤلاء أن

نَبْعثُهُ لِيتناظرَ مع الإنسِ ، ويَنوبَ عن الجماعةِ ؟ » قالَ : « كلُّهمْ يصلح لذلك ، لأنهمْ فُصَحَاءُ خُطباءُ ! غيرَ أنَّ الهَزارَ أفصحُهم لساناً ، وأطيَبهمْ نغمةً وألْحاناً . » قالَ مَلكُ الطيورِ : « سِرْ وتوكَّلْ على الله عَزَّ وَجلَّ ! »

ولما وَصلَ الرسولُ إلى ملكِ الحشراتِ وهُو النحلُ ، وعرَّفهُ الخبرَ أمرَ مُناديَهُ فنادَى ، فاجتمعتْ عنده الحشراتُ من الزَّنابيرِ واليعاسيبِ ، والذُّبابِ والبقِّ والجُعْلانِ والجرادِ ، فعرَّفها الخبرَ وقال : « أيُّكم يَذْهَب ويَنوب عن الجماعَةِ فى مُناظرةِ الإنسِ ؟ » قالت الجماعة : « بماذا يَفتخرُ الإنسانُ علينا ؟ » قالَ الرَّسولُ : « بِكِبَرِ الجُثةِ ، وعِظَمِ الخِلْقَةِ ، وشِدةِ القوَّةِ والقهْرِ والغَلبةِ ! »

قالَ زعيمُ الزَّنابيرِ : نحن نَمرُّ إلى هناك ونَنوب عن الجماعةِ . »
وقال زعيمُ الذبابِ : « لا . بل نحن نَمرّ . » وقال غيرهُ : « لا . بلْ نحن نَمرُّ ! »

قالَ الملكُ : « مالى أَرَى كلَّ الطوائفِ قد تبادرتْ إلى المبارَزةِ من غَيرِ فِكرٍ ولا رَويّةٍ فى هذا الأمرِ ؟ ! »

قالت الجماعةُ : « لِلثّقةِ بنَصرِ اللهِ ، ولِما تَقدمَ من التَّجربةِ فيما مضى من الدُّهورِ والأُممِ الخاليةِ . » قال : « أخبرونى كيفَ كانَ ذلك ؟ قالت : « البقُّ — أصغرنا جُثةً وأضعفنا بنيةً — قَتلَ النَّمْرودَ أكبرَ مُلوكِ

بنى آدمَ ، وأطْغاهم وأعْظمهم سلطانا . » قال الذُّباب : « أليس الملكُ أعظمهم سلطانًا وأشدُّهم هَيبةً ؟ إنه إذا قعدَ على سَريرهِ وقام الْحُجَّابُ دونهُ شَفقة أن ينالَهُ أذًى ، يجىء أحدُنا من مَطبخهِ أو خلائهِ مُلوَّث الرِّجلين والْجناحينِ ، فيقعدُ على السَّريرِ ، وعلى ثِيابهِ وَوَجههِ ولحيتهِ ، ويُعذِّبهُ ولا يَقدر على الاحترازِ مِنَّا ؟ ! »

قال البعوض : « أَليسَ إذا قَعد أحدهم فى مَجلسهِ وسَريره وكِلَلِهِ المنصوبَةِ — يَدْخلُ أحدُنا بين ثِيابهِ فيَقرُصهُ ويُزْعِجهُ من سكونهِ ، وإذا أراد أن يَبطِشَ بنا صَفعَ نفسهُ بيده ولَطَم خدّه بِكَفهِ ، ودقَّ رأسَهُ فَنُفلِتُ منه ! ! »

قال : « صدقت ! ولكن لا يَمشى شَىء من ذلك فى حضرةِ ملكِ الجنِّ ، إنما يمشى الأمرُ هُناكَ بالعدل والأدبِ ودقَّةِ النظرِ ، وجوْدة التميز ، والاحْتجاجِ بالفصاحةِ ، والبيانِ بالمناظرة . » فأطرقتِ الجماعةُ ، ثم قال الملكُ : « أنا أسيرُ بنفسى . » فقالت الجماعةُ : « لا . » قال أميرُ النَّحْل (اليعسوبُ) : « أنا أَقومُ بهذا الأمر . » قال الملكُ : « خارَ اللهُ لك فيما عزمت عليه . » ثم ودعهم ورحل حتى قدِم على ملكِ الجنّ .

ولما وصلَ الرسولُ إلى ملكِ الجوارحِ وهوَ العَنقاءُ وعرَّفهُ الْخبرَ ، نادَى مُناديه فاجْتمعَتْ عندهُ أصْنَافُ الجوارحِ ، من النُّسور والعِقْبانِ

والصُّقور والبُزَاةِ والشَّواهينِ والحِدَأ والرَّخَمِ والبُومِ والبَبْغاء ، وكُلُّ طيرٍ ذى مِخْلَبٍ مُقوَّسٍ المنقارِ يأكُلُ اللَّحْمَ ، ثم عرَّفها الخبرَ وما جاء به الرَّسولُ ، وقال لوزيرهِ « كَرْكَدَّن » : « ترى من يصلحُ من هذه الجوارح أنْ نبعثه نائباً عن الجماعةِ من أبناء جنسهِ للمناظرةِ مع الإِنسِ ؟ » قالَ الوزيرُ : « ليس فيها أحدٌ يَصلحُ لهذا الأمرِ غير البُومِ . » قال : « ولِمَ ذلك ! »

قال : « هذه الجوارحُ كلّها تَنفِرُ من الإِنْسِ وتَفزَعُ منهم ، ولا تفهمُ كلامَهم ، ولا تُحسنُ مُخاطبتهم ولا تجاورُهمْ . وأمَّا البومُ فهوَ قريبُ المجاورةِ لهم فى دِيارِهم العافيَة ، ومنازِلهم الدَّارسةِ ، وقُصورِهِم الخَرِبَةِ ، ويَنظرُ إلى آثارِهم القديمةِ ، ويَعتبرُ بالقُرونِ الماضيةِ ، وفيه مع ذلك من الزُّهدِ والوَرَعِ والخشوعِ والتقشُّفِ ما ليس لِغيرهِ ؛ يصومُ النَّهارَ ، ويُحْيي اللَّيْلَ ، وربما يَعِظُ بنى آدم ويَنوحُ على مُلوكهم الماضيةِ ، والأُمَمِ السَّابقةِ ويقولُ هذه الأبياتِ :

أَينَ المُلوكُ الماضِيَهْ ... تَرَكُوا المنازِلَ خاليهْ
جَمعوا الكُنوزَ بِجِدِّهِمْ ... تَرَكُوا الكُنوزَ كَماهِيَهْ
فانظُرْ إليهم هَلْ تَرَى ... فى دَارِهِمْ مِنْ باقِيَهْ
إلَّا قُبوراً دُرَّساً ... فيها عِظام بالِيَهْ »

قال العَنْقاءُ لِلبومِ : « ما تقولُ فيما ذَكَرَ الكَرْكَدَّنُ ؟ » قال البومُ ! « صدقَ ، ولكنْ لا يُمكِنِ المَسيرُ إلى هُناكَ . » قال العَنْقاءُ : « لِمَ ذاكَ ؟ » قال : « لأنَّ بَنى آدمَ يُبْغضوننى ، ويَتطيَّرُونَ بِرُؤْيتى ، ويَشْتِمونَنى من غيرِ ذَنْبٍ إليهِمْ ، ولا أَذِيَّةٍ تَنالهمْ مِنِّى. فكيفَ إذا أَظهرتُ لهم الخلافَ ، ونازَعتهمْ فى الكلامِ والمناظرةِ » قال : « فَمَنْ تَرَى يَصلحُ لهذا الأمرِ » ؟ قال البومُ : « إنَّ مُلوكَ بَنى آدمَ يُحبُّونَ الجوارحَ من البُزاةِ والصُّقورِ والشَّواهِينِ وغيرِها ، ويُكْرِمونَها ويحملونَها على أَكُفِّهِمْ ، فلو بعثَ الملكُ بواحدٍ منها إليهمْ لَكانَ صَوابًا . »

قال البازى : « ليستْ كَرامَتنا على بَنى آدمَ لِقَرابةٍ بيْننا وبَينهمْ ، ولا عِلمٍ ولا أَدَبٍ يجدونَه عِندنا ، ولكنْ لِأنهُمْ يُشارِكونَنا فى معايِشِنا ومَكاسِبِنا . » قال العَنْقاءُ للبازى : « فَمَنْ تَرَى يَصْلُحُ لهذا الأمْرِ ؟ » قال : « أَظنُّ أنَّ الببغاءَ يَصْلحُ لهذا الأمْرِ ؛ لِأنَّ بَنى آدمَ يحبُّونَه . » فقال العَنْقاءُ للببغاءِ : « ما تقول ؟ » قال : « صَدَقَ البازِى وإنِّى ذاهِبٌ إلى هناكَ . »

ولما وَصلَ الرسولُ إلى ملكِ حيوانِ البحرِ وهوَ التِّنِّينُ وعرَّفهُ الخبرَ ، نادى مناديهِ ، فاجتمعتْ إليه أصنافُ الحيواناتِ البحريَّةِ من التنانينِ والتماسيحِ والدَّلافينِ والحيتانِ ، والسرطاناتِ والسلاحفِ والضفادعِ ، وذواتِ الأصدافِ والفلوسِ ، وهى نحو سبعمائةِ صورةٍ مختلفةِ الألوانِ

والأشكالِ ، فعرَّفها الخبرَ ، وما قال الرسولُ . ثم قال التِّنِّينُ للرسول : « بماذا يفتخرُ بنو آدمَ على غيرهم ؟ أبِكبَرِ الجثةِ ؟ أمْ بالشِّدةِ والقوَّةِ ؟ أم بالقهْرِ والغلبَةِ ؟ »

قال الرسولُ : « لا يفتخرونَ بشيءٍ من ذلكَ ، ولكنْ برُجحانِ العقلِ ، وفنون العلْمِ ، وغرائب الأدبِ ، ولطائفِ الحيَل ، ودقة الصنائعِ ، وذكاء النفْسِ . »

قال التنينُ للضِّفدِعِ : « ماذا ترى ؟ » قال : « أنا أنوبُ عن الجماعةِ . »

ولما وَصلَ الرسولُ إلى ملكِ الهوامِّ وهوَ « الثعبانُ » وعرَّفهُ الخبرَ ، نادى مناديه ، فاجتمعتْ إليهِ أصنافُ الحيواناتِ من الهوامِّ ؛ مثلِ الأفاعِى والحيَّاتِ ، والعقاربِ والجرَّاراتِ ، والضَّبِّ والحرابِى ، والخنافِسِ والعناكبِ ، والنمل والجنادبِ ، والبراغيثِ والقملِ ، والفأرِ والصراصرِ ، وأصناف الديدانِ ، مما يتكوَّنُ فى العُفونات أو يدبُّ على رُءوسِ الأشجارِ ، أو يَتكوَّنُ فى لُبِّ الحبوبِ وجوفِ الحيوانِ أو فى الطينِ . فاجتمعتْ كلُّها عندَ الملكِ لا يحصيها عددٌ ، ولا يعلمها إلا اللهُ الذى خلقها .

فلما نظرَ الملكُ إليها بقِيَ متعجِّباً منها ، ثم قالَ لوَزيرهِ الأفْعَى : « مَنْ يصلُحُ من هذهِ الطوائفِ أن نبعثهُ لِلمناظرةِ ، فإنَّ أكثرَها

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ، بلا يَدَيْنِ ولا رِجلينِ ، ولا جناحَينِ ولا مِنقارٍ ، ولا مِخلبٍ ولا ريشٍ على أبدانها ، ولا صوفٍ ولا فلوسٍ ، وأكثرُها حُفاةٌ عُراةٌ ، مساكينُ بلا حيلةٍ ، ولا حوْلَ لها ولا قوّةَ . » وقد رقّ قلبهُ عليها ودمعتْ عيناهُ من الحزْنِ . ثم دعا اللهَ أن يكونَ لها وليّا وحافظاً وناصراً ومعيناً . فقالت كلها بلسانٍ فصيحٍ : « آمينَ » .

فلما رأى الصُّرصور رأفةَ الثعبانِ على رعيّتهِ ارتقى إلى الحائطِ ، وحرّكَ أوتارهُ ، وترنّمَ بأصواتٍ وألحانٍ لذيذةٍ فقالَ : « الحمدُ للهِ نحمدُهُ ونستعينهُ ، ونشكرهُ على نَعمائهِ السّابغَةِ وآلائهِ الدائمَةِ . »

ثم قالَ : « أيها الملكُ المتحنِّنُ على هذه الطوائفِ ، لا يغمّكَ ما ترى من ضعفِ أبدانِها ، وصِغرِ جُثثِها ؛ فإن الخالقَ تعالى لمّا خَلق الحيواناتِ ورَتّبها على منازِلَ — ما بينَ كبيرِ الجثةِ عظيمِ الخلقةِ ، وبينَ صغيرِها وضعيفِها — قد ساوى بينها فى الآلاتِ . والأدواتِ التى تتناوَلُ بها المنافِعَ ، وتدفعُ بها المَضرّاتِ . »

« أعطى الفيلَ الجُثةَ العظيمةَ ، والقوّةَ الشديدةَ ، ليدفعَ المكارهَ بأنيابِهِ الطِّوالِ ، ويتناوَلَ المنافعَ بخُرْطومهِ الطويلِ . وأعطى البقّةَ الصغيرةَ الجثة عِوَضاً من ذلكَ — الجناحينِ اللطيفينِ ، فتنجو من المكارهِ وتتناوَل الغذاء بخرْطومِها ، فصارَ الصغيرُ والكبيرُ فى هذهِ المواهبِ

متساويَين . » ثم أفاضَ فى بيانِ ما لِـكلٍّ واحدٍ ممـا يدفعُ به عن نفسهِ المَـكارهَ ، ويجُرُّ المنافعَ .

فلما فرَغَ الصُّرصور من خطبتهِ هذهِ ، قالَ له الثُّعبانُ : « باركَ اللهُ فيكَ من خطيبٍ ما أفصَحكَ ! ومن مُذكِّرٍ ما أعلمكَ ! ومن واعظٍ ما أبلغكَ ! ! »

وَالحمدُ للهِ الذى جعلَ فى هذهِ الطائفةِ مِثلَ هذا الحـكيم الفاضل ، امضِ إلى هناكَ فتنوب عن الجماعةِ فى المناظرةِ . »

وَلمـا كان الغدُ وَردتْ زعماءِ الْحيوانِ من الآفاقِ ، وَقعدَ ملكُ الجن لِفَصْل القَضاء ، وَنادَى المنادِى : أَلَا مَنْ له مَظلَمةٌ فليحضرْ ، فإِنَّ الحاجاتِ تُقضَى ، لأن الملك جَلس لِفصلِ القضاء . وَحضَرتْ قضاةُ الجِنِّ وَفُقهاؤها وَعُدولها وَحـكَّامها وحكماؤها ، وحضَرتِ الطّوائفُ الوارِدةُ من الآفاقِ من الجِنِّ وَالإنس وَالحيوانِ ، فاصطفَّتْ أمامَ الملكِ ، وَدعَتْ له بالتّحِيَّةِ وَالسلام .

ثمَّ نَظرَ الملكُ يَمْنَـةً وَيسرَةً ، فرأى من أجْناسِ الْحيوانِ وَاختلاف الصُّورِ وَفنونِ الأشكال وَالألوانِ وَالأصواتِ وَالنغماتِ ، وَبَقِيَ متعجِّباً منها ساعَةً ، ثمَّ قال : « سبحَانَ الذى خلَق الأشياءَ بِرَحمتِهِ ، وَأوْجدَ الْحيوانات بقدرَتهِ ، وَجعل بعضَهَا شريفاً وَبعَضهَا خَسيساً ، وَبعضهَا




ملك الجان يفصل بين الانسان والحيوان

كبيرَ الجُثةِ وبعضها صَغير الجُثةِ ، وبعضها ذا نُطْقٍ ، وبعضها أخرسَ ، وجعلَ مَقرَّ بعضها فى الهواء ، ومَقرَّ بعضِها فى الماء ، وبعضها فى البَرارِى والقفارِ والجِبالِ والكهوفِ والمَغاراتِ . رَبنا ما خَلقتَ هذا باطلاً سبحانكَ ما أعظَم شأنك ! »

ثم نظرَ الملك إلى جماعةٍ من الإنسِ وهم مُختلِفو الهيئاتِ واللِّباسِ واللُّغات والأشكالِ والألوانِ ، فقال : « سبحان الذى خلق الإنسانَ من نطفةٍ فى قرارٍ مكينٍ . سبحانَ الذى جعلَ النّطفةَ عَلقةً ، ثم جعلَ العَلقةَ مُضغةَ ، ثم جعلَ المضغةَ عِظاماً ، ثم كسا العِظام لحماً وجلداً ، ثم نَفخَ فيه من روحِهِ فتباركَ الله أحسنُ الخالقينَ . »

* * *

ونظرَ الملكُ يَمنةً ويَسرَةً ، فرأى ابنَ آوَى وَاقفاً إلى جنبِ حمارٍ يَنظرُ تَشزرًا ، ويلتفتُ شِبهَ المُريبِ الخائفِ من الكلام ، فقال الملكُ على لِسانِ التَّرْجمانِ : « مَنْ أنْتَ ؟ » قال : « أنا زَعيمُ السِّباعِ . » قال : « ومن أرسلكَ ؟ » قال : « مَلِكُنا . » قال : « مَنْ هوَ ؟ » قال : الأَسَدُ أبو الحارثِ . » قال : « أيْنَ يأوِى ؟ » قال : « فى الآجام » قال : « وَمَنْ رَعِيَّتُهُ ؟ » قال : « حيوانُ البرِّ من الوُحوشِ والأنعامِ والبهائِمِ . » قال : « صِفْ لى صُورَتَه وأخلاقَه وسيرتَه . » قال . « نعمْ . هوَ أكبرُ

السِّباعِ جُثَّةً ، وأشدُّها قوَّةً وبطشاً ، شُجاعُ القلبِ هائلُ المنظرِ ، لا يهابُ أحداً ، سَخيٌّ ؛ إذا اصطادَ فريسةً أَكلَ منها وتَصدَّقَ بِباقيها على جُنودِهِ وَخَدَمِهِ ، عَفيفُ النَّفْسِ عن الأُمورِ الدَّنِيَّةِ ، لا يَتعرَّضُ للنِّساءِ ولا للصِّبْيانِ ولا للنِّيامِ ، ولا يتأذَّى إلاَّ من النَّمْلِ الصَّغيرِ . »

قال : « كيفَ سيرَتُهُ في رَعِيَّتِهِ ؟ » قال : « أحْسَنها وأعْدَلها . » ثم رَأى الملكُ الببغاء قاعِداً على غُصْنٍ ، يَتأمَّلُ كلَّ من يتكلَّمُ من الحضورِ ، فقال له : « من أنتَ ؟ » قال : « زعيم الجوارِح من الطَّيرِ . » قال : « مَنْ أرسلكَ ؟ » قال : « مَلِكُنا العَنْقاء . » قال : « أين يَأوى ؟ » قال : « إلى الجبالِ الشامخةِ . » قال : « صِف لنا صُورةَ العَنْقاء وأخلاقه » قال : « هو أكبرُ الطَّيْرِ جُثَّةً ، وأشدُّها طيراناً ، كبيرُ الرَّأْسِ عَظيمُ المنقارِ كأنَّه مِعْوَلٌ من الحديدِ ، عُظيمُ الجناحَينِ إذا نَشرَهما فَكأنَّهُما شِراعانِ ، وذَنبه مُناسبٌ لهما كأنَّه مِظَلَّةُ نَمْرودَ الجَبَّارِ . » قال . « ما سيرته ؟ » قال : « أحْسنُ وأعدَلُ سيرَةٍ . »

ثم سمع الملكُ نَغمةً وطَنِيناً من شَقِّ حائِطٍ ، فتأمَّلَهُ فإذا هو صُرْصُورٌ واقِفٌ يُحرِّكُ جناحَيْهِ ، قالَ له : « مَنْ أنتَ ؟ » قال : « زعيمُ الهوامِّ والحشَراتِ . » قال : « مَنْ أرْسلكَ ؟ » قال : « مَلِكُنا الثُّعْبانُ » قال : « أيْنَ يَأوِى ؟ » قال · « إلى الجبالِ الشامخةِ المرتفعةِ . » قال : « فمَنْ جُنودهُ

وأعْوانُه ؟ » قال : « الحيَّاتُ والحشراتُ أجْمَعُ . » قال : « ولِمَ ارتفَعَ إلى هُناكَ ؟ » قال : « ليَسْتَريحَ بِبرودَةِ الزَّمْهريرِ من حَرارَةِ السُّمِّ الذى بين فَكَّيْهِ . » قال : « صِفْ لنا صورَتَه . » قال : « كصورةِ التِّنِّينِ ، وأخلاقُه كأخلاقِهِ . »

ثمَّ قال الضِّفْدِعُ : « أيُّها الملكُ ! لما سمع التِّنِّينُ قوْلَ الإنْسِ وادِّعاءَهُمْ على الحيواناتِ أنَّهمْ عبيدُهم ، تَعَجَّبَ من قولهم الزُّور وقال : « ما أجْهَلَ هؤلاءِ الإنْسَ ! أفلا يَتفكرون ويَعتبرونَ بأنه لو خرجت عليهم السِّباعُ من الآجامِ ، وانقضَّتْ عليهم الجوارحُ من الجوِّ ، ونزلتْ عليهم الثَّعابينُ من رُءوسِ الجبالِ ، وخرجت إليهم التماسيحُ والتَّنانينُ من البَحْرِ ، فَحمَلَتْ على الإِنْسِ حملَةً واحِدَةً ، فهل يَبْقَى منهم أحَدٌ ؟ ولو خالطتْهُم فى دِيارِهِمْ ، فَهَلْ يطيبُ لهم عَيْشٌ مَعَها ؟ أفلا يُفكِّرونَ فى نِعمِ اللهِ عليهم حِينَ صَرَفَها وأبْعَدَها من دِيارِهِم لدفعِ ضررها عنهم ؟ ! »

ثم قال الملكُ لجماعةِ الإنْسِ ، وهم وقوف وكانوا نحو اثنين وسبعين رجلاً : « قد سمعتم ما قال ، فاعتَبِروا وتفكروا فيه » ثم قال لهم : « مَنْ مَلِكُكُمْ ؟ » قالوا : « لنا عِدَّةُ ملوكٍ . » قال : « فأيْنَ دِيارُهُمْ ؟ » قالوا : « فى بُلْدانٍ شَتَّى ؛ كلٌّ واحِدٍ فى مدينةٍ له جُنودُهُ ورعيَّتُه . »

قال : « لِأىِّ عِلَّةٍ وسببٍ صارَ لِكلِّ جِنْسٍ من الحيواناتِ ملكٌ واحِدٌ مع كثرتِها . ولِلإِنْسِ عِدّة ملوكٍ مع قلتهم ؟ » قال العِراقِىُّ :

« لكثرةِ مآربِ الإنْسِ وفنونِ تَصاريفِ أمورهم ، فاحتاجوا إلى كثرة الملوكِ ، وليس حُكم سائرِ الحيواناتِ كذلك . »

« وخصلةٌ أخرى أنّ ملوكهمْ إنما هم بالاسم من جهةِ كِبَرِ الجثّةِ ، وعظمِ الخِلْقةِ وشدةِ القوّةِ ، وحُكْمُ ملوكِ الإِنْسِ رُبما يكونُ بخلافِ ذلك ، وربمَا يكونُ الملكُ أصغرَهم جثةً ، وأضعفهمْ قُوَّةً ! وإنما المرادُ من الملوكِ حُسنُ السِّياسةِ والعدلِ ، ومراعاةُ أمرِ الرَّعيةِ وتفقُّدُ أحوالِ الجنودِ والأعوانِ ، وترتيبهمْ فى مراتبهمْ ، والاستعانة بهمْ فى الأمورِ المشاكلةِ لهم ، وَذلك أنَّ رَعيةَ ملوكِ الإنْسِ وأعوانها أصنافٌ ؛ فمنهم حَمَلةُ السِّلاحِ الذين يبطشُ بهمُ الملكُ بأعدائهِ ، ومن خالفَ أمرَهُ من الثوّارِ واللصوصِ ، وقُطاعِ الطريقِ ، ومَنْ يريدُ الفتنَ والفسادَ فى البلادِ ، ومنهم الوُزراء والكُتّابُ والعمّالُ وجباةُ الخرَاج . ومنهم البنّاءون والزّارعون . ومنهم القضاةُ والعلماء وحكامُ الشريعةِ . ومنهم الخدم والحجّابُ والوكلاء والرُسلُ ، وأصحابُ الأخبارِ أو النُّدماء ، ومَنْ شا كلهم مِمّن لا بُدّ للملوكِ منهم فى تمام السِّيرة . وكلُّ هؤلاء الطوائفِ لا بد للملك من النظر فى أمورِهم ، فمن أجلِ هذهِ الخصالِ ، احتاجتْ الإِنْسُ إلى كثرةِ الملوكِ ، فى كلِّ بلدٍ أوْ مدينةٍ ملكٌ يُدبِّرُ أمرَ أهلها ، ولا يُمكِنُ أن يقومَ بها واحدٌ ؛ إذْ فى كلِّ إقليمٍ عِدّةُ بلدانٍ ، وفى

كلِّ بلدٍ عِدةُ مدُنٍ ، وفى كلِّ مدينةٍ خلائقُ لا يحصِى عددَها إلا اللهُ ، وهم مُختلفو الألسُنِ والأخلاقِ والآراء والمذاهب والأعمالِ والمآربِ . »

فلمّا فرغَ زعيمُ الإنسِ من كلامهِ نظرَ الملكُ إلى أصنافِ الحيواناتِ فسمعَ دويًّا وطنيناً ، فإذا باليعسوب أمير النّحْـلِ وزعيمها وقفٌ فى الهواءِ فقالَ له : « مَن أنت ؟ » قال : « زعيمُ الحشراتِ وأميرُها . » قال : « كيف جئتَ بنفسكَ ولم تُرسلْ رسولاً من رعيتكَ ؟ » قال : « إشفاقاً عليهم أن ينالَ أحداً منهم سوءٌ . » قال الملكُ : « وكيف خُصِصْتَ بهـذه الخصلةِ دونَ غيرِكَ » قال : « إنما اختصّنى ربى من جزيلِ مواهبهِ بمَا لا أُحْصيه . » قال : « اذكرْ منها طرفاً لأسمَعهُ . » قال : « نعمْ . مما خصّنى اللهُ به وأنعمَ به عَلَيّ وعلى آبائى أن آتانَا المُـلْكَ والحكمة التى لم تكن من بعدنَا لحيوانٍ آخرَ . وأن ألْهمنَا دقةَ الصناعةِ الهندسيةِ ، ومعرفةَ الأشكالِ الفلكيةِ من اتخاذِ المنازلِ وجمع الذخائرِ فيها . وحلَّلَ لنَا الأكلَ من كلِّ الثمراتِ وأزْهارِ النباتِ ، وجعل ما يخرُجُ من بطوننا شَراباً حُلوًا فيه شفاءٌ للناس وجعل بِنْيةَ جسدِنَا ثلاثةَ مفاصلَ ، فوسَطُ جسدنَا مربعٌ مكعبٌ ، ومؤَخرهُ مُعْوَجٌ مخروطٌ ، ورأسُنَا مُدوّرٌ مبسوطٌ . وركّبَ فى وسطِ أَبدانِنَا أَربعَ أرجلٍ ويدَين مُتناسباتِ المقادير كأضلاعِ الشكلِ المسدّسِ

فى الدّائرةِ ؛ لِنَستعين بها على القيامِ والقعودِ ، ونَقدِرَ على بِناء منازِلنا ، وهى مسدّساتٌ . وجعل الله على كَتِفِى أربعةَ أجنحةٍ حريريةِ النسيجِ . وجعل مؤخّرَ بَدَنى مَخروطىّ الشكلِ مُجوّفاً مملوءاً بالهواء ليكونَ موازِناً لِثِقَلِ رَأسى فى الطيرانِ ، وجعل لى حُمَةً حادّةً كأنها شَوكةٌ أُخوّفُ بها أعدائى ، وجعل رَقبتى خَفيفةً ليَسهلَ بها علىّ تحريكُ رأسى ، وجعل فى جَنبَىّ عَينين برّاقتَينِ لإدراكِ المبصَراتِ ، وأثبتَ على رأسى شِبهَ قرنين لَطيفينِ لإحساسِ المَلموساتِ ، وفَتح لى مِنخَرَينِ لإحساسِ المشْموماتِ ، وجعل لى فماً مفْتوحاً فيه قُوّةٌ ذائقةٌ أتعرّفُ بها لونَ الطعامِ والطيِّباتِ من المأكولاتِ والمشروباتِ ، وجعل لى مِشْفرَيْنِ أَجمعُ بهما من ثَمرِ الأشجارِ رُطوباتٍ لَطيفةً ، وجعل فى جوْفى قُوّةً جاذبَةً وماسكَةً وهاضِمةً وطابِخةً ومُنْضِجةً . تُصيِّرُ تلكَ الرُّطوباتِ عَسلاً . »

« فمِنْ أجلِ هذه النِّعمِ صِرْنا شاكرينَ مُشفقينَ على رَعيّتنا : لأنّا لهم كالرأسِ من الجسدِ ، وهم لنا كالأعضاء من البدنِ . ولهذا السببِ اخترتُ مَجيئِى بنفسى رسولاً ونائباً وزعيماً عن رَعِيتنا . »

قال الملك : « أَيْنَ تأْوُونَ ؟ » قال : « فى رُءوسِ الجبالِ والتلالِ و بين الأشجارِ . ومِنّا مَنْ يجاوِرُ بَنى آدم . » قال : « كيف عشرتهم وكيف

تسلمون منهم ؟ » قال : « أما من بَعُدَ منا عن ديارهم فيسلم على الأكثر، وربما يجيئُون إلينا ويتعرضون لنا بالأذى ، فإذا ظَفِروا بنا خَرَّبوا منازِلنا ، ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ، ويأخذوا مَساكِننا وذَخائِرَنا . » قال : « كيف صبرُكم عليهم ؟ » قال : « صبرُ المضطرِّ تارةً كرهاً ، وتارةً رِضًى . وإن غضِبنا وتباعدنا عن ديارِهم جاءوا يَترَضَّوْننا بالهدايا : من العِطر والدِّبس والتمر ، والحِيَل : من أصوات الدُّفوف والطبول والمزامير . وعملُهم مثل عمل الطَّرَّارين الذين يُعطون الزَّبيب والجوْزَ إلى الصِّبيان ، ويأخذون منهم أثوابهم ودراهِمهم . ومع هذا لا يَرْضوْن عنّا حتى يدَّعوا أننا عبيدٌ لهم ، وهم مَوالٍ وأَربابٌ لنا بغير حُجةٍ ولا برهان ؛ إذ نحن غيرُ محتاجين إليهم ، وهم محتاجون إلينا مثل ما يحتاجُ الخدم إلى السيِّدِ والله المستعانُ . أقول قولى هذا وأَستغفِرُ الله لى ولكم . »

# ٦٦ — بين الإنسان والحيوان

## ( ٣ )

قال الملك : « يا معشرَ الإنسِ ! سمعتم شكايةَ هذه المخلوقاتِ من جَورِكم ، ونحن قد سمعنا ادعاءكم عليها الرقَّ والعبوديةَ ، وهى تأبى ذلك وتجحَدُه ، وطالبتُكم بالدليلِ على دَعواكم ، فأوردتم ما ذكرتم ، وسمعنا ما أجابوكم به ، فهل عندكم شىءٌ آخرُ غير ما ذكرتم ؟ فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقينَ ! ! »

فقام زعيمٌ من رؤساء الرومِ ، فقال بعد خُطبةٍ وتحميدٍ طويلٍ : « نعم أيها الملك ! لنا خِصالٌ محمودةٌ ، ومناقِبُ جَمَّةٌ ، تدلُّ على ما ذكرْنا » قال : « ما هى ؟ » قال : « كثرةُ عُلومِنا . ودِقةُ تمييزِنا ، وجَودةُ فِكرِنا وسياستِنا وتدبيرِنا ، وتعاوُنُنَا ، فى الصناعة والتجارةِ . . . كلّ ذلك دليلٌ على أنَّا أربابٌ لهم ، وهم عَبيدٌ لنَا . »

فقال الملك للحضورِ من الحيواناتِ : « ما تقولونَ ؟ » فأطرَقَت الجماعةُ ساعةً متفكّرةً فيما قال الإنسىُّ ، ثم تكلم أميرُ النحْلِ فقال بعد خُطبةٍ :

« يزعُم هذا الإنسىّ أن لهم عُلوماً وفكراً وسياسةً . ولو أنهم فكَّروا فى أمرِنا لَبانَ لهم أن لنا عِلماً وتمييزاً وفكراً وسياسةً أدقّ وأحكمَ مما لهم ، فمن ذلك اجتماعُ النحلِ فى قُراها ، وتمليكُها رئيساً واحدًا عليها ، واتخاذُها البُيوتَ

المُسَدّسات مِن غيرِ بِركَارٍ ولا معرِفةِ هندسةٍ ، وترتيبُها البوّابينَ والْحُجّابَ والْحرّاسَ ، وكيف تذهب إلى المرْعى أيامَ الرّبيعِ وليالى القمر فى الصيفِ ، وتجمع الشّمْعَ بأرجُلِها ، والعَسلَ بمشافرها ، وتبِيضُ فى بعض البيُوتِ ، وتحضُنُ وتفرِخُ ، وتقْتاتُ من العسل المخزُونِ هى وأولادُها يوماً بيوْمٍ بلا إسرافٍ ولا تقْتِيرٍ . »

« وذلك دَأْبُها من غير تعليمٍ ولا تأديبٍ ولا تلقينٍ . ولو عَلِمَ الإنسىُّ حالَ النملِ وكيف تتخذ تحتَ الأرضِ منازِلَ وأزِقةً ودهاليزَ وغُرَفاً وطبقاتٍ ومُنعطفاتٍ ، وكيف تَملأُ بعضَها حُبوباً وقُوتاً للشتاء ، وتجعلُ بعضَ بيوتِها مُنخفِضاً كى تجرى إليها المياهُ ، وبعضَها مُرْتفِعاً ، وتجعلُ الحبَّ فى بيوتٍ مُنعطفاتٍ حذَرًا عليها من المطرِ ، وتقطعُ الحبةَ نِصفَين ، وتقشّرُ الشعيرَ والباقِلاَّ والعدَسَ لِعلمِها أنها لا تَنبُتُ من التقشيرِ . وإذا وجَدَت واحدةٌ منها شيئاً لا تقدر على حملِهِ أخذَت منه قدرًا ما ، وذهبَت راجعةً مُخبرةً الباقينَ ، وكلما استقْبَلتْها واحدةٌ شمّتْ مِما فى فيها لتَدُلهَّا على ذلك الشىء ، ثم تجتمع كلُّها وتتعاون على حمله  وإذا توانت واحدةٌ فى العمل أو التعاونِ قتلتْها لتكونَ عِبرَةً لغيرِها . »

فلما فرغ أميرُ النّحل من كلامه قال له الملك : « بارك الله فيك من حكيمٍ ما أعلمك ! ومن خطيب ما أفصحك ! ومن مبين ما أبلغك !

ثم قال : « يا معشر الإنس ! قد سمعتم ما قال ، فهل عندكم شيء آخر ؟ »
فقام أعرابيٌّ وقال : « لنا خصالٌ تدلُّ على أننا أربابٌ وهم عبيد لنا . »
قال الملك : « اذكرْ منها شيئًا ما . » قال : « نعم . طِيبُ حياَتِنا وما فيها منَ الولائم والأعراسِ والرَّقص ، وطيِّباتُ مأْكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذِّ وما لهؤلاء معنا شركةٌ فيها . وذلك أن طعامنا لُبُّ الثمار ولها قشورها ونَواها ، لنا لُبُّ الحبوب ولها تِبْنها وورقُها ، ولنا بعد ذلك ألوان الخبزِ والرُّغفان والأقراص والحلوى والقطائف ، وألوانُ الأشربةِ ، وألوانُ الألبانِ والسمن والزُّبد وما يعملُ من ألوانِ الطَّبيخ والملاذِّ والمشتهياتِ ، ولا يحصى كثرةَ ذلك إلا اللهُ ، وكل ذلك عنهم بمعزل ، مع خشونة طعامهم وقلة الرائحة الطيبة فيه ، وقلة دسومته وحلاوته ، وذلك دليل على قلة لذتهم منه . وهذه الخصال للعبيد ، وتلك حال أرباب النعم الأحرار ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد لنا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . »

فنطقَ عند ذلك زعيمُ الطيورِ وهو الهزَارُ — وكان قاعدًا على غصن شجرةٍ يَترَنَّمُ — فقامَ وقال :

« الحمدُ للهِ الواحد الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، القديمِ الأبَدِى الدائمِ السَّرمَدى . اعلم أيها الملك الكريمُ أن هذا الإنسىَّ افتخرَ بِطيب

مأكولاتهم ولَذيذ مشروباتهم ، ولا يدرى أن ذلك كلّه عُقوباتٌ لهم ، وأسبابُ الشقاوةِ والعذابِ الأليم . إن فى حرامها عذاباً ، وفى حلالها حساباً ، وهم فيما بينهما من الخوفِ والرَّجاء . »

قال الملك « وكيف ذلك ؟ بيِّن لنا . »

قال : « نعم ؛ إنهم يَجمعون ذلك ويُحصِّلونه بِكَدٍّ أبدانهم ، وتعب نفوسهم ، وجَهد أرْواحهم ، وعرَق جَبِينهم ، وما يَلقَوْنَ فى سبيله من الشقاوةِ والهوانِ لا يُعَدُّ ولا يُحصى : من كدِّ الحرْثِ والزرعِ وإثارةِ الأرض وحفْرِ الأنهار ، والجُهدِ والعَناء ، واكتسابِ الأموالِ والدراهم وتعلُّم الصناعاتِ والمكاسبِ المتعِبَةِ للأبدانِ ، والأعمالِ الشاقَّةِ على النفوسِ ، والذَّهابِ والمجىء فى الأسفار البعيدةِ فى طلبِ الأمتعةِ والحوائج ، والجْمعِ والادِّخارِ والاحتكار ، والإنفاقِ بالتقدير مع مُقاساةِ البخل والشحِّ . »

« فإن كان الإنسىُّ جَمعها من حلالٍ وأنفقها فى وَجهِ الله فلا بد من الحسابِ ، وإن كان من غير حِلٍّ وأنفقها فى غيرِ وَجه الله فالوَيلُ والحسابُ والعذابُ ، ونحن بِمَعْزِلٍ من هذه كلّها ؛ وذلك أن طعامَنا وغِذاءنا هو مما تُخْرِجهُ الأرضُ من أمطار سَمائِها بلا كَدٍّ ولا تعبٍ لأبداننا ولا عَناءٍ من نفوسِنا ولا نَصَبٍ من أَرواحنا ، ولا نحتاجُ إلى بَذْرٍ ولا حَصادٍ ولا

دراسٍ ولا طَحْنٍ ، ولا خَبْزٍ ولا طبخٍ ولا شِواءٍ ، وهذه كلُّها علاماتُ الـكِرامِ الأحرارِ . »

« وأيضاً إذا أكلنا قُوتَنا يوماً بيومٍ تركنا ما يَفضُلُ عن حاجتنا بمكانِه لانحتاج إلى حفظِه ، ولا نحتاج إلى خازِنٍ ولا حارسٍ ولا احتكارٍ إلى وقت آخرَ ، لانخاف لِصاً ولا قاطع طريقٍ ، ننام فى أماكِننا وأوطاننا وأوكارنا بلا بابٍ ولا غلَقٍ ، آمنينَ مُطمئنينَ وادعين مستريحين. وهذه علامات الأحرارِ ، وأنتم عنها أيها الإنس بِمَعزِلٍ . »

« وأيضاً فإنَّ لـكم بكلِّ لذةٍ ذكرتم من فنونِ مَا كولاتكم وألوانِ مشروباتِـكم فُنوناً منَ العُقوباتِ وأنواعاً من العذابِ مما نحن بِمعزِلٍ عنهُ من الأمراض المختلفةِ ، والعِلَلِ المُزمِنةِ والأسقامِ المهلِـكةِ . »

« كلُّ ذلك أصابكم لمّا عصَيتم ربكم وتركتم طاعتَـهُ ونَسِيتم وَصِيَّتَهِ ، فإنَّ أوَّلَ الناسِ آدَمَ « وعصَى آدمُ رَبَّهُ فغَوَى . » ونحن بمعزِلٍ عن هذه كلِّها ، فِمن أين زعمتم أنـكم أربابٌ ونحن عبيدٌ لولاَ الوَقاحةُ والمـكابرةُ وقِلّةُ الحياء . »

قال الإنسِىُّ : « قد يُصِيبُكم يا معشرَ الحيوانِ من الأمراضِ مثلُ ما يُصِيبُنا ، ليس يَخُصُّنا دُونَـكم . » قال زعيمُ الطُّيورِ » إنما يُصيبُ ذلك مَن يُخالِطُـكم منا من الحمامِ والدَّجاجِ والبَهائِمِ والأنعامِ ، أو

مَن هو أسيرٌ فى أيديكم ممنوعٌ من التصرُّفِ برأيِهِ فى أمرِ مَصالِحِهِ . فأما مَن كان منّاً مُخَلًّى برأيِهِ وتدبيرِهِ لمصالِحِهِ وسياستِهِ ورياضتِهِ لِنفسهِ فقلَّ أن تَعرضَ له الأمراضُ والأوجاعُ ؛ وذلك أن الطيورَ ونحوَها لا تأكلُ، ولا تشربُ إلا وقتَ الحاجةِ ، بقدرِ ما ينبغى ، من لونٍ واحدٍ ، وبقدرِ ما يُسكِّنُ أَلمَ الجوعِ ، ثم تستريحُ وتنامُ ، وتمتنعُ من الإفراطِ فى الحركةِ والسكونِ فى الشمسِ الحارةِ أو فى الظّلالِ الباردةِ ، والأقامةِ فى البُلدانِ غيرِ الموافِقةِ لِطباعِها أو أَكلِ المأكولاتِ غيرِ المُلائمة لمزاجها . »

« وشىءٌ آخرُ ذهب عنكم أيها الإنسىُّ . » قال : » ما هو ؟ » قال : « إنَّ أَطيبَ ما تأكلونَ وأَلذَّ ما تشربونَ وأَنفعَ ما تَتداوَوْنَ به هو العسلُ — وهو لُعابُ النحلِ — وليس منكم بل من الحشراتِ ، فبأىِّ شىءٍ تفتخروَن به علينا ؟ »

وأما الذى ذكرتَ بأن لكم مجالسَ اللهوِ واللعبِ والفرحِ والسرورِ ، وما ليس لنا من الأعراسِ والوَلائمِ والرقصِ والحكاياتِ المضحِكاتِ ، والتحيات والتهنئات والمدحِ والثناء والحُلِىِّ والتيجانِ ، والأسْورَةِ والخلاخلِ ، وما شاكَلَها مما نحن بمعزلٍ عنه — فإن لكم أيضاً بكلِّ خَصْلَةٍ منها ضُروباً من العقوباتِ ، وفنوناً من المصائبِ ، وعذاباً أليماً مما نحن بمعزلٍ عنهُ . »

فمن ذلك أَنَّ لكم بإزاء الأعراس المآتمَ ، وبدل التهنئة التعزية ، وبدل الألحان والغناء النَّوْحَ والصراخ ، وبدل الضحِكِ البكاء ، وبدل الفرحِ والسرور الغمَّ والحزن، وبدلَ القصور العالية القُبور المُظلمة ، وبدلَ الرَّقص السياط والعذاب والضرب والعقاب ، وبدل الحلى والتيجان والخلاخيل والأسوِرة القيودَ والأغلال ، وبدل كلِّ حسنة سيئةً ، وبدل كل لذة ألماً ، وبدل كلِّ نعمةٍ بؤساً ، وبدل كلِّ فرح غماً وهما وحزناً ومُصيبة مما نحن بمعزل عنه ، وهذه كلُّها من علامات الأشقياء. وإن لنا بدلاً مِن مجالِسكُمْ وإيواناتِكمْ ومُنادَمتِكم هذا الفضاء الفسيح ، وهذا الجو الواسع ، والرِّياض والخضرة على شطوط الأنهار وسواحل البحار، والطيرانَ على رُءوسِ البساتين والأشجار، والتحليق على رُءوس الجبال ، نَسرح ونروح حيث نشاء من بلاد الله الواسعة ، ونأكلُ من رزق الله الحلال من غير تعب وكد ، ونجد ألوان الحبوب والثمار من غير أذية أحد، ونشرب من مياه الغدران والأنهار بلا مانع ولا دافع ، ولا نحتاج إلى حبْل ولا إلى دَلْوٍ ولا إلى كوز ولا قِرْبة ، مما أنتم مُبتلون به من حملها ، وإصلاحها و بيعها وشرائها، أو جمع أثمانها بكد الأبدان، وعناء النفوس وهموم، القلوب والأرواح ، وكلُّ ذلك من علامات العبيد الأشقياء . فمن أين ثبت أنكم أرباب ونحن عبيد لكم؟ »

ثم قال الملك لزعيم الإنس: « قد سمعتم الجواب، فهل عندكم شيء آخر

من البيان ؟ » قال : « نعم ، لنا فضائل ومناقب تدل على أن هؤلاء عبيد لنا ونحن أَرباب . » قال الملك : « ماهو ؟ هَات البيان والبرهان . »

فقام رجلٌ عِبْرانىٌّ من أهل العراق وقالَ :

« الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والعاقبة للمتقين ، ولا عُدْوان إلاّ على الظالمين : « إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمينَ ، ذُرِّيَّةً بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ . »

« وهو الذى أكرمَنَا بالوَحى والنُّبُوَّاتِ ، والكُتبِ المُنزلات ، والآياتِ المحكمات ، وما فيها من ألوان الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والأوامر والنواهى ، والترغيب والترهيب، من الوعد والوعيد، والمدح والثناء والتَّذْكارِ ، والأمثالِ والاعتبار ، وقصص الأولين والآخرين، وصفات يوم الدين ، وما وعدنا من الجنات والنعيم ، ولنا المنابر والخطب والأذانُ والمواقيتُ والإفاضات ، والإحرام والتلبيات والمناسك ، وما شاكلها . »

« وكل هذه الخصال كرامات لنا وأنتم بمعزل عنها ، وكل ذلك دليل على أننا أربابٌ وأنتم لنا عبيد »

قال زعيم الطيورِ : « لو تذكرت أيها الإنسىُّ ونظرت واعتبرت لعلمت وتبين لك أن هذه كلها عليكم لا لكم . »

قال الملك : « كيف ذلك ؟ بيّنه لنا . » قال : « لأنها كلها عذابٌ

وعقوباتٌ، وغفران للذنوب، ومحو للسيئات، ونهيٌ عن الفحشاء والمنكر، كما ذكر الله تعالى بقوله: « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . » وقال: « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ . » وقال النبي عليه السلام: « صوموا تَصِحّوا . » ونحن براء من الذنوب والسيئات والفحشاء والمنكر، فلم نحتجْ إلى شيء مما ذكرت وافتخرت . »

« ثم اعلم أيها الإنسيُّ أن الأنبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس، ولا يحتاج إلى الطَّبيب إلا المرضى وصاحبُ العلةِ المزمنة . »

« وأمّا الذى ذكرت بأن لكم فى الكُتب آيات محكمات بينات للحلال والحرام والحدود والأحكام، فكل ذلك تعليم لكم، وتأديب لجهلكم وعماكم، وقلة معرفتكم بالنافع والضار، وإن الإنسان كان ظلوماً جهولاً، تحتاجون إلى المعلمين والمرشدين والمُذَكِّرِينَ والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم، ونحن بمعزل عن جميع ذلك؛ إذ قد ألهمنا الله تعالى جميع ما نحتاج إليه من أول الأمر إلهاماً وَوَحْياً، بلا وَاسطة من الرسل وَلا نداء من وَراء حجاب، كما أُوحى إلى النحل بقوله تعالى: « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا . » وَكما قال تعالى: « كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ . »

« وَاعلم أيها الغافلُ الإنسىُّ أن الله تعالى قال فى إنسيٍّ منكم قتل أخاه

ظلماً ولم يستطع أن يدفنَه : « فبعثَ اللهُ غُراباً يبحثُ فى الأرضِ لِيُرِيَه كيف يُوارى سَوأَةَ أخيهِ . قال يا وَيْلتا أَعجزْتُ أن أكونَ مِثلَ هذا الغُرابِ فأُوَارِيَ سَوأَةَ أَخى ، فأصبَحَ من النَّادمينَ . » وليته ندم على ذنبهِ وخطيئتِه ! ولكنه ندمَ على عمَى قلبـه وغفلةِ ذهنِه ، وعجزه — وهو من ذوى الألبابِ — عن مُساوَاةِ الغرابِ . »

« وأما الذى ذكرتَ بأن لكم أعياداً ومواسمَ وذَهاباً إلى بُيوتِ العبَاداتِ ، وليس لنا شىء من ذلك ، فاعلم أنكم لو كنتم مُهذَّبِى الأخلاقِ مُعاونِى الإخوانِ عند الشدائدِ ، وكنتم كنفْسٍ واحدةٍ فى مصالحِ أُمورِكم مَاوجبت عليكم الأعيادُ ، واجتماعُ الْجُمُعاتِ . فمن الاجتماعِ تتكون الصداقةُ ، والصداقةُ أُسُّ الأُخُوّةِ ، والأخوّةُ أسُّ المحبّةِ ، والمحبّةُ أسُّ إصلاحِ الأمورِ ، وإصلاحُ الأمورِ أسُّ صلاحِ البلادِ ، وفى ذلك بقاء العالَمِ ، وبقاء النَّسل . »

« فالهذا أَمرَت الشريعةُ أن يجتمعَ الخلائقُ فى السنةِ مرّةً إلى موْضعٍ مخصوصٍ ، وفى كلِّ أسبوعٍ مرّةً إلى مواضعَ مخصوصةٍ ، وفى كلِّ يوْم خمسَ مرّاتٍ فى المساجدِ ليحصُلَ الغرضُ المطلوبُ . »

« وليس لنا شىء من ذلك لأننا لانحتاج إليه ، فالأماكنُ كلُّها لنا مساجدُ ، والجهاتُ كلها قِبلةٌ ، أينما توَجَّهنا فثَمَّ وجهُ اللهِ ، والأيامُ كلّها

لنا جُمُعاتٌ وأعيادٌ ، والحركاتُ كلها صلَوات وتسبيحٌ ، فلم نحتَجْ إلى شىء مما ذكرت ؛ إذ الصلاةُ عبارةٌ عن طهارةِ القُلوبِ من خَبَث الحقدِ ونجاسةِ الشكّ ، وتقرُّبٌ إلى الله تعالى بخالصِ النيّةِ ، وصحّةِ الاعتقادِ . »

«فإذاحصَلت هذهالأفعالُ المخصوصة تسمىصلاةً . ونحن مشغولون بهذه أينما تولّينَا فثَمّ وجهُ الله ، وترانا مجتمعين فى جميع أوقاتنا ، ولا نَشتغلُ بأذيّةِ أبناء جِنسنا ، مع قيامِنَا بمصالح الإخوانِ ، وقعودنا عن الشّتْمِ والمفسَدَةِ ، وهذه خصائصنا ، فلَسْنا محتاجين إلى شىء مما ذَكرْتم وافتخرتم به علينا . »

فلما فرَغ زَعيم الطيورِ من كلامه ، نظر الملك إلى جماعةِ الإنس الحاضرين وقال : « قد سَمِعتمْ ماقالَ الطير ، وفهمتم ما ذَكرَ فهل عندكم شىءٌ آخرُ ؟ فاذكرُوه وبيِّنوه إن كنتم صادقين . »

فقام عند ذلك العِراقِىُّ وقال : الحمد للهِ خالقِ الخلقِ ، وباسطِ الرِّزقِ ، وسابغِ النِّعم ، الذى أكرَمنا وأنعم علينا فى البرِّ والبحرِ ، وفَضَّلنا على كثيرٍ ممن خلقَ تفضيلاً . »

« نعم أيها الملكُ لنا خِصالٌ أُخَرُ ، ومناقِبُ ومواهِبُ وكراماتٌ ، تدلُّ على أننا أربابٌ لهم وهم عَبيدٌ لنا ؛ فمن ذلك حُسْن لباسِنا ولينُ ثيابنا ، وسَتْرُ عَوْراتنا ، ودِفْء عظامِنا ، ومحاسِنُ زينتنا من الحريرِ والدِّيباجِ

والخزِّ والقزِّ والقطنِ والكتانِ ، وألوان الفراء والأكسيةِ من البُسُطِ والمخادِّ والفرُش وما شاكلها ، مما لا يُعدُّ كثرةً . وكلُّ هذه المواهِب دليلٌ على ما قُلنا بأننا أربابٌ لهم ، وهم عبيدٌ لنا ، وإنَّ خُشونةَ لباسها ، وغِلَظ جلودها ، وسَماجة دِثارها ، وكشْف عوْراتِها ، لدليلٌ على أنها عبيدٌ لنا ونحن أربابُها ومُلاّكها . »

فلما فرغَ الإنسيُّ العراقِيُّ من كلامه . نظر الملك إلى طوائفِ الحيوانِ الْحضورِ وقال : « ماذا تقولونَ فيما ذكرَه وافتخرَ به عليكم ؟ إنْ كان لكم جوابٌ فأتوا به . » قالوا : « لنا جوابٌ أجوَدُ وأحكَمُ من ذلك »
وقام بعد ذلك زعيمُ السِّباعِ وهو كليلةَ أخو دِمْنةَ فقال :

« الحمد لله القويِّ العلاّمِ ، خالقِ الجبالِ والآكامِ ، ومنشئِ النباتِ والأشجارِ فى الغياضِ والآجامِ ، وجاعِلِها أقواتاً للوحوشِ والأنعامِ ، وهو العلى الأعلى ، خالق السباع ذوات البأس والشجاعة والإقدام ، ذوات الزنود المتينة ، والمخالب الحِداد ، والأنيات الصلاب ، والأفواه الواسعة ، والقفزاتِ السريعة ، والوثبات البعيدة ، المنتشرات فى الليالى المظلمات للمطالب والأقوات ، وهو الذى جعل أقواتها من جيف الأنام ، ولحوم الأنعام ، متاعاً إلى حين ، ثم قضى على جميعها بالموت والفناء ، والمصير إلى البِلى ، فله الحمد على ماوهب وأعْطى ، وعلى ماحكم به الصبرُ والرِّضا . »

ثم التفت زعيم السِّباع إلى كافة مَن هناك من حُكماء الجن وزعماء الحيوانات وقال : « هل رأيتم يامعشر الحكماء ، أو سمعتم معشر الخطباء أكثر سهواً وغفلة من هذا الإنسى ؟ » قال الجماعة : « وكيف ذلك ؟ » . قال : « لأنه ذكر من فضائلهم حسن اللباس ولين الثياب والدثار »

ثم قال: «أيها الإنسى اخبِّرْنى هل كان لكم هذا الذى ذكرْتموه وافتخرتم به إلا بعد ما أخذتم عن غيركم من سائر الحيوانات ، واستعرتموها من سواكم من السباع وغلبتموها عليها ؟ » قال الإنسى :« ومتى كان ذلك ؟ » قال : « أليس ألين ماتلبسون وأحسن ماتزيِّنون بهِ من اللِّباس والحرير والدِّيباج الإبريسم . » قال : « بَلَى . » قال : أليس ذلك من لُعاب أضعف الحيوانات ؟ بل هى من جنس الهوامِّ ، وقد نسجتها على نفسها ليكون حصْنا لها ، ولتنام فيها ، وتكون لها غِطاء ووِطاء ، وحِرْزاً من الآفات والحرِّ والبرد ، والرياح والأمطار وحوادث الأيام ، ونوائب الزمان ، فجئتم أنتمْ وأخذتموها قهراً وغلبْتموها عليها جبراً وجوْراً ، فعاقبكم الله بها وابتلاكم بفتلها وغزلها ونسجها وخياطتها ، وقطعها وتطريزها وما شاكل ذلك من العناء والتعب والشقاء الذى أنتم به مُبتلون ، فلا راحة لكم ولا قرار ، ولا سكون ولا هدوء فى دائم الأوقات . »

« وهكذا حكمكم فى أخذكم أصوافَ الأنعام وجلود البهائم وأوْبارَ

السِّباعِ وشُعورَها وَرِيشَ الطيور ، كل ذلك أخذتموه قهراً ، ونزعتموه غصباً ، وغلبتموها عليه ظلماً وجَوْراً ، ونسبتموه إلى أنفسكم بغير حقٍّ ، ثم جئتم تفتخرون به علينا ، ولا تستحون ولا تعتبرون ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولـكم . »

فلما فرغ زعيم السِّباعِ من كلامه قال حكيمٌ من الجنِّ : « صدق هذا القائلُ فيما قال . » وقالت الجماعة كلها : « صدق الله الحكيمُ فيما قال » فخجلت جماعة الإِنْسِ عند ذلك ، ونكست رءوسَها حَياءً وخجلاً مما سمعت من التوبيخ والتعريض ، وانقضى المجلس ونادى منادٍ : « انصرفوا مُكرَّمين لتعودوا غداً آمنِين مُطمئنين . »

ولما كان الغد جلس الملك مجلسه ، وحضرت الطوائف كلها واصطفت ، فنظر الملك إلى جماعة الإِنسِ وقال : « قد سمعتم ما جَرَى وما ذكرتم ، وسمعتم الجواب عما قلتم ، فهل عندكم شىء آخر غير ما ذكرتم بالأَمْس ؟ » فقام عند ذلك الزعيم الفارسىُّ وقال : « نعم أيها الملك العادل ! إِنَّ لنا مناقبَ أخر ، وفضائل جمةً ، وخصالاً عدةً تدلُّ على صحة ما نقول وندعى . » قال الملك : « هات واذكر منها شيئاً . » قال : « نعم . » ثم قال :

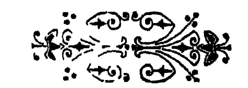
« الحمد لله الذى اختلفت الْحُكَماءُ فى أسمائهِ ، واتفقت فى وُجودِهِ

وقِدَمِه ، الذى أوْجد الخلائقَ بقُدْرته ، وخصّ من بينهم آدمَ وأولادَه برحمتِه ، وشرّفهم تشريفاً بخِلْعةِ الإيمانِ ولباسِ الكرامةِ من بين سائر الحيوانات ، وألهمَهم طريقَ الهُدَى ، كما قال تعالى : « وَلقد كرّمْنا بَنِى آدمَ وحَملناهم فى البرِّ وَالبحْرِ ، وَرَزَقناهمْ من الطَّيِّباتِ ، وَفضّلناهم على كَثيرٍ مِمّن خلقنا تفْضِيلاً . » والصلاةُ على خيْرِ خلقهِ وَصفْوَةِ أنبيائِهِ مُحمّدٍ وَآلِهِ . »

« أما بعد ، فاعلم أيها الملكُ أن منّا الملوكَ والأمراء والخلفاءَ والسّلاطينَ ، وأن منّا الرُّؤساء والوُزَرَاء ، والكتّابَ والعمالَ ، وأصحابَ الدوَاوينِ والحُجّابَ والقوّادَ ، وخدَمَ الملوك وأعوانَهم من الجنودِ . ومنّا أيضاً التُّجارُ والصُّنّاعُ وأصحاب الزّرعِ والنّسْلِ . ومنّا أيضاً الأشرافُ والأغنياء وأربابُ النِّعمِ وأصحابُ المروءاتِ . ومنّا أيضاً الأُدباء وأهلُ العلمِ والورعِ وأهلُ الفضلِ ومنّا أيضاً الخُطباء والشعراء وَالفصحاء وَالمتكلمونَ وَالنحويُّونَ وأصحابُ الأَخبارِ ، وَرُواة الحديثِ والقرّاء وَالعُلماء وَالفقهاء وَالقضاةُ ، والحُكامُ وَالعدُولُ ، وَالمزكُّونَ وَالحكماء وَالمهندسونَ وَالمنجِّمون ، وَالطّبيعيُّونَ وَالأَطباء ، وَالعرّافونَ وَالكهنَةُ وَالكيميائيُّونَ ، وَأصحابُ الأَرصادِ وَأصنافٌ أخر يطولُ شرحُها ، وَكلٌّ هذه الطوائفِ وَالطبقات لهم أخلاقٌ وَسجايا ، وَطبائعُ وَشمائلُ ، ومناقبُ وَخِصالٌ

حسنةٌ ، ومذاهبُ حميدةٌ ، وعلومٌ وصنائع حسان مختلفةٌ مُتَفَنِّنَةٌ ، وكلٌّ هذه لنا وغيرُنا من الحيوانِ بمعزِلٍ عنها . فهذا دليلٌ بأننا أربابٌ لها وهى عبيدٌ لنا . وَفِى الجملةِ قِوامُ العالمِ وبقاؤهُ بِنا وبوُجودِنا من غيرِ شكٍ . »

فلما فرغ الفارسى من كلامه أُعجب القضاة وجميع الحاضرين . وقال الملك : « الآن حصحص الحق ، وصدق الله الذى فضل الإنسان على الحيوان وعلى كثير من المخلوقات الأخرى . فيأيها الحيوانات أنتم أعوان الإنسان فأطيعوه ، ولا تعصوا له أمرا ، ويا بنى آدم أنتم سادة الحيوان فعاملوه بالرفق ، ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحِبُّ المعتدين . »



# معجم الكلمات الصعبة

## وهو مرتب بحسب ترتيب الدروس

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| ١ آيات قرآنية | البهجة | المنظر السار |
| | يعلون | أى يحيدون عن الحق فيشركون مع الله غيره |
| | قرارا | للاستقرار عليها |
| | خلالها | فيما بينها |
| | الرواسى | الجبال الثابتة |
| | السوء | الضر أو الجور |
| | بين يدى | قبل |
| | رحمته | الغرض من الرحمة هنا المطر |
| ٢ قصة أصحاب الكهف | ساهما | عابسا |
| | تهادى | تهادى فى مشيته : تمايل وتباطأ |
| | النِّجار | الأصل |
| | ظهيراً للمشركين | عونا لهم |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | صبأ عن دينه | خرج منه الى دين آخر |
| | النِّطع | بساط من الأديم أى الجلد |
| | الإرجاف | الخوض فى أخبار الفتن ونحوها |
| | نصمُد | نقصد ونديم القصد |
| | تهيمون | هام على وجهه : سار على غير هدى وهام بها: أحبها |
| | الغارب | الكاهل وما بين السنام والعنق. واذهبي حبلك على غاربك أى الى حيث شئت |
| | أشلاء | جمع شِلو وهو العضو |
| | خلصوا الى أنفسهم | خلوا وأنفسهم |
| | نرادعلى دين | نرغم على اتباعه |
| | لمحهم | لمحه ببصره اختلس النظر إليه |
| | السكرى | النوم |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الكُوَّة | ثقب البيت وجمعه كُوًى |
| | تطفُل | طفلت الشمس دنت لغروب |
| | ظهروا علينا | انتصروا وغلبونا على أمرنا |
| | الأطلال | جمع طَلَل وهو ما بقى من آثار الديار |
| | الوُجوم | العبوس لشدة الحزن |
| | دَلَفوا | دَلَف اليه يَدْلِفُ = أسرع |
| | الافتراء | الاختلاق والادعاء زوراً |
| | خفّ | أسرع |
| | عنا | خضع |
| | الساعة | ساعة البعث والقيامة |
| | علبوا على أمرهم | كانت لهم الغلبة |
| ٣ ثقة أمين | ريعان قوته | عنفوان شبابه وترعرع فتوته |
| | العيوف | الأبى الذى يأبى الضيم |
| | الضَّعة | المهانة والذلة |
| | لا يصدرون عن الرأى | لا يعملون بمقتضاه |
| | التمحيص | الاختبار والبحث الدقيق |
| | حُظوة | منزلة رفيعة |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الكِنّ | السُّترة والبيت |
| | تُذْكَى | تُشعِل وتُوقد |
| ٤ كرم كافور الأخشيد وأدبه | أدبار الصلوات | عقبها |
| | أنفذ | أرسل |
| | بعلة | بسبب مادى |
| | الثرى | التراب |
| | تلاشى | ذهب وانقطع أثره |
| | أضربت | أمسكت وامتنعت |
| ٥ ملجأ الحرية | نُنْشر | نحيا ونُبعث |
| | عرا | ألم ونزل |
| | الحَدَب | العطف وسكّن للشعر |
| | الأتراب | اللدات والنظراء مفرده تِرب |
| | العارفة | العطية والمعروف |
| | المحنة | ما يمتحن به الانسان من بلية |
| | المقدار | القدر |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | أراده على الأمر | حمله عليه |
| | لاتزدرى | لا تحتقر |
| | أنشرت | أحييت |
| | العُرا | المراد بها صلات المحبة واحدها عُروة |
| | ذاد | دافع |
| | الذرا | جمع ذِروة وهى أعلى الشيء |
| | ونى | أبطأ |
| | كفَله | قام بأمره |
| | الفرا | الحمار الوحشى |
| | الغيل | الشجر الكثير الملتف |
| | الشرى | مكان بجانب الفرات يضرب بآساده المثل |
| | العدم | الفقر |
| ٦ | قريرة | باردة أو مستقرة والمراد فرحة مسرورة |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| الأفاق وأثرها فى الأخلاق | تحيل | تحوّل |
| | اللّحِز | البخيل الضيق الخُلْق ومثله اللّحْزَ |
| | الخطب | الأمر الهام |
| | لا تأباها | لا تنكرها ولا تمتنع من سماعها |
| | غَرَد الأطيار | تغريدها أى غناءها بصوت مطرب |
| | المجون | ألا يبالى الانسان ماصنع |
| | أودت | هلكت |
| | أقلع عن الشىء | كفّ عنه |
| ٧ مصطفى لطفى المنفلوطى | النبعة | شجرة تتخذ منها القسى ومن أغصانها السهام |
| | العترة | عترة الرجل نسله ورهطه الأدنون |
| | النبوة | البعد والنفور |
| | يصدِفون | ينصرفون |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | العبقرية | صفه العبقرى وهو الكامل الذى ليس فوقه أحد |
| | الديباجة | فى الأصل الخد والمراد هنا مقدمة الموضوع ومفتتحه |
| ٨ يوم العيد | غَرِيرة | غير مجربة |
| | يستفزها | يثيرها |
| | رجعت أدراجها | عادت فى الطريق الذى جاءت منه |
| | الْجَزَع | القلق والإشفاق |
| | برحت | ذهبت = غادرت |
| | يترسم | يتتبع |
| | المرتعدة | المرتعشة |
| | جَمد | وقف ساكناً ساكناً |
| | يرفضّ | يتساقط بكثرة |
| | المروج | جمع مَرْج وهو مرعى الدواب |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الأنداد | النظراء |
| | يعللونهم | يسلونهم |
| | النزر | القليل |
| | كاسفة البال | حزينة والبال القلب |
| | المَتْرَبة | الفقر |
| | المترقرقة | الدمع المترقرق الحائر الذى يجىء ويذهب فى الْحملاق |
| | الأرزاء | جمع رُزْء وهى المصيبة |
| ١٠ معاوية وليلى الأخيلية | روّعه يروّعه | أخافه وأزعجه |
| | حَدر | أنزل |
| | اللثام | ما كان على الفم من النقاب |
| | ما تأنى | ما تتأنى = لا تبطىء |
| | البغى | الظلم |
| | سَبط البنان | سخى اليد |
| | حديد اللسان | فصيح المقال قوى الحجة |
| | شجى الأقران | عظمة فى حلوق أعدائه |
| | القرم | الفحل والسيد |

| البيت | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | ألد مُلِد | أشد المتخاصمين خصومةً |
| | الغوائل | المصائب مفرده غائلة |
| | أرْغَى بعيره | حمله على أن يرغو أى يصوِّت |
| | الـكُنْه | الحقيقة الذاتية والنهاية |
| | السم الزعاف | المهلك القتال |
| | لا تُصاب | لا تُشْفَى |
| | بهونة | بتؤدة وتدبر |
| | الخِرق | السخى الـكريم |
| ١١ | تبرجت | أظهرت زينتها ومحاسنها |
| الرثاء | الخفر | شدة الحياء |
| | الآلاء | النعم ، مفرده إلْى وإلًى بفتح الهمزة وكسرها فيهما وألْوٌ |
| | نثير | منثور |
| | الَجمَد | الثلج والماء الجامد |
| | الأمْلود | الناعم اللين من الناس والغصون |

| البيت | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الانتزاء | التحمس وشدة السورة |
| | الأيك | الشجر الكثير الملتف مفرده: أيكة وهى الشجرة أو الغيضة أى الأجمة |
| | تنبجس | تنفجر فيخرج منها الماء بقوة |
| | كَلَب الشتاء | شدة برده |
| | السمات | الصفات ، مفرده : سِمَة |
| | الشيات | العلامات مفرده : شِية |
| | العبير | أخلاط من الطيب فيها الزعفران |
| | النفحة | الرائحة المنتشرة |
| | راحاً | الراح الخمر |
| | وُرق | جمع ورقاء وهى الحمامة |
| | مهدَّلة | متدلية |
| | العِطف | الجانب |
| ١٢ | يراجح | يغالب |
| علو الهمة | الطِّلاب | المغالبة والسعى |
| | الثراء | الغنى |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | العَناء | المشقة |
| | المَعْجزة | العجز والضعف |
| | أضنوا | أضعفوا وأثقلوا |
| | المناهج | الطرق والمسالك الواضحة |
| | الدرب | الطريق |
| | أخلق بذى الصبر | ما أخلقه وأحقه |
| | مدمن | مُدِيم |
| | ولج | دخل |
| | تهيَّب | تهيَّب الأمر خافه |
| | تبوئه | تُنزِله = تمنحه منزلا |
| | السؤدُد | الشرف والسيادة |
| ١٣ من وطن العرب | الحمام | الموت |
| | جحفل | جيش عظيم |
| | الأبلق | فرس أو غيره فى لونه سواد و بياض |
| | سامه الخسف | أولاه الذل وأرغمه عليه |
| | الثُّكل | فقد الولد |
| | تَسبي الذريه | تأسر النسل |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | عقد له على جميع العرب | جعَله أميراً عليهم |
| | الشهباء | أصل معناها التى غلب بياضها على سوادها من الخيل وغيرها وهو وصف غلب على إحدى كتائب الجيش العربيــة |
| | الأساورة | المراد القيود |
| | أفتُدلج علىّ | أفتأتى السجن بالليل |
| | يحول | يقضى حولاً أى سنة |
| | الثنايا | الأسنان الأربع فى مقدم الفم مفرده ثَنِيَّة |
| | يوسع الناس | يغنيهم ، ويكفيهم |
| ١٤ إبرة المغاطيس | تنتحى الشمال | تتجه نحوه |
| | شطر معدنها | نحو أصلها الذى عنه نشأت |
| | النَّهج | الطريق الواضح |
| | قُدُماً | إلى الأمام |
| | شية | كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره |

| الدرس | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| | الغائلة | النازلة تصيب الانسان من حيث لا يدرى |
| | بصيص | بريق |
| | غيلان | جمع غُول |
| ١٥ مع الفراعنة فى طيبة الأحياء | لحـود | جمع لَحْد وهو المكان الذى يدفن فيـه الميت داخل القبر |
| | أجداث | جمع جَدَث وهو القبر |
| | الدوارس | جمـــع دارس وهو ما ذهبت آثاره |
| | سحيق | متوغل فى البعد |
| | الوهم | الخيال |
| | طرفا من تاريخهـا | جزءاً منه |
| | تضاءل | صغر |
| | البَهْر | العَجَب |
| | عريق فى القدم | متمكن منه وآخذ منه بأسباب متينة |
| | هامات | رءوس |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | تداعت | تساقطت |
| | التحديق | النظر بدقة |
| ١٦ البدو والحضر | استنامو ا | اطمأنوا |
| | الهيعة | الصوت المفزع المخيف الصادر من عدو |
| | غارُّون | غافلون |
| | أبى مثواهم | حاميهم |
| | انتباذهم | اعتزالهم |
| | الغِرار | القليل من النوم وغيره |
| | الأقتاب | جمع قَتَب وهوالإكاف أى البردعة الصغيرةعلى قدرسنام الجمل |
| | مدِّلين بيأسهم | واثقين بقوتهم |
| | مشاريع السبل | الطرق المشروعة أى المنفتحة المستقيمة |
| ١٧ الحرب والعلوم | الضاريه | التى تعودت الصـيد وأولعت به |
| | البِزّة | السلاح والهيئة |

| السطر | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | شمطاء | العجوز التى خالط سوادَ شعرها بياض |
| | يُجْلى | يكشف |
| | تسوّد القليل | تجعل القليل سادةً |
| | الويلات | الفضائح مفرده : وَيْلة |
| ١٨ الجمل | الزهو | الكبر والفخر |
| | العسيب | عظم الذَّنَب |
| | الأديم | الجلد أو ما كان منه أحمر أو مدبوغاً |
| | الغُطاط | أول الصبح |
| | الحِثاث | جمع حثيث وهو السريع |
| | لاحقة البطون | ضامرة ، من لحق كسمع أى ضمُر |
| | قباء الأسنان | دقيقة الأسنان |
| | الحجبة | حرف الورك المشرف على الخاصرة |
| | وضعها | إسراعها |
| | رفعها | إسراعها |

| السطر | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | تحليل | المحلِّل الفرس الثالث فى الرهان إن سبق أخذ وإن سُبق فما عليه شىء |
| | الأغر | الذى فى جبهته بياض قليل |
| | المحجل | الفرس الذى فى قوائمه أو فى ثلاث منها أو فى رجليه بياض لا يجاوز الركبتين |
| | الجوزاء | أحد الأبراج السماوية |
| | هزج الصوت | فى صوته ترنم مطرب |
| | معبد | هو معبد بن وهب كان إمام المغنين بالمدينة ذاع صيته فى عهد الدولة الأموية وتوفى فى عهد الوليد بن يزيد |
| | الثقيل الأول | ضرب من الأنغام |
| | كَمِنْته | اختفيت فيه |
| | الإهاب | الجلد ما لم يدبغ |
| | الشيات | الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الوكن | الوكر |
| | اللهوات | جمع لهاة وهى قطعة لحم مطبقة فى أقصى سقف الحلق |
| | الحادى | حدا الابل يحدوها أى غنى لها ليستحثها على السير |
| | إشراف كاهلة | ارتفاع ما بين كتفيه |
| | الوابل | المطر الشديد |
| | المُزْن | جمع مزنة وهى السحابة البيضاء |
| ١٩ باب بغداد | يرتاد | راد الكلأ وارتداه ذهب فى طلبه، وارتياد الأمكنة كشفها وتبين أحوالها |
| | الصَّراة | نهر بالعراق |
| | الميرة | الزاد والذخيرة |
| ٢١ من أمثال العرب | العير | العَير الحمار، والعِير الإبل التى تحمل الميرة |
| | أخذته السماء | أمطرته |
| | المرقة المضيرة | المخلوطة باللبن المضير أى الحامض |
| | ألم بأهله | نزل بهم وذهب اليهم |
| | صدر اليوم | صدر كل شىء أوله |
| | الرَّجْل | الراجل ضد الفارس والجمع رجل أى ماشون على أرجلهم |
| | النِّطع | بساط من الجلد المدبوغ |
| | الأضرع | الذليل |
| | مخاريق | مفرده : مِخْرَاقٌ وهو : السيد والسخى والحسن الجسم |
| ٢٢ وصف الأسد | الشتيمة | العابسة |
| | الأفرع | التامّ الشعر |
| | الشموس | الأبىُّ الذى يمنع ظَهْرَه |
| | المُصْلَخِدُّ | اصلخدّ = ارتفع ووقف مستقيماً وهذا دليل على القوة |
| | القَرم | الفحل والسيد |

| الدرس | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| | براثنه شُثْن | البراثن للسبع كالأصابع للانسان ومخالب الأسد مفرده بُرْثن ، والشثن الخشنة الغليظة |
| | قلص الأشداق | رفعها، والأشداق : جمع شِدْق وهو جانب الفم |
| | المِجن | الترس تتقى به الطعنات |
| | المَعْطِن | بكسر الطاء وفتحها المناخ والمأوى والمورد حول الماء |
| | حماليق | جمع حُملاق وهو باطن جفن العين الذى يسود بالكحلة |
| | القُضُب البتر | السيوف القاطعة |
| ٢٣ جود المهلب | الدهناء | الفلاة |
| | الْجَنَى | ما يُجْنَى |
| ٢٤ تضال العلماء حول ماهية الحرارة | لا غرو | لا عجب |

| الدرس | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| ٢٥ ابن سناء الملك | الزؤام | الكريه السريع |
| | عدا | كرّ |
| | مبردا | أى كالمبرد فلا يكون حادًّا |
| | المجرة | قطعة فى السماء واسعة تشبه المكان المتسع من النهر |
| | المورد | المكان الذى يورد للسقى |
| | الأفق | ما ظهر من نواحى الفلك |
| | الطِّرس | الصحيفة |
| | الصرير | الصوت |
| | صليل المشرفى | صوت السيف |
| | الصدى | رجع الصوت |
| ٢٦ كلمات فى الآداب لابن المقفع | الآفة | العاهة والنقيصة |
| | الْخَلة | الْخصْلة |
| | الأهوج | المتسرع الأحمق |
| | الوقور | الحليم الرزين |
| | اللسن | الفصيح |
| | المهذار | الذى يكثر من الهذيان فى كلامه |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | العَيّ | الذى لا يُبين فى كلامه ومثله : العَىّ |
| | الأخيار | أهل الخير والمعروف |
| | لُقْيةً واحدة | مقابلة واحدة |
| | ذهب قلبه شعاعا | تفرقت همه فلا يفرغ لابرام أمر من الأمور |
| | لم تَعْىَ | لم تضعف ولم تعجز |
| | الابتلاء | الاختبار بالمصائب |
| | يحسم | يقطع |
| | هجّنته | قبحته |
| | تورّد | هجم بادئ بدء |
| ٢٧ أوراق مالية | الورق | الدراهم المضروبة والجمع أوراق ووِراق |
| | المسكوكات | الدراهم تضْرب على حديدة منقوشة تسمى السِّكّة |
| ٢٨ | تبْلى | تَخلق وتأخذ فى الفناء |
| | الماخرة | السفينة تشق الماء بجاحيها أو يسمع صوت جَرْيها |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| اللاسلكى وهداية السفن | فزعها | خوفها |
| | مِحْنة | بلاء واختبار |
| | نجدتها | إعانتها |
| ٢٩ دهاء معاوية | حوارىّ | الحوارىّ الساحر أو ناصر الأنبياء |
| | أسفر الوجه | علاه ضياء وجمال وبهاء |
| ٣٠ القطب | الراصد | الذى يرقب النجوم |
| | رِبْق | الرِّبق حبل فيه عدة عُرى يُشَد به البهْم كل عُروة ربقة |
| | | ومَنْناته قواه وطاقته |
| | خرائد | جمع خريد أو خريدة أو خرود وهى البكر أو الخفِرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتَسترة |
| | سافرات | ظاهرات |
| | حداد | ترك الزينة |
| | القبيل | الجماعة من قوم شتى |
| | المدلج | الذى يسير ليلا |
| | الفهاهة | العِىّ |

| الدرس | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الطائى | هو حاتم بن عبدالله الطائى كان جواداً شجاعا شاعراً مظفراً يضرب به المثل فى الجود |
| | مادر | رجل من بنى هلال يضرب به المثل فى البخل |
| | قُس | هو قس بن ساعدة الإيادى كان من حكماء العرب يضرب به المثل فى البلاغة |
| | باقل | رجل من إياد وقيل من ربيعة يضرب به المثل فى العى |
| | صهباء | الصهباء الخمر أو المعصورة من عنب أبيض اسم لها كالعلم |
| | تُصفَّق | تقلَّب |
| | راووقها | الراووق المِصْفاة والباطية والكأس |
| | تُقطَب | تمزج |
| | تصوَّبوا | نزلوا من عَل |

| الدرس | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| ٣١ من كلام قدامة بن جعفر | تُوَشِّح | تزين وتحلَّى |
| | الإضجار | التبرُّم والاغتمام |
| | الملالة | السآمة |
| | وحْى الملاحظ | الوحى: الإشارة ، والمراد من الملاحظ العيون |
| | هذراً | رديئاً ساقطاً |
| | الثاقبة | النافذة |
| | ينفتق | ينشق ويتسع |
| | نشيِّع | نخرج معهم لنودعهم ونبلغهم منازلهم |
| | سفْر | مسافرون |
| | نُبوِّئهم | نُسْكنهم ونمكنهم |
| | أجداثهم | قبورهم |
| | جائحة | آفة سماوية |
| | طوبى لهم | حُسنى لهم وخير وعيش طيِّب |
| | المستعتب | الذى يطاب متة الرضا |
| | أدللت | أفرطت فى تيهك وجُرأتك لاستعظامك فعلك |

| الرقم | الكلمه | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الشغب | تهييج الشر |
| | أبرِمَن | أَحْكِمَنّ يقال أبرم الأمر إذا أحكمه |
| ٣٢ المستشرقون | الاستقراء | تتبع أفراد الأشياء لمعرفة أحوالها وخواصها |
| | النّد | المثل والنظير |
| ٣٣ حماية المستجير | الذّود | الدفاع |
| | المُهج | جمع مهجة وهى الرّوح |
| | عرفتَ بلائى | تحملى للابتلاء |
| | الغناء | الكفاية والاضطلاع بالأمر |
| | سُرِّى عنه | ذهب عنه ما ألم به من هم أو حزن |
| | صلات | جمع صلة وهى المنحة والعطية |
| ٣٤ الجبان المستأسد | انتضى سيفه | سَله من غمده |
| | نَبْوته | نبا السيف عن الضربة كلّ ولم يقطع |
| ٣٥ الجمل الشاعر المصرى | مُفْلق | أفلق الشاعر أتى العجيب |
| | تنتجع الولاة | يُطلَب معروفهم وعطاؤهم |

| الرقم | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الجدوى | العطاء والمنفعة |
| | الهامة | الرأس |
| | النائل | العطاء |
| | المحيا | الوجه |
| ٣٦ عاتبة الأشراف | الأريب | ذو العقل الراجح |
| | الرّفه | السّعة فى الرزق |
| | يمتهد الثرى | يجعله مهاداً |
| | يستندى الاكف | يطلب الاحسان |
| | سُهد | سهر |
| | الغرار | القليل من النوم |
| | يتفرس الوجوه | ينظرها بتأمل وتثبت |
| | الخلّة | الحاجة |
| | نصب | عناء وتعب |
| | بليّة | مصيبه |
| | الفاقة | الفقر والحاجة |
| | وَسْم هوان | علامة ذل |
| | القصد | الاقتصاد |
| | يدان | قوة |

| الدرس | الكلمة | معناها | الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| | الأغلال | جمع غُل وهو طوق من | | السحيقة | البعيدة |
| | | حديد يجعل فى العنق | | إبان | إبان الشىء وقته |
| ٣٧ | النَّيِّفَ | الزيادة ، وكل مازاد | ٣٩ | القريض | الشِّعر |
| الحسن بن الهيثم | | على العِقد من العدد | | تتيه | تفخر |
| | مطروقة | معروفة درسها الباحثون | | الزهو | العُجْب |
| | النزيل | الضيف | | الشذا | الرائحة |
| | لم يغرب عنهم | لم يبعد | | رنَّت | غنت |
| | الجنادل | الحجارة، والمراد هنا الشلال | | الخمائل | مفرده خميلة ، وهى الشجر |
| | الخبال | الفساد والمراد فساد العقل | | | المجتمع الكثيف أو رملة |
| | متنسكا | متعبداً | | | تنبت الشجر |
| | متصنعاً | مدعياً متكلفاً | | تدانت | تدانت : تدلت واقتربت |
| | | | | | من الأرض |
| ٣٨ | السوقة | الرعية ، وهى كلمة لا تتغير | | الرغائب | الرغبات والمقاصد |
| الرحلات فى الإسلام | | فتستعمل للمذكر | | السبات | النوم وأصله الراحة |
| | | والمفرد وغيرهما | | أزرى به | حط من قدره |
| | يرتادون | يذهبون للكشف | | الباسقات | بَسَقَ النخل يبسُق |
| | ماثلة | قائمة يمكن الاطلاع عليها | | | بسوقاً طال |
| | مشوبة | مخلوطة | | الثرى | التراب |
| | الأصقاع النائية | الجهات البعيدة | | تعيث به | تجوس خلاله |

| البيت | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | السياج | السور |
| | النزعات | الميول والاتجاهات النفسية |
| | الرفات | الحطام أى البقايا المفتتة |
| | الندْب | الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب |
| | هبرزى | ذهب خالص |
| | الأَعراق | الأُصول |
| | الدفين | المدفون المختفى |
| | الأُساة | الأَطباء ، مفرده : آس |
| | نكثوا | نكث العهد أوالحبل نقضه |
| | دارسات | ذهبت آثارها |
| | الومض | اللمعان الخفِىّ |
| | المفزع | المضطرب من الخوف |
| | لبَّت | أجابت الدعوة |
| | مهطعات | مسرعات |
| | صاغرات | طائعات ذليلات |
| | تستحث | تحضّ، وتستحث الخطا أى تسرع فى السير |

| البيت | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | حافلات | جامعات لشتى الحوادث |
| | الرُّواة | جمع راوٍ وهو من يروى الأحاديث أى ينقلها |
| | الإِقنات | التواضع لله |
| | تتهادى | تمايل وتبطئ فى مشيها |
| | مطرَّز | مزين |
| | الدُّجى | الظلام |
| | السُّراة | جمع سار وهو السائر ليلا |
| | العبقرى | القوى الماهر |
| | المِدْره | الفصيح القوى الحجة |
| | النمير | الماء الجارى الصافى |
| | المواتى | الموافق المناسب |
| | أطاحت | أهلكت وتوَّهت |
| | الندبات | جمع نَدَبَة وهى أثر الجرح الباقى على الجلد |
| | مجالى آلائه | نعمه الظاهرة ، وآلاء جمع إِلْىٌ وأَلْوٌ وإِلَى |

| الصحيفة | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الأريَحِيُّ | الواسع الخلق ، وأخذته الأريحيــة أى ارتاح للـكرم |
| ٤٠ | أركزها | أغرزها فى الأرض |
| العصا | القُر | البرد |
| | الإداوة | المِطْهَرَةُ أى الاناء يتطهرمنه |
| | المشجب | ما يعلق عليه الثياب |
| | الضراب | المقاتلة |
| | أهش بها | أخبط بهـا |
| | المآرب | المقاصد ، مفرده مأرَبُ |
| ٤١ | مبهجة | سارة مفرحة |
| من رحلة فى الصحراء العربيه | عولت | اعتمدت ، وعول عليه استعان به |
| | صرفه عن الشىء | حوّله عنه |
| | على أهبة السفر | على استعداد له |
| | الْحيد | هو من الجبل شاخص كأنه جناح وحيـــد كل شىء ما شخص من نواحيه |
| | الحزون | جمع حَزْن وهو ما غلظ من الأرض وكثرت أحجاره |
| | السنونة | نوع من الطيور ؟ |
| | البَاشَق | بفتح الشين نوع من الصقور |
| | الأصيل | من بعـد العصر إلى الغروب |
| | النجد | ما ارتفع من الأرض |
| | المرتَقَى | الصعود |
| | الغور | ما انخفض من الأرض وغور كل شىء قعره |
| | كابدنا | قاسينا |
| | القُنَن | جمع قُنَّــة وهى أعلى الجبل |
| | التُّخْم | الحد الفاصل بين بلدين |
| | السُّرَى | السير ليلا |
| | أضناه | أتعبه وأجهده |
| | يتقلَّص | ينقص شيئًا فشيئًا |
| | سَحَل | قشر وقشط |
| | القَلْت | النُّقرة فى الجبل |

| الدرس | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| | الأنجم | مفرده نجم وهو من النبات مالم يكن على ساق |
| | مرثتَ | مرث الشيء : ليّنَهُ |
| | سَحَن | سحن الحجر كسره والخشبةَ دلكها حتى تلين |
| | مُطبّقاً | مُغطًّى |
| | الحابل | من يصيد بالحبائل |
| | النابل | من يصيد بالنبال |
| | الحك | البوصلة |
| ٤٢ مصر والشام | الربوع | الديار |
| | الخِدر | الستر |
| | المغنى | المكان الذى كان به أهله |
| | عطارفة | جمع غِطْريف أو غِطْراف وهو السيد الشريف والسخى السرى والشاب |
| | السّراء | السّرى السير ليلا ، ومد لضرورة الشعر |
| ٤٣ | سَعى به | نم عليه وأوقع به |

| الدرس | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| حسن التخلص | أطرق | سكت أو أرخى عينيه ينظر إلى الأرض |
| | مثل بين يديه | وقف أمامه |
| | اختلس | سرق |
| | أَبِق | هرب |
| ٤٤ وصف جمل | فضضتها | فتحتها |
| | مُونِق | يُعْجِبُ ويَسُر |
| | الدّمامة | القبح |
| | السَّلَب | الإهاب أى الجلد |
| | أباه | امتنع عن أكله |
| | عافه | تركه وزهد فيه |
| | قلاه | كرهه |
| | القتُّ | البرسيم أو نبات يشبهه ترعاه الماشية |
| | الوظيفة | ما يقدر للانسان فى كل يوم من طعام أو رزق |
| | القديد | اللحم المقطع قطعاً مستطيلة |

| الدرس | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الشفار | جمع شفرة وهى السكين العظيم |
| | المقلة | العين |
| | إنسان العين | حدقتها |
| | الأدم | الجلد |
| | حصّت | قسّمت |
| | القتار | رائحة الشواء والبخور والقِدر |
| | الذحْل | الحقد والعداوة والثأر |
| | اللأواء | الشدة |
| | الإعواز | الفقر |
| | بطين | عظيم البطن |
| | من عُرض الكتاب | من عامتهم |
| | أحدب | الحدب بروز الظهر ودخول الصدر والبطن |
| ٤٥ القامة الطوالية | قفل | رجع |
| | الحجام | المراد : الحلاق |
| | الفضول | تدخل المرء فيما لا يعنيه |
| | السمت | الطريق |

| الدرس | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | القوّام | المدير |
| | يكد | يُتعِبُ |
| | يغْمِز | غمزه بيده دلكه دلكا يشبه النخس |
| | الأوصال | المفاصل |
| | الأخدع | الأخدعان عرقان في الصدغين فى موضع الحجامة |
| | المضمومة | أى اليد المضمومة الأصابع |
| | قعقعت أنيابه | جعلتها تصطك وتحدث صوتاً |
| | هتكت | خرقت وأزالت |
| | تجشم | تحمل المشقة |
| | تسلّ عنه | تَعَزَّ عنه وانسه |
| ٤٧ العبرات | الغبطة | حسن الحال وتَمَنِّى مثل ما ناله غيرك من غير ان تريد زواله فان تمنيت زواله فهو الحسد |
| | نأَبهُ لها | نَفْطِنُ لها |
| | الحوقلة | قول : لا حول ولا قوة إلا بالله |

| الشاعر | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | الاسترجاع | قول : إنا لله وإنا إليه راجعون |
| | فأحْرَى | فماأجْدَره وأحقَّهُ وأوْلى به |
| | وشيكاً | سريعاً |
| | الجْهوَرى | العالى |
| | فلا يَنْثَنِى | فلا ينعطف ولا يرجع |
| | المناقب | جمع مَنقبة وهى كل ما يُفخَرُ به من الصفات والأعمال |
| | اللَّوْعة | حرقة القلب وألم من حب أو همٍّ مرض |
| | تعتلج | تلتطم وتضطرم وتشتد |
| | سويداء القلب | حَبَّتُهُ |
| | وَجْدِى | حُزْنِى وشدة أَلَمِى |
| | عيّ | عَجَز |
| | دخائل | بواطن |
| | نمت | زادت وقويت |
| ٤٨ | لفحة | إحراق |
| | الرمضاء | الأرض الشديدة الحرارة |

| الشاعر | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| أبو نصر المنازى وأبو العلاء | دوح | الدوح الأشجار العظيمة الواحدة دوحة |
| | حنا | عَطَفَ |
| | حُنُوّ | عَطْف |
| | زُلَال | عذب باردٌ سريع المرور فى الحلق |
| | المُدامة | الخمر |
| | النديم | المجالس على الشراب |
| | يروع | يُفْزِعُ |
| | سَجْع | سَجَعَتْ الحمامة سَجْعاً هدَرت وصَوَّتت والسَّجْعُ فى الكلام مشبه بذلك لتقارُب تواصله |
| | تلاحى | تخاصم وتشاتم |
| | شجَاه | طَرَّبه وفَرَّحه |
| | وبَرَّحَ | بَرَّح به الأمر تبريحاً آذاه إيذاء شديداً |
| | الشجىُّ | المشغول البال |

| الشعر | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الخلىّ | الخالى من الهموم |
| | صَبٍّ | محب ذى شوق وهوى |
| | المهـا | البقر الوحشى الواحدة مهاة |
| ٤٩ معاوية وعرابة بن أوس | النادى | مكان الاجتماع والمراد أهله |
| | الثِّمَالُ | الغِيـاث الذى يقوم بأمر قومه من طعام وسقى ونحوهما |
| | عافيه | طالبي معروفه |
| | سراتهم | ذوى المروءة الأشراف الموسرين |
| | عن أخى ضرائهم | على من أصابه الضر وحلت به الفاقة |
| | أتنـكَّفُ | أتـكبَّر |
| | نبـا | قصَّرَ وهفا |
| ٥٠ العقاب | مرتاب | شاكٌّ |
| | جران | الجران مُقَدَّم عنق البعير من مذبحه الى منحره فاذا برك البعير ومدعُنقه على الأرض قيل ألقى جرانه بالأرض والجمع جُرُن وأجْرِنة |

| الشعر | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | أثيثٍ | عَظِيمٍ |
| | رابى | مرتفِع |
| | موثَّق | مُحْـكَم |
| | ليث شرى | أسد من آساد الشَّرى |
| | نيطت | اتصلت وأُحْكِمَ اتصاله |
| | البَرَاثن | جمع بُرْثن وهى من السباع والطير الذى لايصيد بمنزل الظفر من الإنسان |
| ٥١ أبو العتاهية | سباسب | جمع سبسب وهو المفاز |
| | وردن بنا | أتين بنا إليك |
| | صدَرْنَ | رَجَعْنَ |
| | برُّه | عَطاؤه ومعروفه |
| | التمائم | جمع تميمة وهى خرزة تنظم فى السير ثم يعقد فى العنق وتمم المولودَ تتميماً علقها عليه |
| | النُّشَر | جمع نُشْرة وهى رُقْيَة يعالج بها المجنون والمريض |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الدَّل | جرأة للمرأة فى تَكَسُّرٍ كأنها مخالفة وليس بها خلاف |
| | ويحك | رحمة لك |
| | أجْسَر | أجرأ وأشجع |
| | صَبَا | مال وحَنَّ |
| | التصابى | الفتنة والخديعة |
| | منهلة | كثيرة سكب الدموع |
| | عُسْرَة | شدة وضيق |
| | البِزة | الهيئة والسلاح |
| | سيما | علامة ومثله سيماء وسيمياء |
| | مليًّا | زمنا طويلا |
| | الوارد | القادم |
| | طفقت | استمررت |
| | سببك إليهم | الوسيلة التى تتخذها لعطفهم عليك |
| | فَتُطلَق | تُخْرَج من السجن |
| | متواريا | مختفياً |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | متّ إليه | توسَّل إليه بقرابة أو نحوها |
| | درَّت به | جادت به |
| | ضَرَع | ذلَّ وهان |
| | بَغَانى | أحبنى |
| | الهوان | الذلة |
| | قِوام | قوام الأمر نظامه وعماده |
| | التوانى | التراخى والتباطؤ |
| ٥٢ أم العباس ابن المأمون | السَّرِية | قطعة من الجيش نحو أربعمائة رجل |
| | لاَحت | ظهرت |
| | الطريدة | ما طردتَ وتبعت من صيد أو نحوه |
| | خُمَاسية القد | طولها نحو خمسة أشبار والمراد أنها قصيرة |
| | الوكاء | ما يشد به رأس القربة |
| | المَحْتِد | الأصل والطبع |
| | تلاحقت | لحق بعضها بعضاً |
| | أَنْفَذ | أرسل |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| ٥٣ قس كبيرة | الأمانى | جمع أُمْنِيَّة وهى مايتمناه الإنسان وهو مستحيل أو فى حصوله عسر |
| | يشمت | يفرح ببلية العدو |
| | المحنة | مايمتحن به الإنسان من البلايا |
| | أفلت | نجا |
| | غرثان | جائع |
| | الشِّرب | النصيب من الماء |
| | المظاهرة بالعداوة | إظْهارها |
| | الحمية | الأنفة |
| | الأحقاد | الضغائن |
| | المرضة | المرة من المرض |
| ٥٤ المعتصم بن صمادح | مريج | مختلط مضطرب |
| | الرواسى | الجبال الثابتة |
| | مادت | تحركت أو تمايلت |
| | المشرع | مشرع الماء مورد الشاربة |
| | أفرَق | أخاف، فَرِقَ يفرَق فرَقًا |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | النوى | الوجه الذى ينويه المسافر من قرب أو بعد وهى مؤنثة |
| | المُلِمَّة | النازلة من نوازل الدنيا |
| | حُمَّ القضاء | قُدِّر نزوله |
| | تَثُل عروشهم | تميتهم وتُذهب ملكهم أو عزهم |
| | تُعفَّى | تُزيل وتُمحى |
| | ناء به الحزن | ثقل عليه واشتد به |
| | الحِمام | الموت |
| | الفاقرة | الداهية |
| | الرَّدى | الهلاك |
| | الوجبة | السقطة من الهدة وصوت الساقط والمراد هنا: الجَلبَة والضوضاء |
| | اللجِب | ذى اللجَب أى الجلبة والصياح |
| ٥٥ رسالة لأبى عمرو ابن بحر الجاحظ | الغفلة | الراحة والاطمئنان |
| | عقيد الكفر | حليفه |
| | الحلفاء | الأصدقاء |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | استكان | استخفاء ، وكمون |
| | موه على قلبه | يقال موّه الخبر عليه إذا أخبره بخلاف ما سأله والمقصود هنا التضليل |
| | غوَى | غَوى يغوى غيًّا وغوِى غوايةً أى ضلّ |
| | العُقوق | ضد البر والطاعة |
| | شادِخاً | أى كاسراً والشَّدخ الكسر |
| | خذَله | ترك نُصرته . |
| | هَمزَه | عابَه . |
| | حاطب ليل | يجمع بدون تمييز ولا فهم |
| | متّبع | مقلّد |
| | النُّسك | العبادة وكل حق لله تعالى وقد نسك كنصر وكرم |
| | تحويص عينه | الحوص = ضيق فى مؤخر العينين أو فى إحداهما . |
| | شمخ بأنفه | تكبر |
| | تبوأ النار | حلّها وأقام فيها |

| الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الغارب | الكاهل أو ما بين السنام والعنق والجمع غوارب |
| | بهتانه | كذبه وباطله . |
| ٥٦ الوزير الحلبي | سلافه | أى خمره، والمراد المنطق العذب الساحر . |
| | أصدافه | الصدف غشاء الدرر والواحدة صدفة والجمع أصداف |
| | حراقات | سفن فيها مرامى نيران يُرمى بها العدوّ |
| | بِدَر | مفرده : بَدْرة وهى الأكياس الموضوعة فيها النقود . |
| | تخوت الثياب | التّخت وعاء تصان فيه الثياب |
| | ضيق الحال | الفقر والبؤس |
| ٥٧ القاذفات | شظايا القنبلة | شظايا جمع ومفرده شَظِيّة وهى فَلقة العود والعظم والحديد ونحوها . ويقال تشظّى العود أى تطاير شظايا |

| الصفحة | الموضوع | الكلمة | معناها |
|---|---|---|---|
| | | المخابئ | جمع ومفرده مخبأ . يقال خبأه كمنعه أى ستره |
| ٥٨ | سكان أمريكا | قد شأوتُم | أى قد سبقتم . والشَّأْو : السَّبق يقال : شَأَى القومَ يشؤوهم شَأْوًا أى سبقهم |
| | | عصيراً | المراد به الخمر |
| | | قدرتم دقيقة العمر | أى عرفتم قيمة الزّمن وقَدره فحرصتم على الانتفاع به |
| | | المُحال | المستحيل |
| | | الصّروح | جمع ومفرده صَرْح وهو البناء العالى |
| | | الكَرى | النوم |
| ٦٠ | اللعب الهزلية | آليت | أقسمت |
| | | النازل | الأمر العظيم |
| | | تنقشع | تزول |
| | | تململ | تقلب وتحول |
| | | شعواء | متفرقة متعددة النواحى |
| | | الأَلِيَّة | القَسَم |
| | | لم تُرْزَأْ | لم تصَبْ |
| | | قُدُما | إلى الأمام لا يترد |
| | | يتردى | يسقط |
| ٦١ | المرأة العربية | غير صاغرة | أى مكرّمة معززة |
| | | عبس وذبيان | قبيلتان من قبائل العرب وكانت الحرب بينهما قائمة مدة طويلة |
| | | حَمَلا الدياتِ | أى تحمّلاها . والدّيات جمع ومفرده دِيَةٌ وهى ما يدفع فِدْية وغرامةً لحرب |
| ٦٢ | وصف السفن | الجرجرة | الصوت |
| | | الآذِى | الموج |
| | | العِبر | جانب النهر — وشاطئه |
| | | أعنقت | قويت حتى أذرت التراب |
| | | الوِعاث | الطرق العسرة أو التى تغوص فيها الأقدام مفرده : وَعْثٌ |

| البيت | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | العفر | الغليظ الشديد أو رمال بالبادية |
| | الموقفة | الدابة التى فى قوائمها خطوط سود |
| | الدأيات | مفرده دأية وهو موضع الرحل من البعير والمراد أن الموج جعل فى السفينة خطوطاً |
| | بقنة قرهب | برأس ثور وحشى مسن ويعنى بذلك مقعد الربان فى السفينة |
| | تخلج | تنتحى |
| | أناف | رفع |
| | هاديها | مقدمها والهادى فى الأصل العنق |
| | شديد علاج الخ | المراد منه الملاح |
| | جونة | سوداء |
| | تواهق | تبارى فى السرعة |
| | سفع الملاطم | سود الخدود |
| | الزمازم | الزمزمة هدير البعير |

| البيت | الكلمة | معناها |
| --- | --- | --- |
| | لم يسترث | لم يُسْتبطأ |
| | زفَّتْ | أسرعت |
| | العارقات | الذاهبات فى الأرض ولعل المراد المجاديف |
| | نئيم | صوت |
| | العلاجم | الضفادع |
| | مكفهر | متراكب بعضه فوق بعض |
| | الصَّبير | السحاب الأبيض |
| | الشم | جمع شماء وأشم وهو المرتفع |
| | قنان | جمع قنة وهى القلة أو القمه أى أعلى الجبل |
| | ريود | جمع ريد وهو الحرف الناتئ من الجبل |
| | الصَّلى | صَلِيَ النار قاسى حرها |
| | المارج | نار بلا دخان |
| | الغِمار | جمع غمر وهو الماء الكثير |
| | سليط | الزيت |
| | عتيد | مهيأ |
| | الكديد | تراب حلبة الخيل |

| الصفحة | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| | النسوع | النِّسْعُ سير عريض تشد به الرحال |
| | يبوعها | يسبقها فى السير |
| | المَرِيع | الزائد النامى |
| ٦٣ بين الانسان والحيوان (١) | البرارى | جمع مفرده : البَرِّية أى الصحراء |
| | الآجام | الأجمة هى الشجر الكثير الملتفّ ، ومأوى الأسد والجمع أَجَمٌ وأُجُم وأَجَمات. وجمع الجمع آجام |
| | الغِياض | جمع ومفرده غَيْضَةٌ وهى الأَجمة ومجتمع الشجر فى مغيض المـــاء ويجمع على غيضات وغياض |
| | دلائل شرعية | أى أدلة من الشرع : من القرآن أو الحديث أو أى كتاب منزّل |

| الصفحة | الكلمه | معناها |
|---|---|---|
| | حجج عقلية | أى براهين معقولة |
| | أُسَارى | جمع ومفرده أسير وهو من قبض عليه وأُخذ وجمعه أُسارى وأَسارى وأُسَراء وأسرى |
| | أرجاء | جمع ومفرده رَجًا أى ناحية |
| | الفجاج | جمع ومفرده فَجٌّ وهو الطريق الواضح بين جبلين |
| | موقرة ظهورنا بأثقالهم | أى محملةً ظهورنا بأحمال ثقيلة |
| | القُلوس | جمع ومفرده القَلْس وهو حَبْلٌ للسفينة ضخم |
| | الكلاليب | جمع ومفرده الكَلّابُ وهو حديدة معطوفة يعلق بها الزاد ونحوه |

| الصحيفة | الكلمة | معناها |
|---|---|---|
| | الرُّقى | جمع ومفرد رُقية وهى أن يستعان على الوصول إلى أمرٍ بقوىً تفوق القوى الطبيعية فى زعم من يتوهم ذلك |
| | التمائم | جمع ومفرده تميمة وهى خَرزةٌ أو ما يشبهها تعلّق على صغار الأولاد مخافة العين والحسد |
| ٦٤ بين الإنسان والحيوان (٢) | النُّشَّاب | السّهام والواحدة نُشَّابَةٌ |
| | القِسِيّ | جمع ومفرده قوسٌ وهى آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام |
| | الخوذ | مفرده خُوذَة وهى المغفر الذى يوضع فوق الرأس عند الحرب |
| | الزُّبى | جمع زُبْيَة هى الرابية لا يعلوها ماء وحفرة الأسد |
| | الجِبلَّة | الطبيعة |
| | يبصبص بذنبه | يهز ذيله |
| | الجرْذان | مفرده جُرَذ وهو ضرب من الفأر |
| | النيران | الشمس والقمر |
| | مارج البحرين | الذى خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر |
| | الجِعلان | مفرده جُعَل وهو أبو جِعران |
| | الكلال | مفرده كِلَّة وهى غشاء رقيق يتوقى به من البعوض |
| | الهوامّ | خشاش الأرض أى حشراتها ، مفردة هامَّة |
| | الحرابى | مفردة حِرْباء وهى دابة صغيرة تستقبل الشمس برأسها |
| | الفلوس | جمع فَلس وهو قشر الجلد اللامع |
| | أفاض | أطال الكلام |

| رقم الدرس | الكلمة | معناها | رقم الدرس | الكلمة | معناها |
|---|---|---|---|---|---|
| | شَزَراً | أى بمؤخر العين | بين الانسان والحيوان (٣) | الفِراء | مفرده فروة ، وهى لبس يتخذ من جلود بعض الحيوان |
| | المِعْوَل | الحديدة تنقر بها الجبال | | | |
| | الزمهرير | البرد الشديد | | | |
| | المِشْفَر | هو للحيوان كالشفة للانسان | | البِلى | الفناء |
| | الدِّبْس | عسل التمر وعسل النحل | | | |
| ٦٥ | | | | نكس رأسه | دلاَّها |
| | يُوارى | يستر | | أصحاب الأرصاد | الذين يكشفون مواقع النجوم وحركتها |
| | فثم | فهناك | | | |



# فهرس الموضوعات

4200

S1A